شعر الملوك والأمراء في الأندلس : دراسة في موضوعاته وأساليبه

إعـــــداد

رغـــــدة علي محمّد الزّبون

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها

كليّة الدّراسات العليا

الجامعة الأردنيّة

نيسان ٢٠١٠م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع [illegible] التاريخ [illegible]

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الجامعة الأردنية

نمـــوذج تفـــويض

أنا رغدة علي محمد الزبون ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ٢٧/٤/٢٠١٠م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (شعر الملوك والأمراء في الأندلس : دراسة في موضوعاته وأساليبه) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٠/٤/٦.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرار ، عضوا أستاذ: الأدب الأندلسي والمغربي	
الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، عضواً أستاذ- الفاطمي والأيوبي والمملوكي	
الدكتور- حمدي محمود منصور ، عضوا أستاذ مساعد- الأدب الجاهلي والأندلسي	
الأستاذ الدكتور يونس شلوان شديفات ، عضوا أستاذ : الأدب الأندلسي والمغربي (جامعة اليرموك)	

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، فإنّه ليطيب لي أن أتقدّم بالشّكر والتّقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدّكتور صلاح جرّار على تفضّله بالإشراف على هذه الأطروحة، وما أولاه لها من متابعة حتى استوت على هذه الصّورة، فجزاه الله الخير كلّه على ما بذله من جهد.

ويسرّني أن أتقدّم بالشّكر والتّقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل : الأستاذ الدّكتور عبد الجليل عبد المهدي ، والدّكتور حمدي منصور، والأستاذ الدّكتور يونس شنوان، لتفضّلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة، سائلة العليّ القدير أن يمنّ عليّ بالإفادة من علمهم وتوجيهاتهم.

وممّا يزيدني فخرا واعتزازا أن أعبّر عن عظيم امتناني وبالغ شكري إلى والدي الفاضل، صاحب اليد العليا والكلمة الصّادقة، الذي لولا وقوفه إلى جانبي ودعمه المتواصل لي ما كنت لأكون في هذا المقام، فجزاه الله خير ما يجزي عباده الصّالحين ، ورفع قدره في الدّنيا والآخرة.

والشّكر إلى الحبيبة والدتي التي وقفت إلى جانبي وأعانتني، فكانت وما تزال نعم الأم لي ولبناتي، فلها من الله الجزاء الأوفى في الدّنيا والآخرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... د
فهرس المحتويات ..... هـ
الملخّص باللغة العربية ..... ز
المقدّمة ١
التّمهـــيد ٥
الفصل الأوّل : الشّعراء الملوك ١١
الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطّار ١٣
عبد الرّحمن الدّاخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ١٤
هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية ١٥
الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية المعروف بالرّبضي ١٦
عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام الرّضا بن عبد الرّحمن الدّاخل أبو المطرّف ١٧
محمّد بن عبد الرّحمن الحكم ١٨
عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن الحكم ١٩
سعيد بن جودي السّعدي أبو عثمان ٢٠
عبد الرّحمن بن محمّد النّاصر لدين الله ٢٠
الحكم بن عبد الرّحمن المستنصر بالله ٢١
المنصور بن أبي عامر ٢٣
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرّحمن النّاصر ٢٤
عبد الرّحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرّحمن النّاصر ٢٤
محمّد بن إسماعيل بن عبّاد ٢٥
عبّاد محمّد ابن ذي الوزارتين القاضي أبي إسماعيل ٢٦
محمّد بن عبّاد المعتمد على الله ٢٨
محمّد بن معن بن صمادح التّجيبي أمير المريّة ٣٠
المتوكّل بن المظفّر بن المنصور ٣٢
عبد الملك بن هذيل بن رزين ذو الرّياستين حسام الدّولة، أبو مروان ٣٣
المقتدر بن هود ٣٤
المستعين بن هود ٣٥
عبد الله بن هود ، أبو محمّد ٣٥
محمّد بن عمر بن المنذر أبو الوليد ٣٦
محمّد بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الرّحمن بن طاهر القيسي ٣٦
محمّد بن علي بن أحلى أبو عبد الله ٣٧
محمّد بن محمّد بن يوسف بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن خميس بن نصر ٣٧
محمّد بن محمّد بن محمّد بن يوسف بن محمّد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي ٣٨
الغالب بالله المتوكّل على الله محمّد بن إسماعيل بن القائم بأمر الله محمّد ٣٨
الرّئيس إسماعيل ابن الأمير أبي سعد فرج ٣٩
محمّد بن يوسف بن القائم بأمر الله محمّد ٣٩
يوسف الثّالث ٣٩
ابن الأحمر ٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفـــصل الثّـــاني : المـوضوعات الشـــّعريّة ٤٣
أوّلا : الفخـــر ٤٥
ثانيا : الإخوانيات: ٦٢
أ- العطاء ٦٣
ب:الاعتذار والعتاب ٧٠
ج: الاستدعاء للمجالس ٨٨
د- موضوعات أخرى ٩٤
ثالثا: الغزل ١٠٠
رابعا: الشّكوى ١٢٥
خامسا :الرّثاء ١٥٣
سادسا :الشّعر الدّيني ١٦٥
سابعاً :المديح ١٧٢
ثامناً:الوصف ١٨٠
الفـــصل الثّالـــث : الدّراســـة الفـــنيّة ١٩٦
أوّلا : بنية النّص الشّعريّ ١٩٧
ثانيا : الصّورة الشّعريّة ٢١٦
الخاتمة ٢٦٠
المصادر والمراجع ٢٦٤
Abstract ٢٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعر الملوك والأمراء في الأندلس : دراسة في موضوعاته وأساليبه

إعـداد
رغـدة علي محمّد الزّبون
المشرف
الأستاذ الدّكتور صلاح جرّار

الملخّص باللغة العربية

سعت هذه الدّراسة إلى التّعريف بالحكّام الأندلسيين الشّعراء ، ودراسة أشعارهم : مضمونا وأسلوبا.

وقد افترضت الدّراسة أنّ لموقع الحكّام السّياسيّ والاجتماعيّ أثرا في حياتهم من جوانبها المختلفة، فحاولت النّظر في ذلك الأثر كما انعكس في نتاجهم الشّعريّ.

وخلصت الدّراسة إلى أنّ عددا كبيرا من الحكّام الأندلسيين ، كانوا قد نظموا الشّعر، وكان أكثرهم من : عصر الخلافة الأمويّة ، وعصر ملوك الطّوائف ، وعصر بني الأحمر. وقد كان عدد منهم مقلا في نظمه ، فلم تتجاوز أشعارهم المقطوعة أو المقطوعتين في بعض الأحيان ، وكان بعضهم مكثرا وردت أشعارهم مبثوثة في بطون المصادر الأندلسيّة ، وكان عدد قليل منهم من أصحاب الدّواوين وهم : المعتضد بن عبّاد ، والمعتمد بن عبّاد ، ويوسف الثّالث.

وبيّنت الدّراسة أنّ الحكّام الشّعراء لم ينظموا في الموضوعات الشّعريّة كلّها ، كما لم يأت نظمهم في الموضوعات التي نظموا فيها بدرجة واحدة ، فكثرت في شعرهم موضوعات كالفخر والغزل مثلا، وقلّت في شعرهم بعض الموضوعات كالمدح والشّعر الدّينيّ ،وغاب من شعرهم موضوع الهجاء.

وخلصت الدّراسة إلى أنّه كان لموقع الحكّام الشّعراء السّياسيّ أثرا واضحا في حياتهم من جوانبها المختلفة : السّياسيّة ، والاجتماعيّة ، والفكريّة ، والنّفسيّة ، وفي طبيعة تعاملهم مع النّاس من حولهم ، وقد ظهر ذلك الأثر واضحا في نتاجهم الشّعريّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدّمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

فإنّ طبقة ذوي الملك والسّلطان من ملوك وخلفاء وأمراء – على اختلاف ألقاب الحكم التي تظهر في كلّ عصر – طبقة لها ما يميّزها عن طبقات المجتمع الأخرى ، وذلك بحكم مكانتها وموقعها السّياسيّ، ذلك الموقع الذي يمنح أصحابه مكانة وتفرّدا، ويمدّهم بأسباب القوّة والمنعة، ويؤثّر في طبيعة تعاملهم مع النّاس وفي تعامل النّاس معهم، وهو ذاته- الموقع السّياسيّ- يقلب عزهم ذلا، وقوّتهم ضعفا، وغناهم فقرا، إذا ما ضعفت سلطتهم أو زالت، الأمر الذي يجعلنا نفترض أنّ للسّلطة أثرا يظهر واضحا في حياة الحكّام من نواحيها المتعدّدة: السّياسيّة، والاجتماعيّة، والنّفسيّة.

وبما أنّ السّلطة - كما هو مفترض- تلعب دورا واضحا في حياة أصحابها سواء حال قوّتها وغلبتها أم في حال ضعفها وزوالها ، فقد ارتأت هذه الدّراسة النّظر في أثر هذه السّلطة في حياة الحكّام الأندلسيين كما صوّره نتاجهم الشّعريّ، فاتخذت من شعرهم مادّة لها دون الاقتصار على شاعر بعينه، أو على شعراء عصر واحد من عصور الأندلس؛ لتتمكّن من إعطاء صورة واضحة عن شعر هذه الطّائفة من الشّعراء: مضمونا وأسلوبا، ولتكون الأحكام والنّتائج التي يتم التّوصّل إليها دالّة عامّة، لا تختصّ بشاعر أو بيئة وإنّما يمكن تعميمها على كلّ الشّعراء الذين شملتهم هذه الدّراسة.

ولكي أتمكّن من تحقيق الهدف المرجوّ من هذه الدّراسة أخذت بالبحث في بطون المصادر الأندلسيّة عن الحكّام الذين نظموا الشّعر، فكان كتاب الحلّة السّيراء لابن الأبّار (٥٩٥-٦٥٨هـ) من أوفى المصادر التي وجدت فيها أخبارا وأشعارا للحكّام الأندلسيين حتّى المائة السّابعة، وجلّ أشعارهم التي وردت في المصادر الأندلسيّة الأخرى مثل: المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسيّ، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشيّ، والذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام الشّنتريني، وقلائد العقيان لابن خاقان، والإحاطة في أخبار غرناطة، وأعمال الأعلام للسان الدّين بن الخطيب، ونفح الطّيب للمقّري .. كان ابن الأبّار قد أوردها في الحلّة، عدا مقطوعات قليلة فاته ذكرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا الحكّام الذين نظموا الشّعر بعد المائة السّابعة وأكثرهم من عصر بني الأحمر فقد وردت أخبارهم وأشعارهم في: كتابي لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، واللمحة البدريّة في أخبار الدّولة النّصريّة، وفي كتابي ابن الأحمر: نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، ونثير فرائد الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان المنشور، تحت عنوان: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثّامن.

وبعد الانتهاء من البحث في المصادر الأندلسيّة عن الحكّام الأندلسيين الذين نظموا الشّعر تبيّن أنّ عددا كبيرا منهم قد نظم الشّعر، وكان أكثرهم من : عصر الخلافة الأمويّة، وعصر ملوك الطّوائف، وعصر بني الأحمر .وقد جاء نتاجهم الشّعريّ متفاوتا من حيث القلّة والكثرة ، فكان بعضهم مقلا لم تتجاوز أشعاره المقطوعة أو المقطوعتين، وكان بعضهم مكثرا أوردت له المصادر مقطوعات وقصائد عدّة، وكان عدد قليل منهم من أصحاب الدّواوين.

ولمّا نظرت في أشعار الحكّام سواء منهم المكثر أو المقلّ، وجدت أنّها تساعد في مجملها على إعطاء صورة واضحة عن موضوعاتهم وأساليبهم الشّعريّة، وتسهم في الإجابة عن الأسئلة التي وضعتها الدّراسة.

أمّا فيما يتّصل بالدّراسات السّابقة التي تناولت الحكّام الأندلسيين الشّعراء ونتاجهم الشّعريّ بالبحث والدّراسة،فقد وجدت القليل منها،إلا أن تلك الدّراسات جاءت في مجملها عامّة حينا، أو متناولة شاعرا من الحكّام الأندلسيين مقتصرة عليه دون غيره من الشّعراء، أو متناولة شعراء عصر واحد من عصور الأندلس، أو عارضة لدراسة جانب واحد من جوانب موضوعاتهم الشّعريّة، مقتصرة على دراسته عند شاعر واحد منهم، لم تتجاوزه إلى غيره من الموضوعات، أو تدرسه عند أكثر من شاعر من الحكّام، ولم أقف على أي دراسة عرضت لأثر سلطة الحكم في نتاج أصحابها الشّعريّ، الأمر الذي شجّعني على القيام بهذه الدّراسة؛ علّها تحاول استكمال ما بدأته تلك الدّراسات، وتتمم النقص فيها، فتعرّف بالحكّام الأندلسيين الشّعراء، وتدرس أثر سلطة الحكم والموقع السّياسي لهؤلاء الشّعراء، وانعكاسه في جوانب حياتهم المختلفة، وفي نتاجهم الشّعريّ: مضمونا وأسلوبا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان من الدّراسات السّابقة، دراسة بعنوان : "الملوك الشّعراء " لجبرائيل سليمان جبور، قدّم فيها صورة عامّة للملوك الشّعراء، فبدأها بالحديث عن الشّعراء الملوك من بني أميّة، ثمّ من بني العبّاس والفاطميين، وختمها بالحديث عن الأمراء الأمويين في الأندلس، وعن بعض ملوك بني عبّاد: المعتضد والمعتمد. وقد جاءت هذه الدّراسة في مجملها عامّة، اكتفى فيها المؤلّف بعرض النّصوص الشّعريّة من المصادر، دون التّوسّع في دراسة المضامين أو الخصائص الأسلوبيّة عند أيّ شاعر من الشّعراء الملوك الذين ذكرهم، كما أنّها لم تقتصر على الشّعراء الملوك في الأندلس، بل شملت البلدان الغربيّة والعصور التّاريخيّة المختلفة.

ومن الدّراسات التي اقتصرت على دراسة الشّعراء الحكّام في عصر واحد دراسة إبراهيم بيضون " الأمراء الأمويون الشّعراء في الأندلس "، حيث قدّم فيها المؤلّف صورة للمجتمع الأندلسي من الفتح حتّى عصر الإمارة من الناحيتين التاريخيّة و الاجتماعية، ثمّ تحدّث عن الشّعراء غير الأمراء من الأسرة الأمويّة، ثمّ الشّعراء الأمراء، وأورد لهم أشعارا في موضوعات مختلفة، مكتفيا في الباب الأخير بدراسة خصائصها المضمونيّة.

ومن الأمثلة التي اقتصرت على شاعر واحد من الشّعراء الحكّام دراسة لزهدي يكن بعنوان " المعتمد بن عبّاد وشعراء عصره " ، تناول فيها المؤّلف الحديث عن المعتمد بن عبّاد وعن عدد من الشّعراء الذين اتّصلوا ببلاطه ، فبدأ بالحديث عن بني عبّاد وحكمهم في إشبيلية، ثمّ تحدّث عن المعتمد فتناول: نشأنه، وثقافته ، وحكمه، ومنزلته الأدبيّة، وشعره، وأورد له أشعارا في مواضيع متفرّقة، ثمّ تحدّث عن مجموعة من شعراء بلاطه وأورد شيئا من شعرهم، ومن هؤلاء الشّعراء: ابن عمّار، وابن زيدون، والحصري.

ومن الدّراسات التي جاءت مجملة وعامّة ومقتصرة على شاعر واحد، دراسة لمحمد رضوان الدّاية ضمّنها في كتاب " نثير فرائد الجمان " الذي عمل على تحقيقه، فجعله في جزأين أحدهما دراسة عن ابن الأحمر، وأفرد الجزء الآخر للنّص المحقّق لأحد كتبه هو "نثير فرائد الجمان "، أمّا القسم الأول من " نثير فرائد الجمان " وهو الذي يعنينا في هذا المقام، فقدّم فيه المؤلّف دراسة عن ابن الأحمر، فافتتحه بالحديث عن غرناطة في زمن بني نصر، متناولا الحالة السّياسيّة والاجتماعيّة بصورة موجزة، ثمّ عرض لحياة ابن الأحمر، وآثاره الأدبيّة، وموضوعاته الشّعريّة والنّثريّة، وختم هذا الجزء من الدّراسة بعرض أبرز آراء ابن الأحمر في النّقد والبلاغة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على الدّراسات التي اقتصرت على دراسة أشعار الحكّام من جانب واحد دراسة لصلاح جرّار بعنوان " أغماتيّات المعتمد بن عبّاد ورومياّت أبي فراس الحمداني: قراءة مقارنة " ضمّنها كتابه "قراءات في الشّعر الأندلسيّ"، وفيها عقد المؤلّف مقارنة بين شعر المعتمد بن عبّاد الذي نظمه في سجنه في أغمات، وشعر أبي فراس الحمداني الذي نظمه في سجنه لدى الرّوم مشيرا إلى أوجه التّلاقي والاختلاف بينهما في الموضوعات والأساليب .

ومنها دراسة لمحمود راشد يوسف مصطفى بعنوان : " الفخر عند يوسف الثّالث "، اقتصرت على تناول موضوع واحد من الموضوعات الشّعريّة في ديوان يوسف الثّالث، هو الفخر، فتحدّثت عن أنواع الفخر لديه، ثمّ تعرّضت في قسمها الثّاني لدراسة أسلوب الشّاعر ومذهبه الفنّيّ في شعر الفخر. ولم تعرض هذه الدّراسة لبقيّة الموضوعات في شعره إلا من زاوية حضور الفخر فيها.

أمّا المنهج الذي اتّبعته في هذه الدّراسة فإنّ موضوعها والأسئلة التي طرحتها استلزمت الاستفادة من أكثر من منهج، فاستعنت بالمنهج التّاريخيّ في التّعرّف على الحكّام الشّعراء، وحياتهم وجمع ما يتّصل بهم من أخبار وأحداث تاريخيّة انعكس أثرها في حياتهم ، كما استعانت بالمنهجين : الاجتماعيّ والنّفسيّ ، للنّظر في السّلطة بتقلّباتها المختلفة في حياتهم الخاصّة ونفسيّتهم ونتاجهم الشّعريّ، كما اعتمدت على التّحليل الأسلوبيّ للتعرّف على الملامح الأسلوبيّة التي اتّسمت بها أشعارهم، ووظّفت في هذا الجانب أيضا الإحصاء لرصد بعض الجوانب الأسلوبيّة والفنيّة التي تناولتها الدّراسة.

وقد جاءت هذه الدّراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، فتناولت في التّمهيد جهود الحكّام الأندلسيين في تشجيع الإنتاج العلميّ والأدبيّ، ومشاركتهم أنفسهم في ذلك الإبداع . وعرّفت الدّراسة في الفصل الأوّل بالحكّام الشّعراء، متناولة الحديث عن: حياتهم، ونشأتهم، وتكوينهم العلميّ، وأبرز الأحداث التي مرّت بهم. وتناولت في الثّاني موضوعات الحكّام الشّعريّة، فدرست أبرز المضامين التي عبّروا عنها، وكيف انعكس أثر موقعهم السّياسي في حياتهم، وكيف عبّرت مضامينهم الشّعرية عن ذلك. وتناولت الدّراسة في الفصل الثّالث الأساليب والخصائص الفنيّة التي اتّسمت بها أشعارهم، فتناولت منها: بنيّة النّص الشّعري، والصّورة الفنيّة، والتأثّر، والبنية الإيقاعيّة. وانتهت في الخاتمة إلى عرض خلاصة ما توصّلت إليه من دراسة أشعار الحكّام الأندلسيين: مضمونا وأسلوبا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّمهـــيد

أسهم الحكّام الأندلسيون إسهاما كبيرا في تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة، تعدّدت الطّرق التي انتهجوها في سبيل ذلك، فكان من أبرزها أمران : الأوّل، تقديم الدّعم الماديّ والمعنوي للعلماء والأدباء، والثّاني: مشاركتهم الأدباء والعلماء في الإنتاج العلمي والأدبي.

أمّا دعم الحكّام للعلماء والأدباء فاتخذ صورا عدّة، فمن الدّعم المادّيّ المتمثّل بتقديم الأموال والأعطيات من ضياع وقصور، إلى الدّعم المعنويّ المتمثّل بتقريب العلماء والأدباء من بلاطهم، وتوليتهم المناصب العليا في الدّولة، كالوزارة والكتابة والأعمال الدّيوانيّة والسّفارة وغيرها. حتّى أمست قرطبة في عهد الخلافة الأمويّة قبلة يقصدها العلماء والأدباء من أرجاء الأقطار الإسلاميّة كافة؛ وذلك لما كان يقدّمه حكّام بني أميّة للعلماء والأدباء من رعاية؛ حيث " كانوا يغدقون عليهم الجوائز والأعطيات ويجعلونهم وزراء وندماء وسفراء " (١)، وقد قدّم الخليفة الحكم المستنصر تشجيعا كبيرا للحركة العلميّة والأدبيّة ، ولم يكن ذلك التّشجيع من " خلال خطبة ألقاها على النّاس من على الجامع بضاحية الزّهراء، أو من خلال كتاب وجّهه إلى حكّام الأقاليم، بل كان تشجيعه عبارة عن أعمال جليلة كان لها أثر في حثّ الأندلسيين على طلب العلم " (٢).

ويمكّن إجمال الجهود التي بذلها المستنصر في الأمور التّالية: إقرار مبدأ إلزاميّة التّعليم، ورفع مستوى التّعليم في المساجد، ومكافأة المتفوّقين من الطّلاب، وتشجيع العلماء على التّأليف، واحترام العلماء، والحرص على جمع الكتب (٣).

وفي عهد المنصور بن أبي عامر حظيت الحياة الأدبيّة بالنّصيب الأوفر من الرّعاية والاهتمام، إذ أنشأ ديوانا للشّعراء " يرزقون منه على مراتبهم ولا يخلّون بالخدمة بالشّعر في مظانّها " ، ويمتدح إحسان عبّاس جهد المنصور ذلك ويصفه بالمنظّم ويشير إلى أهميّته ودوره في ازدهار الحركة الشّعريّة، وذلك " بإشاعة روح التّنافس بين الشّعراء للوصول إليه (٤).

---

١ . جرّار ، صلاح ، قراءات في الشّعر الأندلسيّ ، دار المسيرة ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٧ ص ٧١.
٢ . أبو صالح ، وائل ، مجلّة دراسات أندلسيّة ، بحث بعنوان : جهود الحكم المستنصر في تطوّر الحركة العلميّة والأدبيّة ، عدد٤ ، ١٩٩٤، ص ٣٢.
٣ . ينظر تفصيل تلك الجهود في المرجع السّابق ص٢٣-٤٣.
٤ . عبّاس ، إحسان ، الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط١، الإصدار الثّاني ، عمّان ، دار الشّروق ، ٢٠٠١، ص ٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي عهد ملوك الطّوائف بلغت رعاية العلماء والأدباء ذروتها ؛ إذ تعدّدت الرّوافد التي تمدّ النّشاط العلمي والأدبي بالدّعم والرّعاية، وقد كان لتمزّق الكيان السّياسيّ الواحد إلى دويلات عدّة أثر في ذلك، حيث " لمعت في ميدان العلوم والآداب مدن وأقاليم لم تكن ذات مجد يذكر في عصر الإمارة والخلافة من أمثال دانية، وبلنسية، ومرسية، وبطليوس، وسرقسطة، وطليطلة وغيرها " (١). وقد أشار الشّقنديّ إلى دور التّنافس الكبير بين ملوك الطّوائف في تشجيع العلماء والأدباء، فذكر أنّه " كان في تفرّقهم اجتماع على النّعم لفضلاء العباد، إذ نفّقوا سوق العلوم، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول: العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشّاعر الفلاني مختصّ بالملك الفلاني، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم، ونبّهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدّهر بنائم " (٢)، ولقد حظي الشّعراء بمكانة كبيرة عند ملوك الطّوائف؛ إذ تنافسوا في تقريبهم وإغداق العطاء عليهم " ولم تزل الشّعراء تتهادى بينهم تهادي النّواسم بين الرّياض وتفتك في أموالهم فتكة البرّاض*، حتى إنّ أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة إلا بمائة دينار، وأن المعتضد بن عبّاد على ما اشتهر من سطوته وإفراط هيبته كلّفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه في قسمه " (٣).

وفي عصر المرابطين لم يظهر للحكّام في تشجيع العلماء والأدباء ذلك الدّور الكبير الذي وجدناه للحكّام في العصور السّالفة، فلم " يبلغ لديهم تشجيع الأدب والتأليف عامّة والشّعر خاصّة ما بلغه الحال في بلاط بني عبّاد " (٤)، وقد قابل المستشرق دوزي بين الازدهار الحضاري والفكري الذي كان في عصر ملوك الطّوائف وبين الحال التي وصل إليها في عصر المرابطين،فصوّر"استيلاء المرابطين على ممالك الطّوائف تصويرا حالك السّواد: فجعل هؤلاء الأفارقة متبربرين أغاروا على البلاد وقضوا على الإزدهار الحضاري الفكري الذي تمتّعت به في عصر الطّوائف "(٥).

---

١ .علي بن محمّد، النّثر الفنّي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، ط١، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠، ص ٩٤.

٢ المقّري، أحمد بن محمّد التّلمساني ،نفح الطّيب، ط١، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص ١٩٠.

* البرّاض : الذي يأكل كلّ شيء من ماله ويفسده .

٣ . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣، ص ١٩٠ .

٤ . عبّاس ، إحسان ، الأدب الأندلسي عصر الطّوائف والمرابطين ، ط١، الإصدار الثّاني ، عمّان ، دار الشّروق، ٢٠٠١، ص٦٢.

٥ . بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانيّة حسين مؤنس، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأشار دوزي إلى تراجع الشّعر في هذا العصر ودور الحكّام في ذلك التّراجع، ذاكرا منهم علي المرابطي ،فقال " ففي ظلّ هذا الرّجل التّافه حلّت النّساء والفقهاء محل كبار النّاس وأشرافهم . وكان الشّعر صورة صادقة للعصر؛ فانتقل من القوّة وخلو البال واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتّدين"([1]) و.قد كان الشّقندي من قبل قد سَخِر من جهل الحكام المرابطين بالشعر، فقال في رسالته التي فاخر فيها بالأندلس على برّ العدوة : " وبالله إلا سمّيتَ لي بمن تفخرون قبل هذه الدّعوة المهديّة: أبسقوت الحاجب ؟أم بصالح البرغواطي ؟ أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسّط ابن عبّاد بشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكرا، ولا رفعوا لملكه قدرا؟ وبعدما ذكّروه بوساطة المعتمد فإن المعتمد قال له وقد أنشدوه : أيعلم أمير المسلمين ما قالوه ؟ قال لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخبز، ولمّا انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها :

بنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفّت مآقينا

حالت لفقدكُمُ أيّامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا لياليا

فلمّا قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ: يطلب منّا جواري سودا وبيضا، قال : لا يا مولانا ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لأنّ ليالي السّرور بيض،... فقال : والله جيد، اكتب له في جوابه : إن دموعنا تجري عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده " ([2]) .

لقد أتى إحسان عباس وصلاح جرّار على كلام الشّقندي السّابق ووجدا أنّه جاء بُغضا ومعاداة للمرابطين، فذكر عبّاس أنّ: " الأمر لا يعدو أن يكون نادرة تقال على سبيل الضّحك والتّسلية، لأن ابن تاشفين لم يكن يحسن العربيّة، وما من شك في أن أهل المغرب كانوا أقل حضارة وأقل نصيبا من تقدير الشّعر من أهل الأندلس، ولكن هذه الأخبار تدل على نقمة الأندلسيين على المرابطين بأكثر ممّا تدل على تغيّر حال الأدباء والشّعراء يومئذ، فالشّعراء الذين أدركوا المرابطين هم الشّعراء الذين كانوا في ظلال أمراء الطّوائف " ([3]). وذكر جرّار أنّ الصّورة التي رسمها الشّقندي للمرابطين فيها " تشويه مقصود لابن تاشفين، لأنّ الشّقندي ألّف رسالته هذه بطلب من أمير سبتة الموحّدي، وكان الموحّدون يبغضون المرابطين ويعادونهم " ([4]).

---

[1] . نفسه ، ص ٥٣.
[2] . المقّري، نفح الطّيب، ج٣، ص١٩١
[3] . عبّاس ، إحسان ، الأدب الأندلسي عصر الطّوائف والمرابطين ، ص ٦٣
[4] . جرّار ، صلاح ، قراءات في الشّعر الأندلسيّ، ص٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ربّما تكون رعاية المرابطين للحركة العلميّة والأدبيّة قليلة قياسا بمن سبقهم، ولكنّ ذلك لا يعني أنّهم لم يقدّموا شيئا لدعم الحركة العلميّة والأدبيّة، فقد ذكر المراكشي في المعجب أنّ يوسف بن تاشفين قد انقطع إليه " من أهل كلّ علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم "([1])، وذكر أنّه " اجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتّفق اجتماعه في عصر من الأعصار "([2])، ويجد جرّار أنّ هذه الأخبار التي أوردها المراكشي على ما فيها من مبالغة " تظلّ مؤشّرا على وجود نشاط أدبي ذي شأن في بلاط أمراء المرابطين، على الأقل نظرا إلى حاجة الدّولة إلى عدد من الكتّاب والشّعراء كما هو شأن جميع الدّول " ([3])، وذكر جرّار أنّ هناك " شواهد كثيرة تدلّ على مشاركة ولاة المرابطين في مجالس الشّعر والتّوشيح في الأندلس منهم الزّبير بن عمر اللمتوني ، وأبو بكر إبراهيم بن تيفلويت صهر علي بن يوسف بن تاشفين، وأبو عبد الله محمّد بن عائشة صاحب أعمال بلنسية "([4]).

وفي عهد الموحّدين أسهم الحكّام إسهاما كبيرا في تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة، الأمر الذي ساعد على تطوّرها وازدهارها في مجالات متعدّدة: العلوم الدّينيّة، والعلوم اللغويّة، والفلسفة، والطّب والفلك*. كما ازدهرت في هذا العصر الحياة الأدبيّة ازدهارا واضحا شمل " كلّ مجالات الأدب من شعر وموشّح وزجل ونثر، وكان من أهمّ بواعث هذا الازدهار تشجيع الدّولة الموحّديّة للأدب، فقد كان أمراؤها على حظّ كبير من العلم والثّقافة

وفي عهد بني الأحمر لم يتوانَ الحكّام عن تقديم الدّعم والرّعاية للعلماء والأدباء، حتى ظهرت آثار ذلك واضحة في نتاج العصر العلمي والأدبي، فعن أثر تشجيع الدّولة للحركة العلميّة والأدبيّة جاء في أزهار الرّياض : إنّها " فتّقت اللَّهى باللُّهى، وأحلّت من مراقي العزّ فوق السّها، وأمكنت الأيدي من الذّخائر والأعلاق، وطوّقت المنن كالقلائد في الأعناق، وقلّدت الرّئاسة والأقلام أقلام، وثنت الوزارة والأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن، وَوُرد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن، وبرعت التّواليف في الفنون المتعدّدة واشتهرت التّصانيف"([5])

---

[1] . المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلميّة ، لبنان ، ١٩٩٨، ص ١١٥.
[2] . نفسه
[3] . جرّار ، صلاح ، قراءات في الشّعر الأندلسي ، ص ٤١.
[4] . نفسه
* ينظر تفصيل جهود الموحّدين في هذه المجالات في : الشّعر الأندلسيّ في عصر الموحدين، ص ٦٣ / ٩١ .
[5] . المقّريّ ، أزهار الرّياض ، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين ،ج١، ص٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكـان تشـجيع حكّـام بنـي الأحمـر للعلـم والأدب مـن أهـم العوامـل التـي أسـهمت فـي تطورهما وازدهارهما، فقد ذكر عبد الحميد الهرّامة أنّه كانت لهم " إسهاماتهم في مجال تشجيع الأدب وإنشائه، وضمّت بلاطاتهم طائفة مهمّة من الكتاب والشّعراء أمثال : أبي الحسن بن الجيّاب، وأبي بكر بن شبرين، وأبي عبد الله بن عاصم، وأبي عبد الله اللوشي، وأبي جعفر بن صفوان... ولسان الدّين بن الخطيب، وأبي عبد الله بن زمرك، وأبي بكر بن عاصم ، وغيرهم ممّن اشتغل من الأدباء بوظائف الوزارة أو الكتابة لهذه الدّولة "([1]) . ويشير صلاح جرّار إلى دور حكّام بني الأحمر في تشجيع العلماء والأدباء حيث يقول:" أمّا العوامل التي أثّرت إيجابا على الشّعر في عصر بني الأحمر ، فكان أهمّها رعاية ملوك بني الأحمر للأدب والأدباء ، فقد كان معظم هؤلاء الملوك إمّا أدباء أو محبّين للأدب، فقد كان محمّد الأوّل(ت ٦٧١هـ) يعقد مجلسا أسبوعيّا لوزرائه وكتّابه وشعرائه، ومنهم الحسن علي بن محمّد الرّعيني، وأبو بكر بن خطّاب، وأبو عمر اللوشي" ([2]) .

إنّ تشجيع الحكّام الأندلسيين للعلماء والأدباء كان من أهمّ العوامل التي أسهمت في الإبداع العلمي والأدبي، إذ لم يكد يخلو بلاطهم من العلماء والأدباء: كتابا وشعراء، الأمر الذي جعل الوصول إلى بلاطهم والدّخول في حاشيتهم غاية يسعى إليها الكلّ من حولهم، الأمر الذي بثّ روح المنافسة والإبداع في سائر أبواب العلم والمعرفة، والشّعر على وجه مخصوص .

ويبدو أنّ دعم الحكّام وتشجيعهم للحركة العلميّة والأدبيّة لم يحفّز العلماء والأدباء وحدهم على الإبداع، وإنّما جعل الحكّام أنفسهم يتأثّرون بالبيئة العلميّة والأدبيّة المحيطة بهم، فتولّدت لديهم رغبة في مشاركة المبدعين إبداعهم. ويأتي انفعال الحكّام واندغامهم مع المبدعين من حولهم لأنّ " الفن والشّعر خاصّة منفعل بانفعال الإنسان بالبيئة الطبيعيّة من حوله، وبالبيئة الاجتماعيّة التي يتحرّك في بوتقتها، متأثّر بكل ما يطبع هذه البيئة أو تلك من سمات ومميّزات " ([3]) .

---

[1] . الهرّامّة ، عبد الحميد ،القصيدة الأندلسيّة خلال القرن الثّامن الهجريّ ، ط٢، طرابلس ، دار الكاتب ، ج١ ، ص ٢٢.

[2] . جرّار ، صلاح ، قراءات في الشّعر الأندلسي ، ص ٤٨ . وينظر في المرجع نفسه تفصيل الجهود التي بذلها حكّام بني الأحمر ومشاركتهم في الحركة الأدبيّة ص٤٨/ ٥٠.

[3] . عاصي ، ميشال ، الشّعر والبيئة في الأندلس ، ط١، منشورات المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر ، بيروت ، ص٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ انفعال الحكّام الأندلسيين مع البيئة الإبداعيّة المحيطة بهم يمكن أن يكون من الدّوافع الكبيرة التي أسهمت في مشاركتهم الشّعراء في ميدان النّظم، فظهر من بينهم عدد غير قليل من الشّعراء، حتّى إن عددا من أُسر الحكّام : كالأمويين وبني عبّاد وبني نصر – مثلاـ كان أكثر أفرادها من الشّعراء، فبدوا في دعمهم للأدب ومشاركتهم في الإنتاج الأدبي كأنّهم قد توارثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم .

ولعلّ لظهور الحكّام في ميدان الشّعر ومشاركتهم للشّعراء في النّظم دوافعَ أخرى منها: إنّهم حاولوا خلق نوع من التّواصل الفكري والوظيفيّ بمشاركتهم الشّعراء إبداعهم الشّعري مع من يحيط بهم، فرجالهم المحيطون بهم كانوا قد اختاروهم من أهل العلم والأدب ؛لذا اتّخذوا من الشّعر وسيلة للتّواصل معهم ، سواء في تدبير شؤون الملك أو في المجالس التي كانوا يلتقون فيها خارج نطاق الحكم .

ومن الدّوافع الأخرى التي شجّعت الحكّام على نظم الشّعر من جهة، وتشجيع الشّعراء وتقديم الدّعم لهم من جهة أخرى ، أنّهم اتّخذوا من نظم الشّعر وسيلة إعلاميّة يتواصلون بها مع من حولهم ، فبه يتوسّلون لإيصال ما يريدون إيصاله من أفكار وسياسات، تبيّن رؤاهم ومواقفهم تجاه ما يدور حولهم، أو يجول في خاطرهم، فيعبّرون عن ذلك بألسنتهم هم. وأمّا تشجيعهم للشّعراء فلكي يتّخذوا من الشّعراء وسيلة دفاعيّة ،فكانوا يستّحثّونهم على النّظم فيهم وامتداحهم ، والوقوف إلى جانبهم في لحظات الفتن الدّاخليّة،و الصّراعات السّياسيّة التي لم يكد يسلم منها عصر من عصور الأندلس .

لقد جاء الكلام فيما تقدّم عن دور الحكّام الأندلسيين في تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة، ومشاركتهم في الإبداع الشّعري ودوافعه عامّا ومجملا، ذلك لأنّ هذه الدّراسة ستستوفي الحديث عن الحكّام الأندلسيين الشّعراء، وستعرّف بهم وبنتاجهم الشّعري: مضمونا وأسلوبا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأوّل

الشّعراء الملوك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تنطلق هذه الدّراسة من فرضية مفادها أنّ هذه الطّائفة من الشّعراء الذين اعتلوا سدّة الحكم في الأندلس من الأمراء والملوك ـ على اختلاف الألقاب التي كانوا ينادون بها من: خليفة أو ملك أو سلطان أو أمير _ لها طبيعة حياة تختلف اختلافا واضحا من :النّاحية السّياسيّة والاجتماعية والنّفسيّة ..، الأمر الذي يجعل من شعرهم ميدانا للنّظر في أثر الموقع الاجتماعي لهؤلاء الشّعراء في أشعارهم: مضمونا وأسلوبا.

ولمّا كانت حياة هذه الطّائفة من الشّعراء متباينة عن غيرها، فإنّ إلقاء الضّوء عليها لاسيما من النّواحي التي ربما يكون لها أثر واضح في شعرهم ضرورة لا بدّ منها في هذه الدّراسة.

وعلاوة على ذلك فإن أكثر هؤلاء الشّعراء لم يحظَ باهتمام الدّارسين، ولا يجد لهم الباحث ذكرا سوى في الكتب التي ترجمت لهم، ممّا يجعل جمع هذه الطّائفة من الشّعراء والتّعريف بها ضرورة لهذه الدّراسة، وللدّراسات الأخرى التي تتناول حياة الّشعراء وأشعارهم بالبحث والتّحليل .

وستعرّف الدّراسة بالشّعراء من الملوك والأمراء الأندلسيين مرتّبين تاريخيّا حسب تتابع العصور التّاريخيّة في الأندلس.

بلغ عدد الشّعراء من الملوك والأمراء في الأندلس ما يقارب أربعين شاعرا، جُمعوا من كتب التّراجم والمصادر الأدبيّة الأندلسيّ، وأهمّها: الحلّة السّيراء، المغرب في حلى المغرب،والمعجب، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، والذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،وقلائد العقيان،و الإحاطة في أخبار غرناطة، وأعمال الأعلام ..وغيرها من المصادر الأخرى.

ولم يكن هؤلاء الشّعراء كلّهم من المكثرين أو أصحاب الدّواوين ، إنّما بعضهم فقط، وهم: المعتضد، والمعتمد، ويوسف الثّالث، وإسماعل ابن الأحمر، الذي وردت مجموعة كبيرة من شعره في كتابيه: نثير فرائد الجمان، ونثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان . وأما بقيّتهم فجاءت أشعارهم مبثوثة في ثنايا الكتب التي ترجمت لهم، و في غيرها من المصادر الأندلسيّة القديمة، متفاوتة من حيث القلّة والكثرة، إذ لم يعثر لبعضهم إلا على أبيات قليلة لا تتجاوز المقطوعة أو المقطوعتين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيما يأتي التّعريف بهؤلاء الشّعراء:

الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطّار:

ذكره المقّري بين أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية [١]، وذكر ابن الأبّار أنه ولي إمارة الأندلس سنة ١٢٥هـ، من قبل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والي إفريقية لهشام بن عبد الملك، ثم للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان الكلبي أخي حنظلة، ويقال إن أهل الأندلس الشّاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والي إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم واليا يجتمعون عليه فبعث أبا الخطّار [٢] . ولم يقدّم أبو الخطّار في ولايته شيئا على تفريق جمع العرب الشّاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة ، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع البلديين على شِبه منازلهم في كُوَر شامهم [٣].

وكان أبو الخطّار في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الأندلس إلى أن مالت به العصبيّة اليمانيّة على المضريّة [٤] ، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب الأندلس، وذلك سنة ١٢٨ هـ[٥].

ويذكر المقّري أن أبا الخطّار مع فروسيته كان شاعرا محسّنا [٦]، وقد أورد له ابن الأبّار بعض المقطوعات .

---

١ . المقّري ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب ، ج١ ص٢٩٨/٢٩٩

٢ . ابن الأبّار ، محمد بن عبد الله القضاعي ، الحلّة السّيراء ، ط٢، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ٦١.

٣ . نفسه

٤ . المقّري، نفح الطّيب، ج ٣، ص٢٥.

٥ . ابن الأبّار ، الحلة ، ج١ ، ص ٦٤.

٦ . المقّري، نفح الطّيب، ج٣، ص ٢٢/ ٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الرّحمن الدّاخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان :

الدّاخل إلى الأندلس، ويقال له "صقر قريش " سمّاه أبو جعفر المنصور بذلك ، وكنيته أبو المطرّف، وهو الأشهر، وقيل: أبو زيد، وقيل :أبو سليمان (١)

مولده بالشّام سنة ثلاث عشرة ومائة، أمه أم ولد اسمها راح (٢). هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب، وتردّد بنواحي إفريقية، وأقام دهرا في أخواله "نَفْزة" من قبائل البربر، ثم لحق بالأندلس في غرّة شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٨ هـ، وهزم أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة من هذه السّنة، واستوسقت له الخلافة وهو ابن ست وعشرين سنة (٣).

كان عبد الرّحمن الدّاخل من أهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل (٤)، وعنه قال المقّري: كان راجح العلم، فاسح الحلم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، لا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعا مقداما، .. وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره، وكان قد أعطي هيبة من وليِّه وعدوِّه (٥). وكان أديبا بليغا، حسن التّوقيع، جيّد الفصول، مطبوع الشّعر(٦) وذكر المراكشي وابن عذاري أن له شعرا كثيرا مشهورا (٧).

وكانت وفاة عبد الرّحمن الدّاخل يوم الثّلاثاء لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧٢هـ ، ودفن بالقصر من قرطبة، وكانت مدة ملكه، ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر، وكان قد عقد الخلافة لابنيه هشام وسليمان (٨).

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١،ص ٣٥

٢ . الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية ، ١٩٨٣، ص٣٨.

٣ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١،ص ٣٥

٤ . المراكشي ، عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٥.

٥ . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣، ص٣٧.

٦ . ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.كولان ، ليفي بروفنسال ، ١٩٥١، ج٢، ص٥٨.

٧ . ابن سعيد، المغرب ، ج٢ ، ص٦٠، والمراكشي ، المعجب ، ص ١٦.

٨ . ابن الخطيب، لسان الدّين ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط١، مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص ١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية :

ولد بقرطبة لأربع خلون من شوّال سنة ١٣٩ هـ، ويُعرف بالرّضا، لعدله وفضله، ويكنى" أبا الوليد " (١).

ولي الخلافة بعد أبيه مستهل جمادى الأولى من عام ١٧٢هـ ، وكان عند وفاة أبيه بمدينة ماردة واليا عليها، فلمّا وصله خبر وفاة أبيه وصل قرطبة قبل أخيه الأكبر سليمان، فبايعه العامّة والخاصة، ولمّا وصل خبر ذلك لسليمان حشد له الحشود وجنّد الجنود يريد قرطبة مخالفا لأخيه، وخرج إليه هشام في أجناده، فوقعت بينهما حرب انهزم فيها سليمان وفرّ على وجهه، وقفل هشام إلى قرطبة منتصرا على أخيه (٢).

ويذكر ابن عذاري بعض صفات هشام الخَلقيّة والخُلقيّة ، فمنها أنّه كان: أبيض مشرب بحمرة ، بعينه حول ،(٣) سبط البنان، فصيح اللسان، وسيع الجناب ،حاكما بالسّنة والكتاب(٤) ويقول المقّري عنه : كان إذا حضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا وذكرا لأمور الحرب ومواقف الأبطال (٥).

ويذكر ابن الأبّار أن هشاما وأخاه سليمان كانا يتناوبان في حضور مجلس أبيهما، فإذا كان يوم هشام " تأهّب حاضرو المجلس من كبار أهل المملكة *والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب مثل أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية تدبير أو إحماد سيرة، وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كلّه وانبسط الحاضرون في غثّ الأحاديث وأخذوا في الدّعابة (٦).

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٤٢.

٢ . ينظر في تفصيل هذا الحدث في البيان المغرب ، ج٢،ص ٦٠، وفي أعمال الأعلام ، ص ١١.

٣ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص ٦١

٤ . نفسه، ص ٦٥.

٥ . المقّري، نفح الطّيب، ج١، ص ٣٣٤.

* كلام ناقص في الأصل

٦ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١ ، ص ٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان هشام شاعرا أورد له ابن الأبّار مجموعة من الأبيات أثنى عليها، وذكر أنّه لم يعثر له على سواها [١].وكانت وفاة هشام سنة ١٨٠ هـ، ودفن بالقصر في قرطبة [٢]"

الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية المعروف بالرّبضي:

كنيته أبو العاص، ولد سنة ١٥٤هـ، أمه أم ولد اسمها زخرف [٣]، ولي الأندلس بعد أبيه وهو ابن ست وعشرين سنة [٤].

كان أفحل بني أميّة بالأندلس وأشدهم إقداما وصرامة وأنفة وأبّهة وعزّة، إلى ما جمع لذلك من جودة الضّبط وحسن السّياسة وإيثار النّصفة، وكان يشبّه بالمنصور العبّاسي في شدّة الملك وقهر الأعداء، وتوطيد الدّولة، وهو أوّل من استكثر من الحشم والحفد، وارتبط الخيول على بابه، وناوأ جبابرة الملوك من أحواله .. وكان يستريح إلى لذّاته من غير إفحاش[٥] .

وذكر الحميدي في جذوة المقتبس أنّه كان طاغيا مسرفا وله آثار سوء قبيحة، وهو الذي أوقع بأهل الرّبض الواقعة المشهورة فقتّلهم، وهدم ديارهم ومساجدهم، وكان الرّبض محلّة متّصلة بقصره، فاتّهمهم في بعض أمره، ففعل بهم ذلك، فسمي الحكم الرّبضي لذلك [٦] .

وكان الحكم على فظاظته شاعرا مطبوعا [٧]، أديبا متفنّنا خطيبا مفوّها، وشاعرا مجوّدا تُحْذر صولاته، وتُسْتندر أبياته[٨]، وله في المصادر التي ترجمت له مقطوعات شعريّة في موضوعات مختلفة .

وتوفي الحكم يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦، وكان لمّا دنت وفاته عتب نفسه فيما تقدّم منه وتاب إلى الله متابا ورجع إلى الطّريقة المثلى [٩] .

---

[١] . ابن الأبّار ، ح١ ، ص٤٣.

[٢] . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٦٥.

[٣] . ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج٢، ص ٣٨.

[٤] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٤٢.

[٥] . ابن سعيد ، المغرب ، ج١، ص٣٨/ ٣٩.

[٦] . الحميدي، جذوة المقتبس ، ص١٠،

[٧] . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعمال، ١٧.

[٨] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١ ،ص ٤٣.

[٩] . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام الرّضا بن عبد الرّحمن الدّاخل أبو المطرّف:

هو عبد الرّحمن الأوسط ،الرّابع من خلفاء بني أميّة بالأندلس، بويع يوم وفاة أبيه الحكم الخميس لثلاث وقيل لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ، وعمره وقتذاك ثلاثون سنة، أمه أم ولد اسمها حلاوة [١] .

عني أبوه بتعليمه وتخريجه في العلوم القديمة والحديثة، وكان من أهل التّلاوة للقرآن والاستظهار للحديث [٢] .

وهو أوّل من جرى على سنن الخلفاء في الزّينة والشّكل وترتيب الخدمة، وكسى الخلافة أبّهة الجلالة فشيّد القصور، وجلب إليها المياه وبنى الرّصيف، وعمل عليه السّقائف، وبنى المساجد والجوامع بالأندلس، واتخذ السّكة في قرطبة وفخّم ملكه، وفي أيّامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء، وسيق ذلك من بغداد وغيرها [٣] .

وكان أبو المطرّف كثير الميل للنّساء، فاستكثر من الجواري، وكثر لذلك أولاده، فكان له من الذّكور خمسة وأربعون ومن الإناث اثنتان وأربعون[٤]، ومن أكثر جواريه قربا من نفسه جارية اسمها طروب، كان دنفا بها، مغدقا عليها العطاء، ومن ذلك أنّه أعطاها حليّا قيمته مائة ألف دينار، فقيل له : إن مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزانة الملك، فقال : إن لابسه أنفس منه خطرا، وأرفع قدرا، وأكرم جوهرا [٥] .

وكان شاعرا أديبا ذا همّة عالية [٦] وكان معظم شعره في الغزل بجاريته طروب. التزم إكرام أهل العلم والأدب والشّعر في دولته، وإسعافهم في مطالبهم كلها، فعاش بخير وكانت رعيته بخير [٧] .

---

[١] . الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص١٠.

[٢] . ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٥.

[٣] . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ،ص ٤٥.

[٤] . المقّري، نفح الطّيب، ج١، ص ٣٤٩، البيان المغرب، ج٢، ص٨١.

[٥] . المقّري، نفح الطّيب، ج ١، ٣٤٩.

[٦] . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ٩١.

[٧] . ابن القوطيّة ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٩،ص ٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت وفاته ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأولى سنة ٢٣٨هـ، وعمره اثنان وستون عاما، وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيّام (١).

ولأبي المطرّف ولدان شاعران أحدهما: اسمه يعقوب، ويكنّى أبو قصيّ، ذكره ابن الأبّار وأورد له بعض الأشعار، وقال عنه: كان أديبا شاعرا مطبوعا كلفا بالعلوم ، جوادا لا يليق* شيئا (٢). وثانيهما :اسمه بشر، ذكر ابن الأبّار أنّه كان شاعرا، وأورد له بعض الأشعار(٣).

محمّد بن عبد الرّحمن الحكم :

كنيته أبو محمّد، ولد في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ، وبويع له في صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه يوم الخميس غرّة شهر ربيع الأوّل سنة ٢٣٨ هـ، وهو ابن ثلاثين سنة (٤) .

كان أيمن الخلفاء بالأندلس ملكا، وأسراهم نفسا، وأكثرهم تثبّتا وأناة، وكان السّعي عنده ساقطا، وكان غزّاء لأهل الشّرك والاختلاف (٥).

وكان فصيحا بليغا، عظيم الأناة مستنزها عن القبيح، يؤثر الحق وأهله (٦)، وذكر ابن الأبّار أنّه جمع إضافة إلى الخلال الشريفة: البلاغة والأدب، وأورد له بعض الأشعار(٧)، وكانت وفاته في آخر صفر سنة ٢٧٣هـ (٨) .

---

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٨١ .

* يقال : فلان ما يليق شيئا من سخائه،أي ما يمسك.

٢ . ابنّ الأبّار ، الحلة السّيراء ، ج١ ، ص ١٢٤/١٢٥.

٣ . نفسه ، ج١ ،ص١٢٨.

٤ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٩٣/٩٤. الحلّة السّيراء ، ج١،ص١١٩.

٥ . ابن الأبّار ، الحلة ، ج١، ص١١٩.

٦ . ابن عذاري ، ج٢ ، ص ١١١.

٧ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص١١٩.

٨ . ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-

عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن الحكم :

كنيته أبو محمّد، ولد في النّصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩هـ (١)، ولي الخلافة بعد أخيه أبي الحكم المنذر بن محمّد في صفر سنة ٢٧٥هـ (٢).

وفي أيّامه اضطرمت نار الفتنة في الأندلس، فتنغّص عليه ملكه (٣)، وجاء على لسان الإمام ابن حزم أنّه: كان قتّالا، تهون عليه الدّماء، مع ما كان يظهره من عفّته، فإنّه احتال على أخيه المنذر لمّا قصده بالعسكر، وواطأ عليه حجّاما سمّ المبضع الذي فصده به، ثمّ قتل ولديه معا بالسّيف واحدا بعد واحد، وقتل أخاه القاسم ثالثهم، إلى من قتل من غيرهم (٤) .

ولم تكن الخلافة أيّامه بخير؛ إذ تحيّف النّكث أطرافها واقتسمها الثّوّار، وكلب عليها الأشرار، ولم يبقَ منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها (٥) وصار في كلّ جهة متغلّب، فلم يزل كذلك طول ولايته .

وكان أبو محمّد أديبا شاعرا بليغا، بصيرا باللغة والغريب، وأيّام العرب (٦)،وقال ابن عذاري: إنّه كان شاعرا مطبوعا، له أشعار حسان (٧).وتوفي أبومحمّد سنة ٣٠٠هـ ، وهو ابن اثنتين وسبعين، فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة وخمسة عشر يوما (٨) .

ولأبي محمّد إخوة شعراء ذكرهم ابن الأبار، وأورد منهم: القاسم ابن الأمير محمّد، وكنيته أبو محمّد، كان من الأدباء الشّعراء إلا أنّه مقل، وكان أحد الجبابرة الموصوفين، شديد البأو تيّاها، قبض عليه أخوه الأمير عبد الله فمات في حبسه مسموما (٩) .

ومنهم المطرّف ابن الأمير محمّد، وكان قد برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة، وتوفّي معتَبَطا في حياة أبيه، وكان من آدب ولد الأمير محمّد وأشعرهم

ومنهم إبراهيم ابن الأمير محمّد، ذكره ابن الأبّار ولم يزد على ذكر اسمه سوى مجموعة من الأبيات التي نظمها

---

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٢٠.

٢ . ابن الأبّار ، ج١ ، ص ١٢٠.

٣ . نفسه.

٤ . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعمال، ص ٢٦.

٥ . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعلام، ص ٢٧.

٦ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١٢٠.

٧ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٥٤.

٨ . نفسه ، ص ١٢١.

٩ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سعيد بن جودي السّعدي أبو عثمان :

نصّبته العرب أميرا على إلبيرة بعد قتل سوّار بن حمدون*، وعلّقت آمالها به ، ولكنّه لم يسدّ مكانه ولا بلغ مداه في السّياسة. وكان شجاعا بطلا وفارسا، ذكر له ابن الأبّار عشر خصال انفرد بها في زمانه لا يُدفع عنها: الجود والشّجاعة والفروسيّة، والجمال، والشّعر، والخطابة، والشّدة، والطّعن، والضّرب، والرّماية.

وذكرابن الأبّار أنّه كان مع رئاسته وشجاعته شاعرا مؤلّفا، وخطيبا مِصْقَعا، فصيح اللسان، واسع الأدب والمعرفة، يضرب في صنعة الشّعر بسُهمة وافرة، ويتصرّف من سبله بكل منيعة. وقُتل غيلة بأيدي بعض أصحابه في ذي القعدة سنة ٢٨٤هـ.

عبد الرّحمن بن محمّد النّاصر لدين الله :

هو عبد الرّحمن بن محمّد ابن الأمير عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن الحكم الرّبضي، كنيته أبو المطرّف، ولقبه النّاصر لدين الله،أمه أم ولد اسمها مزنة (١). وذكر ابن الأبّار في الحلّة السّيراء أنّه كان "أعظم بني أميّة سلطانا، وأفخمهم في القديم والحديث شأنا، وأطولهم في الخلافة – بل أطول ملوك الإسلام قبله- مدّة وزمانا، ولي بقرطبة مستهل شهر ربيع الأوّل سنة ٣٠٠هـ، بعد وفاة جدّه الأمير عبد الله بن محمّد (٢).

وكان النّاصر لدين الله أوّل من تسمّى من ملوك بني أميّة في الأندلس بأمير المؤمنين، ثم اقتفاه من جاء بعده، وذلك عندما ضعفت الدّولة العباسيّة (٣) .

وكانت الأندلس عندما وليها النّاصر لدين الله جمرة تحتدم، ونارا تضطرم شقاقا ونفاقا، فأخمد نيرانها وسكّن زلازلها، وغزا غزوات كثيرة، وكان يشبّه بعبد الرّحمن الدّاخل (٤).

---

* ترجم له ابن الأبار في الحلة ، فذكر أنّه من محارب بن خَصَفة بن قيس عَيْلان، ثار بناحية البَراجِلة من كورة إلبيرة في سنة ٢٦٧ه،وهي السّنة الثّانية من ولاية الأمير عبد الله بن محمّد،وانضوت إليه بيوتات العرب من إلبيرة، وجيّان وريّة وغيرها، عندما تميّزت الأحزاب بالعصبيّة وشبّوا نار الفتنة، قتل في صدر سنة ٢٧٧هـ ، فكان أمده في رئاسته نحو عام ،ينظر الحلّة ، ج١، ص١٤٧/١٥٤.

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢،ص١٥٦.

٢ . ابن الأبّار، الحلّة ، ج١، ص ١٩٧.

٣ . ابن الخطيب، لسان الدّين ، أعمال الأعمال، ص ٢٩.

٤ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٥٦/١٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان النّاصر لدين الله ممدّحا، جوادا سعيد الحياة [1]، وذكر ابن الأبّار أنّه كان على علاء جانبه واستيلاء هيبته يرتاح للشّعر وينبسط لأهله، ويراجع من خاطبه به من خاصته [2].

وتوفّي النّاصر ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٣٥٠هـ، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيّام [3].

وقد كان من عقب النّاصر أبناء وأحفاد من الشّعراء، منهم من تولّى السّيادة ومنهم من لم يبلغها، وسأعرّف بهم بعد ولده الحكم المستنصر.

الحكم بن عبد الرّحمن المستنصر بالله :

كنيته أبو المطرّف، ولد في مستهل رجب عام ٣٠٢هـ[4] ، وبويع له بعد موت أبيه النّاصر سنة ٣٥٠هـ [5] .

كان حسن السّيرة، جامعا للعلوم، محبّا لها، مكرما لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمع أحد من ملوك الأندلس قبله، وذلك بإرساله فيها إلى الأقطار واشترائه لها بأعلى الأثمان [6]

وكان الحكم المستنصر شاعرا غير أنّه لم يصل إلينا من شعره سوى القليل، وينقل ابن الأبّار في هذا السّياق رأيا لابن فرج صاحب كتاب الحدائق في شعر الحكم، ويفسّر سبب قلّة ما وصل من شعر الخلفاء الأمويين عموما فيقول: وهم يجلّون عن الشّعر أقدارهم،كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم، وإنّما ينبسطون به في سرائرهم، فليس يظهر عليهم منه إلا الشّاذ القليل، ولعل ما سقط عنّا أفضل ممّا سقط إلينا.. فأمّا أمير المؤمنين المستنصر بالله أطال الله بقاءه فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمه عليه، ولعلّ له منه ما لا نعرفه، فأما الأدوات التي يقال بها بل التي يحتاج كل علم لها فهي معه بأزيد ممّا كانت لأحد قبله أو لا تكون لأحد بعده

---

[1] . ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ١٨٣.

[2] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١، ص ١٩٩.

[3] . ابن سعيد ، المغرب ، ج١، ص ١٨٢/ ١٨٣.

[4] . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٦٦.

[5] . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعلام، ٤١،

[6] . ابن سعيد، المغرب، ج١، ١٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ هذا الرّأي يدلّ في بعض جوانبه على أنّ خلفاء بني أميّة يجعلون الشّعر في مرتبة ثانية بعد الحكم والسّياسة، ولكن النّاظر في سلالتهم يكاد يجزم بأنّه فيها سمة وراثية، تناقلها الخلف عن السّلف. وفي هذا الرّأي حكم نقدي على ما وصل من أشعار خلفاء بني أميّة، يحتاج إلى مناقشة، فلو كان شعراء بني أميّة الخلفاء يجلّون عن الشّعر أقدارهم لما وصل منها شيء إلينا، قليل أو كثير، ولو كان، ونشروا شيئا منه لكان الأكثر جودة وإتقانا؛ لامتلاكهم الأدوات التي يقال بها - كما ذكر ابن فرج-، ولو أنّهم كانوا يجلّون أقدارهم عن الشّعر لما جالسوا الشّعراء وقرّبوهم، وطلبوا من جلسائهم إجازة الشّعر في كثير من المواقف*.

إنّ مناقشة رأي ابن فرج السّابق تحتاج إلى نظرة فاحصة في أشعار خلفاء بني أميّة التي وصلت إلينا، وعندها نرى ما إن كانت قليلة وشاذّة،أم أنّ هذا القول رأي حاد فيه ابن فرج عن الصّواب، ولعل النّظر في أشعارهم فيما يأتي من هذه الدّراسة يمكّننا من ذلك .

وأمّا وفاة المستنصر فكانت يوم الأحد لليلتين خلتا من صفر سنة ٣٦٦، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيّام (١).

ومن أولاد النّاصر الشّعراء أبو محمّد عبد الله، قتله أبوه عبد الرّحمن لمنافسته الحكم ولي عهده، وكان من نجباء أولاد الخلفاء، محبّا في العلم والعلماء، فقيها شافعيّا شاعرا، أخباريا متنسّكا. ذكره ابن الأبّار وأورد له بعض الأشعار (٢) . ومنهم ولده عبد العزيز، المكنى بأبي الأصبع، كان أديبا شاعرا، ظهرت نجابته في صغره (٣) .

ومن أحفاده الشّعراء: محمّد بن عبد الملك بن عبد الرّحمن والد الخليفتين في الفتنة: أبي المطرف عبد الرّحمن الملقّب بالمرتضى، وأبي بكر الملقّب بالمعتدّ ومنهم عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرّحمن، ويعرف بابن القرشيّة، ومحمّد ابن الأمير المنذر بن محمّد بن عبد الرّحمن، والحكم بن أحمد ابن الأمير محمّد بن عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام، وعمر بن أحمد ابن الأمير محمّد، وذكر ابن الأبّار أنّهم جميعا كانوا من نبهاء بني أميّة وشعرائها، وأورد لهم بعض الأشعار

---

* سيتم التّمثيل على ذلك في الفصل الثّاني .

١ . ابن الأبّار الحلّة ، ج١، ص ٢٠٠، والمغرب ، ج١ ، ١٨٦.

٢ . ينظر تفصيل ترجمته في الحلّة ، ج١، ص٢٠٦.

٣ . نفسه ، ج١، ص٢٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنصور بن أبي عامر :

أبو عامر محمّد بن أبي حفص بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي عامر الدّاخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد، وكان له في فتحها أثر جميل (١). أمير الأندلس في دولة المؤيّد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله والغالب عليه، أصله من الجزيرة الخضراء، لسلفه بها قدر ونباهة، وقدم قرطبة شابّا (٢) .

سلك سبيل القضاء في أوّليّته، مقتفيا آثار عمومته وخؤولته، يطلب الحديث في حداثته، وكتب منه كثيرا، ولقي الجلّة من رجاله، ثمّ صحب الخليفة الحكم متحزّبا في زمرته
وولي له الأعمال من القضاء والإمامة (٣) ، ولم يزل الحكم يقدّمه ويؤثره إلى أن ولي العهد ولده هشام ، فزاد مقداره لخاصته بولي العهد ومكانه من السّيّدة والدته (٤) ،ولمّا توفي الحكم وولي هشام الخلافة صغيرا لمع نجم المنصور، وصار صاحب التّدبير والمتغلّب على جميع الأمور، فدانت له أقطار الأندلس كلها، وأمنت به، ولم يضطرب عليه منها شيء أيّام حياته؛ لحسن سياسته، وعظم هيبته .. فما زال يبطش بأعدائه، ويسقط من فوقه بقهْره واستيلائه، إلى أن صار حينئذ – هشام بن الحكم - ليس له من الأمر غير الاسم خاصّة (٥).

وفي سنة ٣٧١هـ تسمّى ابن أبي عامر بالمنصور، ودعي له على المنابر به، استيفاء لرسوم الملك، وأخذ الوزراء يقبّلون يده، وتابعهم على ذلك وجوه بني أميّة (٦).
وكان المنصور محبّا للعلم مؤثرا للأدب، مفرطا في إكرام من ينتسب إليهما، ويفد عليه متوسّلا بهما، بحسب حظّه منهما وطلبه لهما، ومشاركته فيهما، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته (٧)، وذكر ابن عذاري أنّه كان أديبا محسّنا، وعالما متفنّنا (٨) .
توفي المنصور سنة ٣٩٢هـ، وهو ابن خمس وستين سنة وعشرة أشهر، ودامت دولته ستا وعشرين سنة، وفيها اثنتان وعشرون غزوة (٩).

---

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٥٦.
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء، ج١، ص ٢٦٨.
٣ . ابن الخطيب لسان الدّين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج٢، ص١٠٣.
٤ . ابن عذاري ، البيان المغرب / ج٢، ص٢٥٨.
٥ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١، ص ٢٦٨.
٦ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ٢٧٩.
٧ . الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٧٩.
٨ . البيان المغرب ، ج٢، ص ٢٧٥.
٩ . ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرّحمن النّاصر:

كنيته أبو أيوب، ولقبه المستعين بالله، ولي الخلافة مرتين، الأولى يوم الثلاثاء السابع عشر لربيع الأوّل سنة٤٠٠هـ، بعد أن قدّمته البرابرة على ولد عمّه المهدي هشام بن سليمان، وانخلع يوم الأحد الثاني عشر لشوّال من السّنة ذاتها، فكانت دولته الأولى ستة أشهر (١)،وكان ذلك بعد ظهور المهدي عليه وهزيمته بموضع يعرف بعقبة البقر (٢).

وأمّا خلافته الثّانية فكانت في صدر شوّال سنة ٤٠٣هـ ، وذلك حين دخل قرطبة مع رجاله من البرابرة، فاستباحوها وقتلوا أهلها وغيّب سليمان هشاما المؤيد فلم يره أحد بعد ذلك، وأقام سليمان واليا إلى أن ثار عليه علي بن حمود العلوي الإدريسي فقتله يوم الأحد لثمان بقين من سنة ٤٠٧هـ (٣) .

وكان سليمان ممّن مدّت له في الأدب غاية، كبا دونها أهل الأدب، ورفعت له في الشّعر راية مشى تحتها كثير من الشّعراء والكتّاب (٤) ، وعنه قال ابن الخطيب: كان أديبا شاعرا مدركا متأنيّا، وهو أحد من شَرُف الشّعر باسمه وتعرّف على حكمه (٥).

عبد الرّحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرّحمن النّاصر:

كنيته أبو المطرّف، ولقبه المستظهر بالله، بويع له بالخلافة يوم خروج القاسم والبربر من قرطبة السّادس عشر من رمضان سنة ٤١٤ هـ (٦)، وهو ابن ثلاث أو اثنتين وعشرين سنة (٧) .

ولم تدم خلافته طويلا، إذ ثار عليه ابن عمّه المستكفي محمّد بن عبد الرّحمن بن عبيد الله النّاصر فقتله لثلاث بقين من ذي القعدة من السنة ذاتها، فكانت خلافته سبعة وأربعين يوما، ولم يعقّب (٨).

---

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص٩١/٩٢، الحلّة السّيراء ، ج٢ ص٥.

٢ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص٧.

٣ . نفسه .

٤ . ابن بسام ، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١،ج١، ص ٤٧.

٥ . أعمال الأعلام ، ص ١٢١.

٦ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ ،ص ١٣٥.

٧ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص١٢.

٨ . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وابنته ولادة من أشهر نساء الأندلس قاطبة، ذكرها المقّري، فقال: وكانت واحدة زمانها،المشار إليها في أوانها،حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة .. مشهورة بالصّيانة والعفاف،وفيها خلع ابن زيدون عذاره، وقال فيها القصائد الطّنانة والمقطّعات(١) ، وذكرها ابن بشكوال في الصّلة فقال:" كانت أديبة، شاعرة،جزلة القول حسنة الشّعر، وكانت تمالط الشّعراء، وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء"(٢).

ونقل ابن عذاري عن ابن بسّام أنّه كان على حدوث سنّه فطنا لوذعيّا ذكيّا يقظا لبيبا أديبا فصيح الكلام، جيّد القريحة ،مليح البلاغة، يتصرّف فيما شاءه من الخطابة بديهة ورويّة ويصوغ قطعا من الشّعر مستجادة، وقد اقتضب بحضرة الوزراء في أيّامه عدّة رسائل وتوقيعات لم يقصر فيها عن الإجادة في الغاية، يزين ذلك بطهارة أثواب وعفة وبراءة من شرب النّبيذ سرّا وعلانيّة، وكان في وقته نسيج وحده (٣) .

محمّد بن إسماعيل بن عبّاد :

هو أبو القاسم محمّد بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو أسلم بن عِطاف بن نعيم، وعِطاف هو الدّاخل منهم بالأندلس في طالعة بَلْج بن بشر القُشيري، وكان عِطاف لخمي النّسب صريحا، من أهل حمص من صقع الشّام (٤)، وأبوه إسماعيل قاضيهم القديم الولاية، ورجل الغرب قاطبة المتّصل الرّئاسة في الجماعة والفتنة، وكان أيسر من بالأندلس وقته (٥) .

وأمّا ابنه ذو الوزارتين أبو القاسم فقد وصل الرئاسة متّحذا سبيل الحيلة والخيانة، ذلك أنّ القاسم بن حمّود كان قد اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل، وردّ عليه ميراثه من قضاء بلده بعد بُعده عنه مدّة، وحصل منه بمنزلة الثّقة، فخانه تخوّن الأيّام عند إدبارها عنه، إيثارا للحزم، وطلبا للعافية، وصدّه عن إشبيلية بلده لمّا قصده من قرطبة مفلولا، وكان الذي وطّد له ذلك نفر من أكابرها المرتسمين بالوزارة

---

١ . المقّري ، نفح الطّيب ، ج ٤، ص ٢٠٥.
٢ . ابن بشكوال ، الصّلة في تاريخ علماء الأندلس،ط١،شرح صلاح الدّين الهوّاري،المكتبة العصريّة،٢٠٠٣،ص٥٣٤.
٣ . البيان المغرب ، ج٣ ،ص١٣٩/ ١٤٠، ورد جزء من هذا الكلام في الذخيرة ق١، ج١ ، ص ٤٨ .
٤ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٣٥.
٥ . نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما آلت الرّئاسة إليه سلك سيرة أصحاب الممالك الذين بالأندلس لأوّل وقته، فأقام بأصح عزم وأيقظ جدّ، واخترع في الرّئاسة وجوها تقدّم فيها كثيرا منهم .. وأقبل يضم الأحرار من كل صنف، ويشتري العبيد، والجد يساعده والأمور تنقاد له، إلى أن ساوى ملوك الطّوائف، وزاد على أكثرهم؛ لكثافة سلطانه، وكثرة غلمانه، فنفع الله به كافة رعيّته، ونجاهم من ملك البرابرة(١).

وكان أبو القاسم شاعرا أورد له ابن الأبّار مجموعة من الأشعار في أغراض متنوعة، وكانت وفاته سنة ٤٣٣هـ (٢) .

عبّاد محمّد ابن ذي الوزارتين القاضي أبي إسماعيل :

كنيته أبو عمر، ولقبه المعتضد، ولي بعد وفاة أبيه القاضي في منسلخ جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ، فاستولى على غرب الأندلس مثل: شلب وشنت برية ولبلة شلطيش وجبل العيون وغيرها، وصارت تلك الجهات بكلّها في طاعته، وقدّم عليها عماله سنة هـ ٤٤٣هـ(٣) .

تسمّى أوّلا بفخر الدّولة، ثمّ بالمعتضد، وعنه يقول ابن بسّام بعد ذكره هذه الألقاب: قطب رحى الفتنة، ومنتهى غاية المحنة، من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد، ولا سلم عليه قريب ولا بعيد، جبّار أبرم الأمور وهو متناقض، وأسد فرس الطّلى وهو رابض، متهوّر تتحاماه الدّهاة، وجبّار لا تأمنه الكماة (٤) .

ولقوّة بأس المعتضد وشدّة بطشه هابه القريب والبعيد، لاسيما حين قتل أكبر أولاده، المرشّح لولاية عهده، وكان اسمه إسماعيل، وذلك لمّا بلغه من أنّه كان قد دبّر لقتله(٥)والرّؤساء.ومن المظاهر الأخرى الدّالّة على تجبّره وشدّته أنّه "اتّخذ خُشبا في ساحة قصره جلّلها برؤوس الملوك والرّؤساء عوضا عن الأشجار التي تكون في القصور، وكان يقول: في مثل هذا فَلْيُتَنزّه"

---

١ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ ،ص ١٩٦.

٢ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص٣٨.

٣ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص٢٠٤.

٤ . ابن بسّام ، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٢، ج١، ص٢٠٤.

٥ . ينظر تفصيل هذا الخبر في المعجب، ص٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر ابن بسّام أنّ المعتضد قد تقيّل سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكّل، أحد أشدّاء خلفاء العباسيين الذي ضمّ نشر المملكة بالمشرق، وسطا بالمنتزين عليها، وبفقده انهدمت الدّولة، فحمل عبّاد سمته المعتضديّة (١) .

وكان عبّاد قد أوتي من جمال الصّورة، وتمام الخلقة، وفخامة الهيئة، وسباطة البنان، وثقوب الذّهن، وحضور البديهة، وصدق الحسّ، ما فاق به على نظرائه، ونظر مع ذلك في الأدب أدنى نظر بأذكى طبع، فحصل منه على قطعة وافرة (٢). وقد ذكر ابن الأبّار أن له ديوان شعر جمعه له ابن أخيه إسماعيل (٣) .

ويثني ابن بسّام على شعره ويرى أنّ ثقوب ذهنه قد هيّأ له ذلك فيقول: قرض قطع من الشّعر ذات طلاوة، في معان أمدّته فيها الطّبيعة، وبلغ فيها الإرادة، واكتتبها الأدباء للبراعة(٤).

وتجمع بعض المصادر التي ترجمت للمعتضد أنّه كان -على تجرّده في إحكام التّدبير لسلطانه - ذا كلف بالنّساء؛ إذ استوسع في اتّخاذهن، وخلّط في أجناسهن، فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه، فقيل إنّه خلف من صنوفهن السّريريّات ،خاصّة، نحوا من سبعين جارية، إلى حرّته الحظيّة لديه الفذّة من حلائله بنت مجاهد العامري أخت علي ابن أمير دانية، ففشا نسل عبّاد لتّوسّعه في النّكاح وقوّته عليه، وقيل إنّه افتضّ ثمانمائة بكر (٥) .
وتوفي المعتضد عشي الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٦١هـ (٦)

---

١ . ابن بسّام، الذخيرة، ق٢، ج١، ص٢٥.

٢ . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، أعمال الأعلام ،ص١٥٥.

٣ . الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص٤٣. الدّيوان حقّقه رضا الحبيب السّويسي ، ونشره في مجلّة كليّة التّربيّة ، جامعة طرابلس ، ع٤، ١٩٧٤، من ص ٢٢٩/١٣٧. وستوثّق أشعار المعتضد لاحقا في الرّسالة بالإحالة إلى صفحات الدّيوان حسب ورودها في المجلة .

٤ . الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٢ ، ج١ ، ص ٢٨.

٥ . الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص٤٣، الذّخيرة غي محاسن أهل الجزيرة ، ق٢ ، ج١ ، ٢٩، البيان المغرب ، ج٣، ص ٢٠٧.

٦ . ابن بسّام الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ق٢، ج١ ، ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمّد بن عبّاد المعتمد على الله :

كنيته أبو القاسم، ولقّب أيضا بالظّافر وبالمؤيّد، كانت ولادته سنة ٤٣٢هـ، وقيل ٤٣١هـ، بويع له بالإمارة بعد أبيه المعتضد سنة ٤٦١هـ [١] .

كان المعتمد يُشبّه بهارون الواثق من بني العبّاس، ذكاء نفس، وغزارة أدب، وكان شعره كأنّه الحلل المنشّرة [٢] .

ويقول عنه ابن الخطيب: المعتمد بن عبّاد نسيج وحده في الجود، وأصلب نظرائه مكسر عود، فذّ في البلاغة، طرف في الشّعر والكتابة، بارع في النّظم والنّثر، كثير الأدب، جزل الألفاظ، كثير المعاني، حرّ المآخذ.. لم ينشده أحد من الوزراء والشّعراء أشعر منه على كثرة ما اجتلب إليه من أعلاق الثّناء، ونُثِر عليه درّ الحمد، ووضع في يديه من بِرّ القريض[٣] .

ويرى جبرائيل جبّور في كتابه "الشّعراء الملوك "أنّ المعتمد لم يكن أشهر شعراء عصره فحسب إنّما " أشهر الملوك الشّعراء على الإطلاق وأجزلهم شعرا [٤] .

وفي حياة المعتمد أمور لا يمكن إغفالها؛ لظهور أثرها واضحا في شعره، وأظهرها خلعه عن الحكم، وحبسه بأغمات، وقد كان ذلك بعد " استعانته على الرّوم بملك المغرب حينئذ يوسف بن تاشفين، وسعيه في استقدامه، وجدّه في ملاقاة الطّاغية ملك النّصارى والإيقاع به بالموضع المعروف بالزّلاقة في رجب سنة ٤٧٩هـ، وبدخول اللمتونيين إذ ذاك تسببوا إلى خلعه .. واحتملوه وأهله إلى المغرب، وأسكنوه أغمات، وبها مات سنة ٤٨٨هـ، على حال يوحش سماعها فضلا عن مشاهدتها [٥] .

---

[١] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٥٢/ ٥٣.

[٢] . المراكشي ، المعجب ، ص ٧٢.

[٣] . أعمال الأعلام ، ١٥٧.

[٤] . جبّور ، جبرائيل ، الشّعراء الملوك ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١، ١٩٨١، ص٢٧١.

[٥] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٥٤/٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنها كلفه بالنّساء، إذ كان عنده عدد كبير من النّساء: أمّهات الأولاد، وجواري متعة، وإماء تصرّف [1]. وكانت أحبّ نسائه إليه اعتماد الرّميّكيّة، تلك الجارية التي" كثيرا ما كان المعتمد يأنس بها ويستظرف نوادرها [2] ، وأخباره مع تلك الجارية مشهورة، وأشعاره تؤكّد شدّة حبه وتعلّقه بها، ويسوق ابن الأبّار بعض أخباره معها، فيقول:" وكان مفرط الميل إليها حتّى تلقّب بالمعتمد لينتظم اسمه حروف اسمها، وهي التي أغرت سيّدها بقتل أبي بكر ابن عمّار لذكره إيّاها في هجائه المعتمد " [3].

ومنها عنايته بالأدب والأدباء، وحرصه على أن يضمّ بلاطه كبار أدباء عصره، حتى " اجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس " [4] ، ومن أشهر هؤلاء الشّعراء: ابن زيدون، وابن عمّار، وابن اللبانة، والحصري .. [5]

وللمعتمد أولاد شعراء، ذكر منهم المقّري: المأمون، والرّشيد، والرّاضي، والمعتدّ، وابنته بثينة [6]، وكان هؤلاء جميعا أولاده من الرّميكيّة اعتماد [7] .

أمّا ولده الرّشيد فكان أكبرهم، ولّاه المعتمد عهده، وقدّمه إلى خطّة القضاء بإشبيلية، كان دمثا، رقيق حاشية الطّبع، طالع شيئا من العلوم الرّياضيّة، وكُشِف له عن غيب الأغاني، حتى قيل إنّه كان يجيد ضرب العود، وكان له أدب وشعر[8] .

ذكر ابن الأبّار أنّه لما نقل بنو عبّاد إلى المغرب أسكن الرّشيد منهم بقلعة مهدي ، وكان هناك إلى أن توفي في حدود سنة ٥٣٠هـ ، وقد نيّف على السّبعين [9] .

---

[1] . نفسه .

[2] . المقّري، نفح الطّيب، ج٤، ص ٢٧٢.

[3] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص ٦٢. وينظر بعض أخباره معها في النّفح، ج٤، ص ٢٧٢.

[4] . المراكشي، المعجب ، ص ٧٣.

[5] . نفسه .

[6] . نفح الطّيب ، ج٤، ص ٢٥٦/ ٢٨٤.

[7] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٦٢.

[8] . نفسه ، ص ٦٨.

[9] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص ٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا ولده يزيد الملقّب بالرّاضي فذكره ابن خاقان ووصفه قائلا: ملك من دوحة سناء "أصلها ثابت وفرعها في السّماء " وتحدّر من سلالة أكابر ، ورقاة أسرة ومنابر ، وتصرّف أثناء شبيبته بين دراسته معارف، وإفاضة عوارف ، وكَلِف بالعلم حتى صار ملهجَ لسانه (١)

وظلّ مأخوذا بالعلم وتحصيله إلى أن " ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضمّ إليها رندة ، فانتقل من متن الجواد إلى ذروة الأعواد ، وأقلع عن الدّراسة إلى تدبير الرّياسة ، وما زال يدبرها بجوده ونهاه حتّى غدت عِراقا وامتلأت إشراقا (٢) واستنزل الرّاضي عن رندة عند خلع أبيه، وبعد مخاطبته إيّاه بذلك على عهود أخفرت ومواثيق نقضت، فقتل صبرا في رمضان سنة ٤٨٤هـ (٣) .

وفيما يتّصل بشعر الرّاضي ينقل ابن الأبّار أنّه شاعر بني عبّاد بعد أبيه، على أنّه أقوى عارضة منه، وأبوه ألطف طبعا وأرق صنعا (٤).

وأمّا ولدا المعتمد: أبو بكر شرف الدّولة يحيى بن محمّد، وأخوه أبو المكارم ذخر الدّولة حكم بن محمّد فتأدّبا في حياة أبيهما على أبي عبد الله مالك بن وهيب، وَوُصِفا بالخمول، وتعيّشا بعد نكبة أبيهما من كتابة الوثائق، واستقرّ الأول بمراكش، والثّاني بفاس، ونظم كلاهما الشّعر (٥) .

محمّد بن معن بن صمادح التّجيبي أمير المريّة :

أبو يحيى، محمّد بن معن بن محمّد بن أحمد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الرّحمن بن صمادح بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة الدّاخل إلى الأندلس . كان أبوه قد أخذ البيعة له في حياته وأحكم أمرها بعد أن عرضها على أخيه أبي عتبة صمادح فدفعها وأبى قبولها، فتمّت له الإمارة بعد أبيه، وسمّى نفسه"معزّ الدّولة "، فلمّا تلقّب سائر أمراء الأندلس بالألقاب الخلافيّة تلقّب هو أيضا بـ " المعتصم بالله " و" الواثق بفضل الله ": لقبين من ألقاب خلفاء بني العبّاس، مناغاة لصاحب إشبيلية عبّاد بن محمّد لمّا تلقّب بـ" المعتضد بالله المنصور بفضل الله " (٦)

---

١ . ابن خاقان ، الفتح ، قلائد العقيان ، تحقيق حسين خريوش ، مكتبة المنار ، ج١، ص ١١٠.

٢ . نفسه .

٣ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص٧١.

٤ . نفسه.

٥ . نفسه ، ص ٧٦/ ٧٧.

٦ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٨١/٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال عنه ابن بسّام: ولم يكن أبو يحيى هذا من فحولة ملوك الفتنة، أخلد إلى الدّعة، واكتفى بالضّيق من السّعة، واقتصر على قصر يبنيه، وعلق يقتنيه، وميدان من اللذّة يستولي عليه ويبرّز فيه، غير أنّه كان رحب الفناء، جزل العطاء " (١)

وجاء في الحلّة أنّ المعتصم كان ساكن الطّائر، مأمون الجانب، حصيف العقل، طاهرا معْنيّا بالدّين وإقامة الشّرع، يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخواص يتناظرون بين يديه في الكتب والتّفسير والحديث، ولزم حضرته فحول من الشّعراء كأبي عبد الله الحدّاد، وفيه استفرغ شعره، وكابن عبادة، وابن مالك، والأسعد بن بلّيطة، وأبي العبّاس أحمد بن قاسم المحدّث، رغم اتّصافه بكثرة الجبن وقلّة الجود، وعلى ذلك قصده العلماء والأدباء (٢) .

وكان المعتصم قديم الحسد للمعتمد، كثير النَّفاسة عليه، لم يكن في ملوك الجزيرة من يناوئه غيره وربّما كانت بينهما في بعض الأوقات مراسلات قبيحة، وكان المعتصم يعيبه في مجالسه وينال منه (٣) .

وكانت وفاة المعتصم في المرية سنة ٤٨٤هـ؛ لعلّة ألمت به، وكان في علّته تلك أدرك حصار يوسف بن تاشفين للمريّة، ونزل به الموت أثناء محاصرتها (٤) .

وللمعتصم أولاد شعراء ، وبنت تدعى أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (٥)، فمن أولاده الشّعراء ولده عبيد الله عزّ الدّولة أبو مروان، كان أبوه المعتصم قد أنفذه في آخر دولته رسولا إلى يوسف بن تاشفين، فاعتُقل وقُيّد، ولم يزل المعتصم يتحيّل في تخليصه حتى أُخذ وهُرب به على البحر، فوافى المرية وهُنّئ أبوه بخلاصه (٦) .
ولعزّ الدّولة هذا مجموعة من الأشعار وردت في نفح الطّيب وفي الحلّة، وقال الشّقندي إنّه أشعر من أبيه (٧) .

---

١ . الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١، ج٢، ص٧٣٣.
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص٨٢/ ٨٣.
٣ . المراكشي ، ص ٩٦.
٤ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص ١٩٢. أعمال الأعلام ، ص ١٩١.
٥ . ترجمتها في نفح الطّيب، ج٤، ص١٧٠، وفيه وردت لها بعض الأشعار.
٦ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢،ص ٨٨/٨٩.
٧ . المقّري، نفح الطّيب، ج٣، ص ٣٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنهم ولده رفيع الدّولة، وكنيته أبو يحيى، وكنّاه صاحب المطمح " أبا زكريا"، لم يكن في بني صمادح أشعر منه، إلا أن الخمول أخنى على محاسنه [١] . ويصف صاحب القلائد أدبه قائلا: وله أدب كالرّوض إذا أزهر، والصّبح إذا أسفر، وقفه إلا اليسير على النّسيب، وصرفه إلى المحبوبة والحبيب [٢].

ومن أبنائه الشّعراء أبو جعفر بن المعتصم، ذكره المقّري وأورد له بعض الأبيات [٣]،

ومن أحفاده الشّعراء رشيد الدّولة أبو يحيى محمّد بن عزّ ا لدّولة بن المعتصم، ذكره ابن الأبّار في أعيان المائة السّابعة، وقال إنّه نشأ بعد انقراض ملكهم، فكلف بالآداب، وبرّز فيها، ثم تاق إلى الرّئاسة فَقُيّد، أورد له ابن الأبّار أشعارا قالها وهو في السّجن، وذكر شيئا من أخباره، وقال إنّه ترك بلده وانضمّ إلى الموحدين أثناء قتالهم المرابطين [٤] .

المتوكّل بن المظفّر بن المنصور :

أبو محمّد عمر بن محمّد بن عبد الله بن مسلمة التّجيبي بن الأفطس، ولي الخلافة بعد موت أخيه يحيى بن المظفّر، بعد منافسة طويلة كادت تفسد حالهما [٥] .

كانت له في أيّام ملكه " شجاعة مفرطة وفروسيّة تامّة، وكان لا يُغِبّ الغزو، ولا يشغله عنه شيء، واتّصلت مملكته إلى أن قتله المرابطون أصحاب يوسف بن تاشفين وقتلوا ولديه الفضل والعبّاس .. سنة ٤٨٥هـ [٦].

ويذكر ابن الأبّار إنّ المتوكّل في محنته تلك قد قُبِض عليه فقُيّد وأهين بالضّرب في استخراج ما عنده، وقال إنّه رغب في تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما، ثمّ قام بعد قتلهما ليصلّي فبادره الموكّلون به وطعنوه برماحهم حتّى فاضت نفسه، وغربت شمسه، وقد رثاهم أبو محمّد عبد المجيد بن عبدون بقصيدة فريدة

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٩٢. أورد ابن الأبّار لقبه وكنيته دون أن يذكر اسمه.

٢ . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ج٢ ، ص ٥٦٧.

٣ . نفح الطّيب ، ج ٣، ص ٣٧١.

٤ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ،ج ٢، ص١٩٦.

٥ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٩٦ـ ٩٨.

٦ . المراكشي ، المعجب ، ص ٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا المتوكّل أديبا فقد كانت له " قدم راسخة في صناعة النّظم والنّثر " [1] ، وقد مدح صاحب القلائد أدبه فقال: " نظم يزري بالدّر النّظيم، ونثر تسري رقته سرى النّسيم " [2]

وكان المتوكّل في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عبّاد بإشبيلية، قد أناخت الآمال بحضرتهما، وشُدّت رحال الآداب إلى ساحتهما، يتردّد أهل الفضل بينهما كتردّد النّواسم بين جنّتين، وينظر الأدب منهما عن مقلتين [3] .

وعلاوة على ظهور المتوكّل في ميدان الأدب كان عارفا باللغة وعلومها، وأخذت عنه بعض الرّوايات [4].

عبد الملك بن هذيل بن رزين ذو الرّياستين حسام الدّولة، أبو مروان :

ولي بعد أبيه الحاجب عزّ الدّولة أبي محمّد بن هذيل بن عبد الملك بن خلف بن لب ابن رزين شنتمرية الشّرق موضع إمارة سلفه ، وكان ظهورهم سنة ٤٠١هـ أوّل افتراق الجماعة وانبعاث الفتنة ، ويعرفون ببني الأصلع [5] .

كان جدّه هذيل صاحب السّهلة موسطة ما بين الثّغر الأعلى والأدنى لقرطبة ،كان من أكابر برابرة الثّغر، ورث ذلك عن سلفه، ثمّ سما لأوّل الفتنة إلى اقتطاع عمله والإمارة لجماعته.. فاستوى له ما أراد [6]

ويقول صاحب القلائد عن ذي الرّياستين: ورث الرّياسة من ملوك عضدوا مؤازرهم، وشدّوا دون النّساء مآزرهم، لم يتوشّحوا إلا بالحمائل .. ركبوا الصّعاب فذلّلوها، وابتغوا سببا للنّجوم حتّى انتعلوها، فملكوا الملك بأيد، وعقلوه من النّجدة بقيد، وكان منتهى فخارهم، وقطب مدارهم، شيّد بناءهم، وتقيّل غناءهم، رجل تَخِذَتْه البسالة قلبا [7]

---

[1] . المراكشي ، المعجب ، ص ٥٦.

[2] . قلائد العقيان ، ج١ ، ص١٢٠ .

[3] . المقّري، نفح الطّيب، ج٤، ص ٤٦٧.

[4] . المراكشي ، الذّيل والتّكملة ، سفر٥ ، ق٢، ص ٤٦٦.

[5] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ١٠٨.

[6] . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعلام، ص٢٠٥.

[7] . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ج١، ص ١٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء في الحلّة أنّه " كانت له نجدة وصرامة وإقدام، قرّب جنده من نفسه، وتحبّب إليهم واختلط بهم، حتّى كان لا يمتاز منهم في مركب ولا ملبس، ووقائعه في الثّغر مشهورة (١).

وفي مقابل ثناء الفتح وابن الأبّار على ذي الرّياستين نجد ابن عذاري ينقل عن ابن حيّان صفات تنسخ ما ذكراه عنه، فيقول: وكان سيّئة الدّهر، وعار العصر، جاهلا لا متجاهلا، وخاملا لا متخاملا، قليل النّباهة شديد الإعجاب بنفسه، بعيد الذّهبة بأمره .. وأورد بعض أشعاره ووصفها بأنّها جسم بلا روح وليل بلا صبوح (٢).

ومع ثناء ابن الأبّار على ذي الرّياستين قائدا إلا أنّ له رأيا في شعره وتعامله مع الشّعراء يقول فيه: وكان أبو مروان مع شرفه وأدبه متعسّفا على الشّعراء، ومتعسّرا بمطلوبهم من ميسور العطاء، وضعيف منظومه أكثر من قويّه (٣) .

وكانت وفاة ذي الرّياستين سنة ٤٩٦هـ ، وقد صار إليه من أعمال بلنسية بعضها ، وولي بعده ابنه فأقام يسيرا وتغلّب على ما بيده ابن تاشفين بعد أن أقام هو وأبوه دعوته في أعمالهما (٤) .

المقتدر بن هود :

أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود، حظي بولاية أبيه دون إخوته، وكان أقواهم سلطانا، وهو الذي استرجع مدينة بَرْبَشْتر وافتتحها على النّصارى عنوة، وخلع إقبال بن مجاهد من دانية، وسيّره إلى سرقسطة دار ملكه، وهناك توفي سنة ٤٧٤ هـ (٥) . ذكره ابن سعيد في المغرب وقال عنه: عميد بني هود وعظيمهم، ورئيسهم وكريمهم، ذو الغزوات المشهورة، والوقائع المذكورة(٦)، توفي سنة ٢٥٧هـ، وولي بعده ولده المؤتمن. لم تتحدّث الكتب التي ورد ذكره فيها عن أدبه، إنّما أورد له المقّري في النّفح بعض الأبيات .

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ١١٤.

٢ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص ٣٠٩.

٣ . ابن الأبّار ، الحلّة اللسّيراء ، ج٢ ، ص١١٠.

٤ . نفسه .

٥ . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٢٤٧/ ٢٤٨. لم يترجم له ابن الأبّار منفردا إنّما تحدّث عن بعض أخباره في معرض ترجمته للمستعين بن هود .

٦ . ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص ٤٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستعين بن هود :

أحمد بن المؤتمن على أمر الله بن المقتدر بالله أحمد بن المستضيء بالله سليمان بن هود الجذامي ([1]) ، ولي الخلافة بعد أبيه المؤتمن سنة ٤٧٨هـ ([2])، وفي مدّة سيادته دارت بينه وبين النّصارى معارك هُزم فيها، وقدّم له ابن تاشفين العون فانهزمت جموعهم، ويذكر ابن الخطيب أنّ علاقة طيبة جمعت بين المستعين وابن تاشفين، فلم ينازله بما في يده، ولا تطرّق لخلعه ([3]) .

واتّصلت أيّام المستعين إلى سنة ٥٠١هـ، وفيها جدّد البيعة لنفسه ولولده، وتحرّك للجهاد في جمادى الآخرة منها، فقاتل النّصارى إلى أن استشهد وانهزم المسلمون ([4]).

وكان ابن هود هذا شاعرا أورد له ابن الأبّار مجموعة من الأشعار ([5]) .

عبد الله بن هود ، أبو محمّد:

جاء في المغرب أنّه : حسنة بني هود التي رقموا بها بُردا من الحسب، وأطلعوا ما نظمه غررا في وجه النّسب، وكان ابن عمّه المقتدر يحسده حسدا ما عليه من مزيد، ويود أن يكون بدلا من كلامه في مجلسه وقع الحديد، فنفاه عن الثّغر، وقصد طليطلة حضرة ابن ذي النّون، ثمّ ملّ الإقامة هنالك، فجعل يضرب ما بين ملوك الطّوائف إلى أن استقرّ قراره عند المتوكّل بن الأفطس، وله أشعار خاطب فيها ابن عمّه معاتبا ولائما([6]) . وذكر ابن بسّام أنّه كان ممّن تندر له الأبيات، وتستظرف له بعض المقطوعات([7]) ، وأورد له بعض الأشعار .

---

[1] . ورد اسمه في النّفح ، ج ٣، ص٢٦٨.

[2] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج، ٢، ص ٢٤٨.

[3] . ينظر في تفصيل هذا الكلام في أعمال الأعلام ص ١٧٢- ١٧٣.

[4] . ابن الخطيب، لسان الدّين، أعمال الأعلام، ١٧٤.

[5] . الحلّة السّيراء ، ج٢، ٣١٤. نفسه ، ص ٢٠٢-٢١١.

[6] . ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ، ص ٤٣٩.

[7] . ابن بسّام ، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٢، ج٢ ، ص ٨٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمّد بن عمر بن المنذر أبو الوليد:

أحد أعيان شلب ونبهائها، من بيت قديم في المولّدين، وكان من أحسن النّاس وجها، ولازم التّعليم بإشبيلية في صغره حتّى تميّز بالمعارف الأدبيّة والفقهيّة .

صاحب أحمد بن قسي الدّعي *وثار معه، وأقرّ له بإمارة شلب وما والاها، قاد الجيوش ضد الملثمين، وكانت هزيمته على يد ابن وزير الذي هزمه وقبض عليه واعتقله بمدينة باجة، وأمر بسجنه وسمل عينه، وأقام ابن المنذر في معتقله إلى أن فتح الموحدون باجة، فأنقذه الله على أيديهم .

وبعد خروجه من سجنه تآمر – على عماه- مع الموحدين ودبّر قتل ابن قسي بعد خلعه دعوة الموحدين وانسلاخه من طاعتهم ومداخلة النّصارى، فولي شلب مكانه وقام بالدّعوة المهدية، وخيف منه أن يثور عليهم، فخلعه ابن وزير وملك شلب، ونقل إلى إشبيلية ، وتوفي فيها سنة ٥٠٨هـ. وله أشعار صوّر فيها محنته، أورد ابن الأبّار بعضها.

محمّد بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الرّحمن بن طاهر القيسي:

من أهل مرسية ورئيسها في الفتنة، كنيته " أبو عبد الرّحمن (١) . لأهل بيته في قدم الرّئاسة وكرم السّياسة ذكر مأثور، وأثر مذكور، أجمع أهل مرسية على توليته سنة ٥٤٠هـ، وذلك في الحقبة التي اضطربت بها الأحوال السّياسية في أواخر دولة المرابطين، فانتقل إلى القصر، ودعا لابن هود ثمّ لنفسه بعده . ودخل في نهاية أمره في الدّعوة المهديّة، وتوفي بمراكش سنة ٥٧٤هـ . وكان ابن طاهر شاعرا، أورد له ابن الأبّار مقطوعات عدّة .

* . أحد المريدين ، وهي جماعة بدأت صوفية ثمّ تحوّلت إلى جماعة من المحاربين الذين يطلبون الملك ، ينظر في الحلّة السّيراء ، ج٢ ، ص ٢٠٤، هامش رقم ١.

١ . ابن الأبّار ، التّكملة ، تحقيق عبد السّلام الهرّاس ، دار الفكر ، ج٢ ، ص ٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمّد بن علي بن أحلى أبو عبد الله:

ذكره ابن الأبّار في الحلّة [1]، وقال عنه : تأمّر بلورقة متنقّلا إلى الرّئاسة من الدّراسة، وكان يُجْتمع إليه في علم الكلام ويؤخذ عنه، وله فيه تواليف، وبيته في المولدين تليد النّباهة، وبذلك استعان على مرامه إلى ما لأهل بيته من بأس شديد وكثرة عديد.

ولما أمكن أهلُ مرسية منها الرّومَ ضلّل رأيهم وأبدى مخالفتهم، وجعل يجادلهم بلسانه، ويجالدهم بسنانه فدعا ذلك إلى قصده والعيث في جهته، حتى اضطر إلى المسالمة، وعلى ذلك بقي إلى أن توفي أوّل سنة ٥٤٥هـ، وقال ابن الأبّار إنّ له أشعارا بمقصده شاهدة وعلى معتقده متواردة، وأورد له نماذج منها .

محمّد بن محمّد بن يوسف بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن خميس بن نصر:

ثاني الملوك من بني نصر، وعظيمهم وأساس أمرهم وفحل جماعتهم [2] ترجم له ابن الخطيب في غير كتاب من كتبه التي خصّ بها رجال دولة بني نصر، فقال عنه: كان هذا السّلطان أوحد الملوك جلالة وصرامة وحزما، مهد الدّولة ووضع ألقاب خدمتها .. تامّ الخلق بعيد الهمّة، كريم الخلق كثير الأناة، قام بالأمر بعد أبيه وباشره مباشرة الوزير أيّام حياته، فجرى على سنن أبيه من اصطناع أجناسه ومداراة عدوّه، وأجرى صدقاته وأربى عليه بخلال، منها براعة الخط، وحسن التّوقيع، وإيثار العلماء " [3] .

وذكر ابن الخطيب أنه وقف على كثير من شعره، وقال إنّه نمط منحط بالنّسبة إلى أعلام الشّعراء، ومستظرف من الملوك والأمراء [4]. وكانت وفاته سنة ٧٠١هـ [5] .

---

[1] . الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٣١٤.

[2] . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١، ص ٥٥٧ .

[3] . نقل ابن الخطيب هذا النّص من كتابه طرفة العصر ، وأورده في كتابه اللمحة البدريّة ص٥٥، وفي الإحاطة ، ج١، ص٥٥٧.

[4] . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١، ٥٥٧ /٥٥٨، واللمحة البدرية ، ص ٥٥.

[5] . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١،ص ٥٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمّد بن محمّد بن محمّد بن يوسف بن محمّد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي:

ثالث الملوك من بني نصر، يكنّى أبا عبد الله، قال عنه ابن الخطيب: كان من أعاظم أهل بيته صيتا وهمّة، أصيل المجد، مليح الصّورة، عريق الإمارة ميمون النّقيبة، سعيد النّصبة، عظيم الإدراك، تهنّأ العيش مدّة أبيه، وتملأ السّياسة حياته، وباشر الأمور بين يديه، فجاء نسيج وحده، إدراكا ونبلا وفخامة وبأوا، ثمّ تولّى الأمر بعد أبيه فأجراه على ديدنه وتقيّل سيرته، ونسج على منواله .. وكان يقرض الشّعر، ويصغي إليه، ويثيب عليه، فيجيز الشّعراء ويرضخ للنّدماء، ويعرف مقادير العلماء.. حسن التّوقيع مليح الخط يغلب على طبعه الفظاظة والقسوة [1] .

ويقول ابن الخطيب عن شعره: كان له شعر مستظرف من مثله، لا بل يفضل به الكثير ممّن ينتحل الشّعر من الملوك، ووقعت على مجموع له ألّفه بعض خدّامه [2].

كانت وفاته سنة ٧١٠ هـ [3]

الغالب بالله المتوكّل على الله محمّد بن إسماعيل بن القائم بأمر الله محمّد :

ترجم له ابن الأحمر في كتابه نثير الجمان، وقال إنّه ابن عمّه أبي الوليد إسماعيل، وكنيته أبو عبد الله [4] .

وأثنى عليه ابن الأحمر ثناء حسنا، ووصفه بالحلم والكرم والشّجاعة والعفّة، وقال إنّه مضى في حكمه بإحياء الشّريعة على سبيل الخلفاء الرّاشدين، وكان يقتدي بالسّلف الصّالح في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر [5]. ولم يتحدّث ابن الأحمر عن أدبه، واكتفى بإيراد بعض أشعاره .

---

[1] . ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ٦٥.
[2] . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١،ص ٥٤٤.
[3] . ابن الخطيب ، اللمحة البدريّة ، ص٧٣.
[4] . ابن الأحمر ، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان ، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، ط١، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، ١٩٧٦، ص ٧٨.
[5] . نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرّئيس إسماعيل ابن الأمير أبي سعد فرج :

كنيته أبو الوليد، يلتقي في نسبه مع ابن الأحمر صاحب نثير الجمان، وفيه ترجم له فقال: طلع في سماء البراعة نجما، وبرز في ميدان البلاغة ضيغما شهما، وحاز من الفصاحة ما لم يحزه سواه، ومن الذّكاء ما هو ألذّ من الشّهد في الأفواه، ومن الهمّة ما يسمو أدناه فوق الشّاهد .. ربما نظم القصائد فتأتي كالقلائد في أجياد الخرائد، وتشبيهاته في الأدب ملوكيّة، تلوح عليها مخايل العروبيّة، ومن علو همته وجلالة رتبته أن نفسه شغفت بحب الإمارة، ولا يتكلّم في غيرها ليله ونهاره، فقد تمكّن من قلبه هواها، ولا يميل في دنياه لشيء سواها (١). وأورد له ابن الأحمر بعض الأشعار في موضوعات متنوّعة، كان قد أنشده إيّاها.

محمّد بن يوسف بن القائم بأمر الله محمّد :

كنيته أبو عبد الله أخو ابن الأحمر، ترجم له في كتابه نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان ، وذكر أنّه كان أكبر منه سنّا، يفوته بعشرين سنة، وقال عنه: هو أحد أبناء الملوك الموصوفين بالبراعة الفائقة، والفصاحة الرّائعة المعجبة الرّائقة، ممّن يشار إليه بفك معميات الأدب، ويلجأ إلى معين فطنته في كشف مغيّبات الطّلب، متحل من الدّين بشعاره المعجب مترنّم بالقرآن ترنّما مستحسنا مطرب (٢) . اقتصر ابن الأحمر في ترجمته له على الإشادة بأخلاقه ومعارفه، ولم يتحدّث عن جوانب أخرى من شخصيّته، وأنشد له بعض الأشعار.

يوسف الثّالث:

يوسف بن محمّد، حفيد الغنيّ بالله، وهو الثّالث من ملوك بني الأحمر النّصريين أصحاب غرناطة(٣). لم أجد في حدود المصادر التي اطّلعت عليها معلومات تعطي تفاصيل عن حياة الثّالث وما مرّ بها من أحداث، وقد أشار إلى هذه الملاحظة عدد ممّن تناول عصر الثّالث بالدّراسة والبحث، فأشار عبد الحميد الهرّامّة إلى أنّ المصادر التّاريخيّة لم تأتِ على أحداث العصر كلّها، وأنّها أغفلت كثيرا منها (٤).

---

١ . ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، ص ٧٨.

٢ . نفسه، ص ٨٣.

٣ . ذكر رضا الحبيب السّويسي محقّق ديوان يوسف الثّالث أنّ اسم صاحب ديوان ملك غرناطة لم يكن معروفا ، وقد استطاع أن يعرّف به من خلال النّظر في مجموعة من الأخبار والمعلومات التي وردت في المصادر وفي الدّيوان نفسه ، عن عصر الشّاعر وأشهر ملوكه .

٤ . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة خلال القرن الثّامن ، ط١، دار الكاتب العربي ، طرابلس، ١٩٩٩، ج١، ص ٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أشار محقّق ديوان الثّالث إلى ذلك فذكر أنّ هذا العصر أحاطت به " ظروف غامضة وانطمست معالمه التّاريخيّة فلا الأحداث المؤسفة التي توالت فيه وكانت خاتمتها فاجعة غرناطة ولا الأشخاص الذين لابسوا الأحداث من ملوك وقادة وسواهم نجدها مبسوطة في كتاب، أو نقرأ الحديث عنها مستوفى في ديوان، اللهمّ إلا لمحات قليلة جدّا لا ارتباط بينها ولا كبير فائدة منها، نراها مبثوثة هنا وهناك، حتّى أسماء الملوك الذين تولّوا هذه الفترة من الزّمن، وبينهم اسم ملكنا الشّاعر لا تحقّقها المصادر العربيّة التي توجد بين أيدي النّاس اليوم" (١) .

ومن هنا تظهر أهميّة الدّيوان الشّعري الذي خلّفه يوسف الثّالث، حيث تضمّنت أشعاره إشارات إلى بعض الأحداث المهمّة التي تعرّض لها في حياته، وقد أتى الهرّامة في دراسته للقصيدة الأندلسيّة في هذا العصر على بعض الإشارات التي ظهرت في شعر الثّالث، فوجد أنّ صراعا على السّلطة دار بينه وبين أخيه، وأنّه كما تجلّى من بعض أشعاره قد أُبعد عن وطنه، ثمّ عاد مرّة أخرى وأخذ حقّه من السّلطة، وعاد له ملكه المغتصب. وفي هذه الدّراسة سنحاول استيفاء النّظر في شعره، وما ورد فيه من إشارات تتّصل بجوانب مختلفة من حياته.

ابن الأحمر :

إسماعيل بن يوسف بن القائم بأمر الله الرّئيس أبي سعيد بن فرج بن إسماعيل شقيق محمّد الأوّل ابن يوسف المدعوّ بالأحمر (٢). كنيته أبو الوليد وقيل أبو الفدى (٣)، ولد على الأرجح ما بين ٧٢٥/ ٧٢٧هـ (٤).

ويصرّح ابن الأحمر عن السّبب الذي جعله يخرج من الأندلسٍ، فيذكر أنّ بني عمّه أخرجوه منها رغما عنه، فيقول في هذا: أخرجنا من الأندلس بنو عمّنا الملوك الأحمريون وعشيرتنا الّسلاطين النّصريون خوفا منّا على سلطانهم بأوطانهم؛ لأجل واشٍ مردود متملّق بذلك غير ودود (١) .

---

١ . كنّون ، عبد الله ، مقدّمة ديوان يوسف الثّالث ، ص (ز).

٢ . المكناسي ، أحمد ابن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرّباط ص ٩٩.

٣ . ابن الأحمر ، نثير الجمان في نظم فحول الزّمان ، ص ٨٨.

٤ . رجّح الدّاية ذلك بعد مناقشة مجموعة من الأخبار التي أوردها ابن الأحمر في كتبه ، مقدّمة نثير الجمان ، ص ٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوجّه ابن الأحمر بعد خروجه من الأندلس إلى بر العدوة واتّصل ببلاط المتوكّل على الله أبي عنان، وقد أثنى عليه ابن الأحمر ومدحه فقال: وكنت بحضرته بفاس تحت إيالته، وسيب إنعامه مدّة حياته، وأعطى عنّي صداق ابنة عمّي حين تزوجتها محبة منه إلي (٢) .

ولم يقتصر ابن الأحمر على بلاط السّلطان أبي عنان بل اتّصل بغيره من السّلاطين والوزراء والكتاب والفقهاء، وتقرّب منهم بالمدائح وتأليف الكتب وإهدائها لهم (٣).

ولعلّ محنة ابن الأحمر بخروجه من الأندلس منحته فرصة يتفرّغ فيها لإظهار مقدرته العلمية والأدبيّة، إذ نظم الشّعر في أغراض متنوعة، وألّف كتبا في أبواب من العلم متباينة، ففي مقدمته التي صدّر بها كتابه نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، وهو أحد كتبه في التّراجم، وصف نفسه فيها بما يدل على اتّساع علومه ومعارفه، وفيها يقول: قال الرّئيس الفقيه النّحوي الرّاوية المسند الحافظ، فارس النّظم والنّثر (٤) .وكان ابن الأحمر في الباب الأوّل من الكتاب ذاته قد فصّل الحديث عن فضل الشّعر، وتناول فيه بعض وجوه علم البديع

ولابن الأحمر مجموعة من الآثار منها كتاباه اللذان تضمّنا أشعاره التي نظمها: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان ، ونثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، وفيهما ترجم لأشهر الشّعراء الذين لقيهم من ملوك وأمراء وكتّاب ووزراء وقضاة في الأندلس والمغرب(٥)، وله أيضا : روضة النّسرين، وشرح البردة، وتأنيس النّفوس في إكمال نقط العروس، وحديقة النسرين في أخبار بني مرين، وله تأليف في أعيان مدينة فاس أهلها (٦) .وكانت وفاة ابن الأحمر في سنة ٨٠٧هـ

---

١ . ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، ص٢٢. ذكر المحقق في مقدمة كتاب ابن الأحمر الآخر أنّه لم يفصح عن السّبب الذي جعل بني عمّه يهدرون دمه وينفونه من الأندلس، ينظر نثير فرائد الجمان في نظم فحول الجمان، ص ٧١.

٢ . ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، ص ٦٩.

٣ . ينظر تفصيل ذلك في القسم الأول من كتاب نثير فرائد الجمان، دراسة المحقق، ص ٧٤/ ٧٧.

٤ . ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، مقدّمة المؤلّف.

٥ . ينظر تفصيل أبواب كتاب نثير الجمان ومنهجه في، مجلّة معهد المخطوطات، مجلد ٢٢، عام ١٩٧٦.

٦ . المكناسي ، أحمد ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص ١٦٦، وينظر في بقيّة مؤلفاته : ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، القسم الأول منه ص ٩٣- ١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد التّعريف بالحكّام الأندلسيين الذين نظموا الشّعر نجد أن عددا كبيرا منهم من: عصر الخلافة الأمويّة وعصر ملوك الطّوائف وعصر ملوك بني الأحمر، كانوا قد نظموا الشعر. ولم يكن نظم الشّعر في الأسر الحاكمة مقتصرا على الحكّام وحدهم وإنّما كان أبناؤهم وأحفادهم ينظمون الشّعر ويتبادلون فيما بينهم القصائد والمقطوعات الشّعريّة، حتى بدا نظم الشّعر في هذه الأسر وكأنّه تقليد متوارث فيها.

وقد كان لإسهام الحكّام في دعم الحركة العلميّة والأدبيّة دور في توجيههم نحو العناية بالشّعر ونظمه*، حيث كانوا يحرصون على الاهتمام بالأدباء والعلماء ، فقرّبوهم من مجالسهم، وأشركوهم في تدبير شؤون الحكم، الأمر الذي انعكس أثره واضحا على الحكّام أنفسهم، فدفعهم إلى التأثّر بالبيئة الإبداعيّة المحيطة بهم، فشاركوا الشّعراء إبداعهم الشّعري.

وقد جاء إبداع الحكام الشّعري متفاوتا من حيث القلّة والكثرة، فكان بعضهم من أصحاب الدّواوين، وهم: المعتضد بن عبّاد، والمعتمد بن عبّاد، ويوسف الثّالث، وكان بعضهم مكثرا وردت أشعارهم متناثرة في المصادر، وكان بعضهم مقلا لم تتجاوز أشعارهم المقطوعة أو المقطوعتين في بعض الأحيان.

وفي الوقت الذي ظهر فيه في بعض عصور الأندلس عدد كبير من الحكّام الذين نظموا الشّعر، نجد تراجع هذه الظّاهرة في عصور أخرى، ففي عصر المرابطين والموحّدين قلّما نجد من الحكّام من نظم الشّعر، وربما يُردّ ذلك إلى طبيعة هذين العصرين، فالحكّام المرابطون -كما هو معروف- كانوا من غير العرب، ولم تكن عنايتهم بالأدب والشّعر خاصّة كما كانت في العصور الأخرى. وفي عصر الموحّدين كان للحكّام توجّه ديني وفكري، إذ قامت دولتهم أصلا على أساس دعوة دينيّة، نادى بها مؤسسها محمّد بن تومرت، الأمر الذي أبعدهم عن الإبداع الشّعري والمشاركة فيه.

* ينظر مساهمة الحكّام في تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة في التّمهيد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفـــصل الثّـــاني

المـوضوعات الشـــعريّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتأثّر موضوعات الشّعر بطبيعة الحياة وظروفها التي يعيشها الشّاعر أو تحيط به، فللمكان والبيئة وتقلبات الحياة: عزّاً وذلاً، سعادة وشقاء، غنى وفقرا، أثرٌ ينعكس واضحاً في موضوعات الشّعر الذي يقوله القاطنون فيه، وفي الأساليب الفنيّة أحياناً كثيرة. ومن هنا نفسّر اشتهار شاعر – مع نظمه في كل الموضوعات – بغرض أو معنى بعينه ،مثل شهرة الخنساء بالرّثاء، وأبي فراس في الأسر،والمتنبّي في المدح، والمعرّي في التّشاؤم، وبشّار في الهجاء .. الخ، ولعلّ ابن سلام الجمحي قد التفت إلى هذا الأمر حينما جعل الشّعراء في طبقات عدّة ، تبعاً للمكان حينا وللموضوع حينا آخر.

والشّعراء -موضوع هذه الدّراسة- تجمع بينهم صفة امتلاك السّلطة، حيث المنعة والتّنفّذ ورخاء العيش في السّلم، والنّصر أو الهزيمة في الحرب وما يترتّب عليهما ماديّا ومعنويّاً من استقرار ملكهم إذا ما انتصروا، أو زعزعته وتبدّل حالهم وأفول سعدهم إذا ما وقعت عليهم الهزيمة من نصيبهم. ولمّا كانت السّلطة (الحكم)، بما ينضوي تحتها من مميّزات، هي السّمة الواضحة في حياة هؤلاء الشّعراء ؛فإنّه لابدّ من ظهور أثرها في موضوعاتهم الشّعرية ، إذ نجد ظهور بعض الموضوعات واضحة في شعرهم كالفخر مثلا، في حين تقل بعض الموضوعات كالمدح والهجاء عند بعضهم ، وتكاد تختفي عند آخرين، ولا يأتي هذا الأمر في شعرهم عبثاً، إنّما له مسوّغاته انطلاقاً من موقعهم الاجتماعي والسّياسي وعلاقتهم بطبقات المجتمع الأخرى على اختلاف مستوياتها، فالشّعر كما يقول الطّاهر لبيب "كالأجناس الأدبيّة الأخرى يمتلك في تضاعيفه دلالات اجتماعية" (١).

وللشّعر علاقة وطيدة بالمجتمع؛ " لأنه أولاً نوع من النشاط الاجتماعي، وثانياً لأنه يعكس على الدوام بشكل من الأشكال طبيعة العلاقة السائدة سواء تلك التي تمثل صراع الإنسان في إطار مجتمع واحد قائم على أساس طبقيّ "(٢).

١ . لبيب،الطّاهر ، سوسيولوجيا الغزل العربي ، ط١، سينا للنّشر ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص٥.
٢ . حميد لحميداني ، الرّواية المغربيّة ، ص٤٧، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء ، ١٩٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانطلاقاً من علاقة الشّاعر بالمجتمع الذي يعيش فيه، ومن طبيعة واقع الّشعراء الحكّام، ستركّز الدّراسة على موضوعاتهم الشّعرية، لتتبيّن جوانب شخصيّتهم وذلك من زاويتين، أولاهما: الشّاعر في إطار الملك والحكم مُدبّراً لأمور ملكه في السّلم والحرب، وحاكما للرّعيّة وطبيعة علاقته بها، وبحكم تلك المسؤوليّة فهل كان للرّعيّة واهتماماتها ظهور واضح فيما أنتجه الحكّام من أشعار ؟وهل كانت قضايا الرّعيّة هاجسا من الهواجس التي تؤرّق الشّعراء الحكّام ؟ وكيف انعكس ذلك في شعرهم؟ ثانيهما:الشّاعر الحاكم في إطار حياته الخاصّة، إنسانا يعيش الأحوال التي تمرّ بالناس بصرف النظر عن اختلاف طبقاتهم الاجتماعية؛فهو-الحاكم- ليس بمنأى عن تلك المؤثّرات التي تقتحم حياة الناس ولا يملكون دفعها، فهم بشر يطرق الموت أبوابهم، وتقتحم المرأة حياتهم، ويدخل العشق قلوبهم، وهم آباء يربّون أبناءهم.. إلخ ذلك من أحوال البشر. فكيف عبّروا عن هذه المشاعر الإنسانيّة كما عاشوها في نطاق السّلطة، وهل استسلموا لها؟ أو أنّ سلطة الحكم جعلتهم مختلفين في هذا الجانب الإنساني عن غيرهم من الشّعراء، فطبعتها –المشاعر-بطابع الحكم والسّيادة؟.

وسأقوم بدراسة الموضوعات الشّعرية في هذا القسم وفق حضورها في شعرهم؛ إذا لم تكن كل الموضوعات حاضرة في شعرهم بدرجة واحدة، فقد أكثروا من النّظم في موضوعات مثل : الفخر، والإخوانيّات، والغزل، وقلّت عندهم موضوعات أخرى مثل: المدح،والشّعر الدّيني. لذا سأعرض الموضوعات التي أكثروا النّظم فيها ابتداء،ثم الموضوعات الأقلّ حضورا في شعرهم.

أوّلا :الفخـــر:

كان من أكثر الموضوعات دورانا في شعر حكّام الأندلس، وهو عند بعضهم أكثرها، ولا غرابة في ذلك، فلو لم يكن لديهم من بواعثه -أعني الفخر- سوى الملك لكفاهم، فحسبهم أنّهم أصحاب الأمر والنّهي، والكل من حولهم مطيع لهم ويطلب رضاهم.

يذهب ابن رشيق القيرواني إلى أنّ الفخر هو المدح نفسه، إلا أنّ الشاعر يخصّ به نفسه وقومه ويعرّفه بعض الباحثين أنّه : "مدح يخص المرء به نفسه وقومه، مباهاة بكرم العنصر وقوة العصبيّة ومنعة الجانب والشّجاعة والكرم والإباء والوفاء والمروءة، وغير ذلك من المزايا والخصال الشّريفة التي كان لها شأن عند العرب عظيم، والتباهي بها مألوفا جاريا على ألسنة شعرائهم وفي مجال منافراتهم"

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان الفخر مدحا لذات الشاعر وقومه فما الذي يزيده الشاعر الحاكم على ما يمدحه به الشعراء؟ فبلاط الملوك والأمراء قبلة للشعراء يقصدونها مادحين متكسبين، وهذا أمر مألوف في الأدب العربي عامّة([1]) وفي الأندلس ظهر واضحا لاسيما في عصر ملوك الطوائف، حيث" لم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النّواسم بين الرّياض، وتفتك في أموالهم فتكة البرّاض،حتى إنّ أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة إلا بمائة دينار"([2]).

وفي بلاطهم ظهر الشعراء المنتمون، الذين يلزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء وينتمي إليه ويأخذ منه رسما شهريا أو (سنويا) مقرّرا أو جوائز موقوتة بوقت، وإنّما هي منحة تعطى للقصيدة الواحدة([3])، ذلك علاوة على الشعراء الآخرين الذين كانوا يطوفون عليهم بأمداحهم([4]).

وبما أنّ مدح الحكام كان موضوعا رئيسا عند عدد كبير من الشّعراء، فمَا الذي يدفعهم لتناول الموضوع ذاته في أشعارهم تناولاً واضحاً ؟ ألم تكن أمداح الشّعراء لهم كافية ومحقّقه لهم التّميز عمن سواهم ؟ ألم يأتِ المُدّاح على ذكر مفاخر الحكام كلّها ؟ أم أن أنفسهم – الحكام – لا يشبع ذاتها ولا يحقق لها التّفرد إلا إذا افتخروا هم بأنفسهم ؟ وعدّدوا مفاخرهم وما علا به شأنهم، أم لعلّهم أرادوا بمدحهم أنفسهم أن يحدّدوا للمدّاح مفاخرهم التي يعتزّون بها، لتلهج ألسنتهم بها، وقد يكون الدّافع وراء تركيزهم على الفخر في شعرهم نابعاً من إحساسهم بالنّقص والقصور -مع أن الظاهر خلاف ذلك- في جانب من جوانب حياتهم النّفسيّة والسّياسيّة، فيحاولون تعويضه بتعداد المناقب والمآثر الواضحة لديهم؛ فالإنسان بطبعه يفتخر بما يحقق له القوة والتميز، لا سيما إذا أحسّ بالضعف، وهذا ما ستبيّنه دراسة الأشعار التي امتزج فيها الفخر بالموضوعات الأخرى كالغزل والشّكوى وغيرها.

---

[1] . القيرواني، ابن رشيق، العمدة، جـ١، ص٦٢.

[2] . المقري، نفح الطيب، جـ٣، ص١٩٠.

[3] . عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطّوائف والمرابطين، ص٦٦.

[4] . المرجع نفسه ، ص ٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يأتِ علو (الأنا) والفخر في شعر الحكامً من فراغ، فقد أمدّتهم السّلطة بالبواعث لذلك، فكان حقّا للأنا لديهم أن تتضخّم وتكون الطّاغية على كل من حولها، فهم أرباب الأمر كله، وهم قادة الحرب، وقبلة لذوي الحاجات يقصدونها طمعاً في العطاء من جهة، وفي ارتقاء المناصب من جهة ثانية. الأمر الذي جعل من ذواتهم محوراً رئيساً في شعر الآخرين، فكيف لا تكون كذلك في شعرهم أنفسهم؟. وربّما كان هدف الحكّام من الفخر في أحيان كثيرة إخافة الأعداء والرّد على الخصوم والإحساس بالعظمة والتّفوّق على من ينافسهم، وهذا الإحساس لا يمكن أن يحس به الشّاعر المادح، بل الحاكم الذي يتشكّل هذا الإحساس في داخله.

لقد كانت السلطة- بما أمدّت به هذه الطّبقة من الشّعراء من مميّزات- من أهم الدّوافع التي دفعتهم للإكثار من الفخر في شعرهم، فهم بحكم موقعهم السّياسي قادة تقع على أعناقهم مسؤولية تحقيق الأمن والدفاع عن النّاس، فيخوضون المعارك، ويعرّضون أنفسهم للموت دفاعاً عن الحمى وذوداً عن الرّعية، وهم بهذا يفتخرون، وفخرهم في هذا السّياق قياساً بغيرهم من الشّعراء من غير ذوي السلطان مألوف ويأتي في مكانه ،"فعلى حين نجد الشّاعر الأندلسي لا يفاخر إلا بأبيات قليلة تأتي في ذيل قصائد المديح حيث يباهي بشعره، وقدرته الفنيّة، وقلّما يحدّثنا عن شجاعته أو يحكي لنا عن مفاخره، نجد الأمر بالعكس عند ملوك الأندلس الشّعراء لا يباهون بالشّعر ولا يعتزّون بمقدرتهم الفنيّة،على حين يأتي فخرهم مباهاة ببلائهم في الحروب وفتحهم المدن والحصون، وهؤلاء أقرب إلى الصّدق فيما ذهبوا إليه"([1])،وذلك لأنّهم يفتخرون بأمر أبدعوا فيه حقاً، وقدّموا على ذلك الدّلائل واضحة،فهاهو ذا الحكم الرّبضي يتباهي بدفاعه عن ملكه وحمايته لسلطانه، فيقول([2]) : الطّويل

رَأبتُ صدوعَ الأرضِ بالسّيف راقعاً وَقدْماً لأمتُ الشّعبَ مُذْ كنتُ يافعا
فسائلْ ثغوري:هل بها اليومَ ثُغرةٌ أبادرها مُستَنْضيَ السَّيْفِ دارعا
وشافِه على الأرض الفضاء جماجماً كأقحافِ شِريان الهَبيد لَوامعا
تنبئك أنّي لم أكن في قِراعهمْ بوانٍ، وقِدماً كنتُ بالسّيفِ قارعا
وإنّي إذا حادوا حذاراً عن الرّدى فلستُ أخا حَيدٍ عن الموت جازعا
حَمَيْتُ ذِماري فانتهكْتُ ذِمارَهمْ ومن لا يُحامي ظلَّ خَزْيانَ ضارعا

[1] . شلبي ، سعد ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٤٠٧

[2] . ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ، ص٤٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو فخر الشّاعر بشجاعته واضحاً، فهو يتباهى بتحقيق الأمن لثغوره، وبتنكيله بأعدائه، وكان يؤكّد صدقه في ذلك وعدم مبالغته، فيقدّم الدّليل مرئياً وملموساً، فثغوره تشهد بأن لا ثغرة فيها، وجماجم الأعداء دالّة على تنكيله بهم، كما تظهر في الأبيات رغبة الشّاعر بأن تذاع مفاخره هذه ويخبر عنها بين النّاس، وذلك حينما طلب بأن يُسأل عمّا فعل مستخدماً أسلوب الأمر بقوله "شافه" و "سائل" .

ويفتخر عبد الرّحمن بن الحكم بشجاعته في ميدان الحرب وبكثرة سيره للقتال، وتحمّله الصّعاب نصرة لدين الله

فيقول([1]): المتقارب

فَكَمْ قدْ تَخَطّيْتُ منْ سَبْسبٍ ولاقَيْتُ بعدَ دُروبٍ دُرُوبا
أُلاقي بوجْهي سمومَ الهَجِيرِ إذا كادَ منْهُ الحصَى أنْ يذُوبا
دارِكَ بي الله دينَ الهُدى فأحْيَيْتُه وأمتُّ الصّليبا
وسرتُ إلى الشّركِ في جَحْفَلٍ ملأتُ الحُزُون به والسُّهُوبا

ويصف المنصور بن أبي عامر قوّته وشجاعته في ساحة القتال، حيث يخاطر بنفسه، لا لهوانها عليه، وإنّما لأنه حرّ كريم طالب للمعالي، حتّى تمّت له السّيادة بحدّ الحسام، فلم يجد من ينازعه فيها، فيقول([2]): الطّويل

رميتُ بنفسي هولَ كلِّ عظيمةٍ وخاطرتُ، والحرُّ الكريمُ مخاطِرُ
وما صاحبي إلا جنان مشيعٌ وأسمرُ خطيٌّ وأبيضُ باتِرُ
ومن شيمي أنّي على كلّ طالبٍ أجودُ بمالٍ لا تقيه المعاذرُ
وإنّي لزجّاء الجيوش إلى الوغى أسودٌ تلاقيها أسودٌ خوادرُ
لَسُدْتُ بنفسي أهلَ كلِّ سيادةٍ وكاثرتُ حتّى لم أجدْ من أكاثرُ

[1] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج١ ، ٣٤٩.
[2] . ابن الآبار ، الحلّة ، ج١ ، ص٢٧٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفتخر المعتضد ابن عباد بعد ظفره بحصن رنده بنفسه وأسلحته وجنده متوعداً الأعداء بالقضاء عليهم إن طالت مدّته فيهم ، فيقول([1]): مجزوء الوافر

لقد حُصِّلْتِ يا رُنْدَه ... فَصِرْتِ لِمُلْكِنا عِقدَه
أفادَتْنَاكِ أرمـــاحٌ ... وأسـيافٌ لَهَا حِدَّه
وأجنادٌ وأشــدّاءٌ ... إليهم* تَـنْتَهي الشِّدَّه
غَدَوْتُ يَرَوْنَنِي موْلى ... لَهُـم وأرَاهُم عُـدَّه
سأُفْني مدَّةَ الأعـدا ... ء إنْ طَالتْ بِي المدَّه
وتَبْلى بي ضَلالتُهُم ... ليزْدَادَ الهُدى جِـدَّه
نظَمْتُ رؤوسَهُمْ عِقْداً ... فَحلَّتْ لبَّة السُّـده

لقد افتخر الشّاعر في الأبيات بقوة سلاحه وشدّة جنده، إلا أن فخره بنفسه كان الأظهر، حتى كأنّه وحده من حقّق النّصر، وقد تجلّى ذلك من إسناده الأفعال والضّمائر لذاته نحو "فطالت بي" " وتبلى بي" " نظمتُ" "قتلتُ".

ويفتخر المعتضد بتنكيله بأعدائه وقد جعل من أشلائهم حدائق لها ثمار من رؤوسهم،وكان يتلذّذ برؤيتها، فكان كما ذكر المؤرخون يشعر بـ "موجة عارمة من السّعادة تغمره وهو يتأمل هذه الحديقة العجيبة ([2]) التي كانت مبعثاً كبيراً من مباعث الفخر عنده ، الأمر الذي جعل الشّعراء نحو صاعد بن الحسن البغدادي، وابن عمار، يدرجونها ضمن المدائح التي توجّهوا بها إليه([3]). ومن فخره بهذه الحديقة قوله([4]): البسيط

زُهْرُ الأسنّةِ في الهَيْجا غَدَتْ زَهري ... غَرَسْتُ أشْجارَها مُسْتجْزِلَ الثَّمرِ
مـا إنْ ذَكَرْتُ لَـهَا مِنْ مَعْرِكٍ جَلَلٍ ... إلا تَجـللتُهُ بالصّارمِ الذّكَرِ
حتّى غَـدَوْتُ وأعـدائي تُخاطِبُني ... يـا قاتِلَ النّاسِ بالأجنادِ والفِكَرِ

---

[1] . الديوان ، ص١٨٥.

❖ في الأصل بهم

[2] . بيرس هنري ، الشّعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، ط١ ، ترجمة الطّاهر أحمد مكّي ، دار المعارف ١٩٨٨ ، ص٣٨٣.

[3] . ينظر في ذلك المرجع السابق ص٣٨٣ ، ٣٨٤.

[4] . الديوان ، ص ١٨٩ ، الحلة ج٢ ، ص٤٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ شدّة المعتضد وقوّته جعلتاه يسمو بنفسه فيأمّل أن يملك الدّهر والأمم ، حتّى إنّ الخير لا يأتي -كما يرى - إلا إذا تسلّم هو زمام ملكهما ، ويتجلّى هذا المعنى في قوله مفتخرا :([1]) البسيط

هَذي السّعادةُ قَدْ قامتْ على قدمِ وقَدْ خَلَعَتُ لهـا في مَجْلسِ الكرَمِ
فإنْ أردْتَ إلهي بالوَرَى حُسناً فَملّكَنّي زِمَـامَ الـدَّهْر والأُمَـمِ
فإنَّني لا عدَلْتُ الدَّهرَ عن حَسَنٍ ولا عَدَلْتُ بهم عـن أكْـرَمِ الشِّيـمِ
أقارعُ الدَّهرَ عَنْهمْ كُلَّ ذي طَلَبٍ وأُطْـرِدُ الدّهرَ عَنْهُمْ كلَّ ذي عدمِ

ويسير يوسف الثّالث على نهج غيره من الحكّام، فيعلو صوته بالفخر بنفسه ويرى أنّه أهل لذلك، مقدماً حجّته على ما يعدّده من مفاخر تجمّعت فيه، فيقول([2]): الطّويل

لنا حجّةُ الفخرِ المحقّقُ صدقُها وقد فاتحتنا مـكةُ ومقامُهـا
لنا أن دعا الدَّاعي لنصرةِ دينه إجابتُها نصـريةٌ واحتكامُهـا
لنا الصّولةُ المرهوبةُ العزمِ كلّما تصولُ الأعادي أو يطولُ خصامُها
أنا اليوسفيّ الملكُ صدقاً إذا بدا تراجُعُ أحزابِ العدا وانهزامُهـا

تبدو الأنا عند الشاعر متضخّمة في الأبيات، وتكاد تكون ظاهرة مألوفة في شعره، حيث نجده يكثر من قوله (أنا)(لنا)(اليوسفي أنا)(أنا اليوسفي) ([3])،ومن ذلك قوله([4]):

ألستُ سليلَ الصِّيدِ من آلِ حميرْ وخيرُ ملوكِ الأرضِ قوماً ولا فخرُ
لنا المنصبُ الأعلى على كلَّ منصب لنا العزّةُ القعساء والـغرَرُ الغرُّ
لنا الهضبة الشّماءُ ساميةُ الذُّرى لنا الرَّايةُ الحمراءُ يهفو بها النّصرُ
مكارمُ أَعيتْ كلَّ منْ رامَ حَصْرها وهيهاتَ ما للشُّهبِ في أفقها حَصْر

[1] . الدّيوان ، ص١٩٩.
[2] . الديوان ص١٢٠.
[3] . ينظر ورودها على سبيل المثال ص١٣ . ١٦ .٤١ . ٢٨ . ٣٦ ،٤٦. ٤٨ .٥٥ . ٦٠،٧٣ ....
[4] . نفسه ، ص ٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعاني التي اشتمل عليها فخر الحكّام بقوتهم وشجاعتهم في ميدان الحرب والقتال، أنهم كانوا يستمتعون بالقتال وأدواته، فيفضلونها على كلّ الملذّات والمتع واللهو والطّرب،ومن ذلك قول الحكم بن هشام الرّبضي (١): الطّويل

غِناءُ صَليلِ البيضِ أشهى إلى الأذنِ ... من اللحن في الأوتارِ واللهوِ والرَّدْنِ*
إذا اختلفتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ والقنا ... أَرَتْكَ نجوماً يطَّلِعْنَ من الطَّعنِ
بها يهتدي السّاري وتنكشفُ الدّجى ... وَتَسْتَشْعِرُ الدُّنيا لباساً من الأمنِ
شققتُ غمارَ الموتِ تخُطئ مُهْجَتي ... سهامُ ردىً قبلي أصابتْ ذوي الجُبْنِ
إذا لَفَحتْ ريح الظّهائرِ لم يكنْ ... لفاعيَ فيها غيرَ فَيْءِ القنا اللّدنِ
وإن لم يجدْ حصناً سوى الفرِّ مُقدمٌ ... فما ليَ غيرُ السّيفِ والرّمحِ منْ حصنِ

جدير بالشّاعر في مثل هذا الموقف القتالي أن يستبدل صليل السّيوف،وزرق الأسنة، وما حقّقته له من نصر على الأعداء، باللّذات واللّهو وآلاتهما؛ فهو بها يستشعر نفسه فارساً مقداماً مدجّجاً بالسّلاح محميّ الجانب .

ويشير عبد الرّحمن بن معاوية إلى أنّ القتال على ما فيه من صعوبات ومتاعب أبعد ما في نفسه من هوى وميل إلى الرّاحة والملذّات، ومن ذلك أنّه كان معروفاً عنه كلفه بصيد الغرانق، وفي إحدى غزواته سنحت له الفرصة لذلك، غير أنّه أبى ذلك وقدّم عليه صيد الأعداء فقال : (٢)

دعني وصيد وُقَّعِ الغرانقِ ... فإنَّ هَمِّي في اصطيادِ المارقِ
في نفق إن كان أو في حالق ... إذا التظتْ لوافح الضوائقِ
كان لِفَاعي ظلَّ بندٍ خافقِ ... غَنِيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقِ
بالقفرِ والإيطانِ بالسُّرادق ... فقل لمنْ نام على النمارقِ:
إلى العلا شُدّتْ بهمٍّ طارقِ ... فاركبْ إليها ثَبَجَ المضائق

---

١ . الحلة ج١ ، ص٤٩.

* ذكر المحقّق في الهامش أنّ هذه الكلمة ربما تكون الدَّرن (بفتحتين)بمعنى اللهو

٢ . المصدر نفسه ، ص ٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و بمثل ذلك يفتخر المنصور بن أبي عامر، فيتحدث عن تفضيله القتال بما فيه من متاعب على الرّفاهية والراحة، فيقول ([1]): الطّويل

ألم ترني بِعتُ الإقامةَ بالسُّرى   وَلِينَ الحشايا بالخيولِ الضّوامرِ؟
تبدلّتُ بعدَ الزّعفرانِ وَطِيبِه   صدا الدِّرع من مستحكمات المسامرِ
أروني فتىً يحمي حمايَ وموقفي   إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكر
أنا الحاجب المنصور من آل عامرٍ   بسيفي أقدُّ الهامَ تحت المغافرِ

ويفتخر يوسف الثالث بأنّه استبدل الحرب بما فيها من تعب ومخاطر بالمتع والملذّات من حرير وخمر ونساء.. إلخ فيقول ([2]): الطّويل

تعوَّض من لبسِ الحريرِ دروعاً   وأبدلَ من كأسِ المدام نجيعا
ومنْ مائلِ القد المنعَّم ذابلا   تساقى ولاقى في الدِّماءِ شروعا
ومنْ ظلِّ خفّاق الظّلال مهدّل   هجيراً يظلُّ السّربُ فيه مَروعا
ينافحُ ما بين الثّنايا بهبة   يعودُ بها الصَّعبُ الأبيُّ مُطيعا
ومن رائق الخدّين حَدِّي مذرّب   يغادرُ حزب الدَّارعين صريعا

وقوله ([3]): الطّويل

وعوِّضتُ عن ليلِ الصَّبابةِ والهوى   بأرعنَ جرَّار تخبُّ جحافله

ويفتخر الرّئيس إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج بعلو همّته وتفضيله الحمراء (غرناطة) على المرأة التي رمز لها بليلى فيقول الطّويل:

أردّدُ في ليلى فرائد فِكرتي   فيحسبني صحبي بليلى مُولَّعا
ولو علموا ما يقتضي بُعد هِمَّتي   لخرُّوا أمامي كُلَّما لحتُ رُكّعا
وُلِعْتُ بحمراءِ البلادِ ولم يكنْ   فؤادي بحمراءِ الخُدودِ ليولعا

[1] .المصدر نفسه ، ص٢٧٥ ، ص٢٧٧.

[2] . الديوان ، ص١٣٦.

[3] . الديوان ص٩٢. الديوان ص٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الطّبيعي أن تكون هذه هي حياة الحكّام في أوقات الحرب والأزمات، فلو أخلدوا إلى الرّاحة والدعة، وترجلوا عن خيولهم واستمرؤوا رفاه العيش ونعيمه، لم يجدوا ما يفتخرون به، فالحرب بمخاطرها وصعوباتها تمنحهم الأمن والاستقرار.

ليست القوة والشّجاعة وحدهما ما يحقّق به الحكّام سيادتهم وسلطتهم على النّاس، إنّما هناك جوانب أخرى لها أهميتها في هذا السّبيل نحو: الكرم والعطاء . ولهذه الفضيلة (الجود) دورها في توطيد العلاقة بينهم وبين الرّعية؛ إذ تجعلهم محطّ أنظار ذوي الحاجات، وقبلتهم التي يقصدونها، وهم – الحكام – أصحاب اليد الطولى، كيف لا وبيت المال تحت إمرتهم يغدقون منه على المقرّبين، وعلى من يطرق بابهم طالباً العون ملهوفاً ومستغيثاً بهم.

والكرم والسخاء إحدى الفضائل الإنسانية المحمودة عند العرب عامة ،" وتمدّحت به ومدحت به سواها ، وذمّت من كان على ضد حالها فيه "([1])، وهذه الفضيلة إن لم تكن طبعاً أصيلاً عند الحكام مفطورين عليه، فإنّه لا بدّ لهم من تطويع أنفسهم وحملها على الاتصاف بها، لا ليتباهوا بها في أشعارهم فحسب، ولكن لأنها تشكّل لهم باباً من أبواب السّلطة والتّمكين؛ فبعطائهم يضمنون ولاء النّاس لهم، وبها كما صرّح بعضهم في شعره يستعبدونهم.

ومن خلال أشعارهم التي افتخروا فيها بكرمهم سنحاول أن نتبيّن ما يحقّقه ذلك الفخر لهم نفسيّا من جهة، وسياسيّاً من جهة ثانية، وهل كان الكرم فيهم طبعاً أصيلاً أم أن ثمة بواعث من السلطة دعت إليه؟

يفتخر المعتمد بن عباد بالكرم ويتحدث عن موقعه من نفسه، فيقول ([2]): البسيط

الجودُ أحْلَى على قلْبي من الظَّفر ومن مَنَال قَصيِّ السُّؤل والوَطَـرِ
ومِنْ غناءِ أُرَيْوَى في الصّبُوحِ لنا يا طلعةَ الشَّمسِ في الآصال والبُكَر
وقد حَنَنْتُ إلى ما اعْتَدتُ من كرمٍ حنينَ أرضٍ إلى مُسْتأخر المَطَـر

[1] . أشار ابن طباطا إلى ذلك في معرض حديثه عن الفضائل المحمودة عن العرب ينظر في عيار الشّعر، ص١٧.

[2] . الديون ، ص١٠٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد عبّر المعتمد عن الحلاوة التي يجدها عندما يقدم العطاء إلى الآخرين، فعطاؤه لهم مقدم على حاجاته وأمنياته بعيدة المنال، كما عبّر عن شوقه للكرم الذي اعتاد عليه، وكأنه حيل بينهما، حتى غدا كالأرض المشتاقة للمطر بعد طول احتباس.

ويفتخر يوسف الثالث بالعلاقة بينه وبين العفاة من رعيّته، فهو محطّ أنظارهم وقت الحاجة، وعليه علقوا آمالهم، وهو فرح بذلك، فيقابلهم مبتهج الوجه طلقه، وفي ذلك يقول (١): الطّويل

تناطُ بنا الآمالُ وهي عسيرةٌ فيفرجها خرْقٌ تدرُّ فواضلــه
إذا يمّم العافي مَريع جنابنا فقد حمدت طيَّ الفيافي رواحله
يحييه طلقُ الوجه يرتاح للنَّدى ويسبق علويَّ الرّياح أناملــه

ويفتخر المعتضد بالكرم ويذمّ البخل ، ويجد فيه منقصة ، وله في ذلك مقطوعات عدة منها قوله (٢) : مجزوء الكامل

منْ كانَ يسْلو عَنْ نَوَالٍ فأنا الـذي لسْتُ بسالِ
البخلُ عيْنُ نقيصــةٍ والـجودُ عَيْنٌ للكمَـالِ
أبْصرتُ رُشْدي في النَّدى فالبخلُ عِنْدي كالضَّلالِ
هَذا زُعَاقٌ طعمُــهُ والجودُ حلْوٌ كالـزُّلالِ

ومن الأشعار التي افتخر بها الملوك بكرمهم وعطائهم يتبيّن أن الكرم كان يشكل عندهم باباً من أبواب السّلطة وكسب ودّ النّاس، إذ كانوا يغدقون العطاء بغية تملّك الرّعية واستعبادها، وبهذا يصرّح الحكم بن هشام، فيقول (٣):

البذلُ - لا الجمعُ- فطرةُ الكرمِ فلا تُرِدْ بي ما لم تُرِدْ شيمي
ما أنا من ضَيعةٍ وإن نَعُمَتْ؟ حسبي اصطناعُ الأحرار بالنِّعَمِ
مُلكُ الورى والعبادِ قاطبـةً لا مِلك بعض الضّياع من هِممي

---

١ . الديوان ، ص٩٣.

٢ . الديوان ، ص١٩٥.

٣ . ابن الأبار، الحلة،جـ١،ص٤٣ . جاء في الحلّة في مناسبة هذه الأبيات أنه قالها عندما عرضت عليه ضيعة خصبة ليشتريها ، فقال :إن همّه اصطناع الرّجال لنفسه ، لا امتلاك الأراضي ، فقال له رجل: اصطنعني بها فاشتراها له ، وأشار بعض من حضر إلى أنّ الاستعداد بالمال أعون على درك الآمال ، فأطرق الحكم ثمّ قال تلك الأبيات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

افتخر الشاعر في الأبيات ببذله المال، وأشار إلى أن ذلك من شيمه التي فطر عليها، ولكن السّلطة حوّلت هذه الفضيلة إلى وسيلة لامتلاك النّاس والسّيطرة عليهم، فبالمال كما أشار الشّاعر يصطنع الحكّام الأحرار ويمتلكونهم.

ومن هذه الأهداف التي يسمو إليها الشّعراء الحكّام من وراء الفخر بشجاعتهم وكرمهم نيل حمد النّاس وثنائهم عليهم ، لاتصافهم بهذه الخلال ، والمنفعة في هذا الجانب متبادلة ، فالحكّام يبذلون المال مقابل حمد النّاس وثنائهم ، وهذه حقيقة أقرّ بها الشّعراء من قبل إذ يقول الحطيئة ([1]) :

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المكارم يُحمد

إن حمد النّاس وثناءهم على الحكّام يجد هوى في نفوسهم فله يسعون وبه يفتخرون. وفي ذلك يقول المعتضد بن عباد([2]):الطّويل

أقومُ على الأيّامِ خيرَ مقـامِ وأُوقِدُ فـي الأعداءِ شرَّ ضرامِ
وأنْفِقُ في كسْبِ المحامدِ مهْجَتي ولو كان في الذّكرِ الجميلِ حِمامي
وأُبلِغُ من دُنيايَ نفْسي سؤْلَهـا وأضْربُ فـي كلِّ العُلا بسهـامِ
إذا فضحَ الأملاكَ نقصٌ فإنّـه يُبيِّنه عنـد الأنَام تَمامـــي

وفي ذلك يقول يوسف الثالث ([3]): الطّويل

وإنّيَ يوم الأمن أسدي مكارماً تضيقُ بها الأقطارُ والطّول والعرضُ
بنا ساعة الهيجاء يَحْمَى* وطيسُها وتهتك أستار البغاة إذا انقضـوا
فأيّ خصالِ الحمدِ لستُ بمحرزٍ وكل معالي المجد ميلي لا محضُ

غير خاف أن الحكّام يجدون في حمد الناس وثنائهم على فضائلهم الحميدة من: شجاعة وكرم إقراراً لهم بالسّلطة والسّيادة ، فلا يُقصد طلباً للأمن والمال غيرهم ؛ فتبقى لهم اليد الطولى في البأس والكرم ، ولا ينازعهم في ذلك منازع.

---

[1] . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة، ج٢، ص ١٥٥.
[2] الدّيوان، **ص١٩٨.**
[3] . الديوان، ص١٣٤.
* في الدّيوان يحملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا كانت الشّجاعة والكرم من أظهر الفضائل التي افتخر بها الحكّام في شعرهم، فإنّهم لم يكتفوا بالفخر بكل واحدة منهما على حدة، بل جمعوا بينهما في مواطن كثيرة من شعرهم، ويبدو أن هذا الأمر كان يشعرهم بالرّضى، إذ مدحوا به أنفسهم ،وبه أيضا مدحهم الشّعراء، وقد كثر هذا عند الشّعراء الأندلسيين عامّة، حيث كانوا " يقرنون في جلّ مدائحهم بين فضيلتي الكرم والبأس ويرون أن كلتيهما تصدر عن الأخرى (١). فمن فخر الشعراء الحكّام لأنفسهم بالقوة والكرم معاً قول ابن رزين مفتخراً بقومه وبنفسه(٢): (البسيط)

شأوتُ أهلَ رزينٍ غيرَ محتفلٍ وهم ، على ما علمت أفضُل الأممِ
قومٌ إذ حوربوا أفْنَوا وإن سئلوا أعْنَوا وإن سوبقوا حازوا مدى الكرمِ
جادوا فما يتعاطى جُودَ أنملهم مدُّ البحارِ ولا هطّالةُ الدِّيـــمِ
وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ هيهـات هل أحدٌ يسعى بلا قدم؟
فمَن يرُم جاهداً إدراك منزلتي فليَحْكني في النّدى والسّيف والقلمِ

لقد صرّح الشّاعر في الأبيات أن الشّجاعة والكرم هما وسيلته التي بهما ارتقى إلى العليا وأنّ من أراد أن يدرك منزلته تلك فإنّ عليه أن يتّصف بهما.

وبهاتين الفضيلتين يفتخر المستظهر بالله في قصيدته التي بعث فيها لزوج عمّه، وكانت قد مطلته في الرّد على طلبه الزواج من ابنتها ، فبعث لها قصيدة عدّد فيها مناقبه، بغية إغرائها بالموافقة عليه، فيقول من أبيات تأتي بقيتها لاحقاً (٣):(الطّويل)

وإنّي لطعّانٌ إذا الخيلُ أقبلـتْ جرائدُها ، حتّى تُرى جونُها شُقرا
ومُكرمُ ضيفي حين ينزل ساحتي وجاعلُ وفْري عند سائله وَفْـرا

١ . محمود نجا، أشرف ، قصيدة المديح في الأندلس ، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر ، الإسكندريّة ، ط١، ٢٠٠٣، ص ٣٣.

٢ . ابن الأبّار ، الحلة ، ج٢ ، ص١١١.

٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهما يفتخر المنصور بن أبي عامر، فيقول ([1]) :(الطويل)

ومن شيمي أنّي على كلّ طالبٍ أجودُ بمالٍ لا تقيه المعاذرُ
وإنّي لزجّاء الجيوش إلى الوغى أسودٌ تلاقيها أسود خوادرُ

ويتسلح بهاتين الفضيلتين أبو القاسم محمّد بن إسماعيل، ويرى أنّهما من المؤهّلات التي تؤهّله لسيادة الورى، فيقول مفتخراً بهما([2]): الطّويل

ولا بد يوماً أن أسودَ على الورى ولو رُدَّ عمرو للزّمان وعامر
فما المجد إلا في ضلوعيَ كامنٌ ولا الجودُ إلا مِن يمينيَ ثائرُ
فجيشُ العلا ما بين جنبيَّ جائلٌ وبحر النّدى ما بين كفيَّ زاخرُ

إنّ الشّاعر بشجاعته يشكّل جيشاً بمفرده، ومن كثرة كرمه يشكل جوده بحراً فكيف لا تتحقّق له بذلك سيادة الورى ؟.

وبهما يفتخر المعتضد بن عباد فيقول ([3]):الطّويل

أَطلتُ فخارَ المجدِ بالبيضِ والسُّمرِ وقصَّرتُ أعمارَ العُداةِ على قَسْرِ
وسعتُ سبيلَ الجودِ طبْعاً وصَنْعةً لأشياءَ في العلياءِ ضاق بها صدري
فلا مَجْدَ للإنسانِ ما كان ضدُّهُ يُشاركهُ في الدَّهر بالنَّهي والأمرِ

و يفتخر المعتضد في السّياق ذاته معلياً من الجود، وحاطّاً من البخل مبيّناً أنّ الأوّل سبيل المجد ومكسب الحمد فيقول ([4]):الطّويل

أجدّدُ في الدّنيا ثياباً جديدةً يجدّدُ منها الجودُ ما كان باليا
فما مرَّ بي بخلٌ بخاطرِ مُهجتي ولا مرَّ بخلُ النّاسِ قطُّ ببالِيا
ألا حبّذا في المجدِ إتلافُ طارفي وبذْليَ عنْدَ الحَمْدِ نفسي ومالِيا

---

[1] . المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٧٤.

[2] . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨.

[3] . الديوان، ص١٩١.

[4] . لم ترد الأبيات في الديوان ووردت في الحلة، ج٢، ص٤٣، ص٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفتخر يوسف الثّالث بقوته وعطائه، فيقول ([1]): الطّويل

وإنّيَ من يُردي الكماةَ ثباتُه وقد هدَّ ركن الصّبرِ في وثباتــه
وإنّيَ من يخشى الملوكُ نِزاله ولم يخش صرف الدَّهر من عَزَماته
وإنّيَ من ترجو العفاةُ نوَاله وتخشى أسودُ الحرب حدّ شباتـه

ويفتخر ثالث ملوك بني نصر محمّد بن محمّد بن يوسف بقوّة بأسه في الحرب وبكرمه إذا ما أعطى، وذلك في سياق قصيدة غزلية فيقول ([2]) السّريع

أوامري في النّاس مسموعـةٌ وليسَ منّي في الورى أشْرفـا
يرهف سيفي في الوغى مصلتا ويُتّقى عزمــي إذا أُرْهفـا
وتُرْتَجَى يمنايَ يوم النّــدى تخالـها السّحب غدتْ وُكّفـا
نُخافُ إقداماً ونُرجى نــدى للهِ مـا أرْجى ومــا أخوَفـا

لقد كرّر الشّاعر فخره بقوته وبنداه في غير موضع من الأبيات السّابقة، وما ذاك إلا ليؤكّد اتّصافه بهاتين الفضيلتين؛ تحقيقاً للتفرد والسيادة .

ويفتخر ثاني ملوك بني نصر بن محمد بن يوسف بفضيلتي: القوة والكرم في سياق مقطوعة خاطب بها أحد وزرائه، بدا فيها كأنّه مانّا بما قدمه له من عطاء، فيقول: ([3]) المتقارب

تذكّر عزيزُ ليالٍ مَضَتْ وإعطاءَنا المالَ بالرّاحـتينِ
وقدْ قَصَدتْنا ملوكُ الجها تِ ومالوا إلينا من العُدْوَتينِ
وإذْ سألَ السّلمَ منّا اللعيـ ـنُ فلم يحْظَ إلا بخفيّ حُنَيْنِ

[1] . الديوان، ص١٦.
[2] . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٥٤٦.
[3] . نفسه ص٥٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تقتصر الفضائل التي افتحر بها الحكام في شعرهم على فضيلتي: (الشجاعة والكرم)، وإنّما افتخروا بما شاع عند العرب من فضائل تمدّحت بها، ومدحت غيرها بها نحو: العقل والعزم والوفاء والحلم والصدق والنجدة([1])، وهم إذ يفتخرون بهذه الفضائل ويقدّرون أهميّتها، يجدون فيها قوام سلوكهم في الحياة وباباً من الأبواب التي تزيد من تفردّهم وتميّزهم عن غيرهم، فهذا ابن رزين يفتخر بأنه اجتمع لديه خمس فضائل، لها دورها في إسعاد الناس وإشقائهم، ويرى أنّ من تجمّعت فيه عاش حياة طيّبة، وأنّ مَنْ عَدِمها كان في ذلك شقاؤه، وتلك الفضائل يجملها ابن رزين بقوله: (الخفيف):

أنا مَلْكٌ تجمَّعت فيّ خمسٌ   كلّها للأنامِ مُحْيي مُميتُ
هي: ذهنٌ وحكمةٌ ومضاءٌ   وكلامٌ في وقته وسكوتُ

ويفتخر المستظهر بالله في قصيدته سابقة الذّكر باتّصافه بجموعة من الفضائل، فيقول:

وعنديَ ما يُصبي الحليمةَ ثيّباً   ويُنسي الفتاةَ الخودَ عُذرتَها البكرا
جمالٌ وآدابٌ وخلق موطّـأ   ولفظٌ إذا ما شئتَ أسمعكَ السّحرا

لقد عني الشّاعر بذكر الفضائل التي تجد قبولا عند النّساء، فتجعلهن يضعفن أمام الرّجال وتوقعهن في هواهم، فذكر بعد فخره بالشّجاعة والكرم جماله وحسن خلقه وبيانه السّاحر.

ويفتخر المعتضد بعلو همّته، وحمله هموم رعيّته، وتقديمه راحتها (الرّعية) على راحته، حتّى كأنها تسكنه فلا يفتأ يفكر فيها ، وكلّما فتر عزمه ومال إلى الدّعة، حرّكته طبائعه الكريمة واجتهاده إلى تذكّر المعالي والسّعي نحوها ، فيقول:الطّويل

أنامُ وما قَلْبي عنِ المجدِ نائمُ   وإنَّ فؤادي بالمعالِي لهـائمُ
وإن قعُدتْ بي علَّة عنْ طِلابها   فإنَّ اجتهادِي فـي الطِّلابِ لقائِمُ
يعُزُّ على نفْسي إذا رُمْت راحةً   براحٍ، فَتَثْنـيِنِي الطِّباعُ الكَرَائـمُ
وأسهرُ ليلي مُفْكراً غيرَ طاعمٍ   وغيْري على العلاتِ شبْعانُ نائمُ
يُنادي اجْتِهادي إن أحسّ بفترةٍ   ألا أينَ يا عبّادُ تلــكَ العزائمُ؟
فتهتزُّ آمالي وتقْوى عزائِمِي   وتُذْكِرُني لَذَّاتِهـنَّ الهــزائِمُ

[1] . ينظر تفصيلها في كتاب نقد الشّعر.ص٦٥-٨٠،وفي عيار الشعر ص١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسم الشاعر في الأبيات صورة لنفسيّته من الدّاخل، فهو وإن كان حاكما فإنّه بشر تمر به لحظات من الضّعف، ويتسلّل الخوف إلى نفسه، ويميل إلى الرّاحة والملذّات، ولكنّه بحكم سلطته يعرف أنّه لو تركها على هواها وأرخى لها اللجام هوى نجمه، فما يكون منه إلا أن يشدّ لجامها بتحريكها نحو المعالي، واستثارة حماستها للوصول إلى المجد، فتقوى عزيمتها، وتنقاد له، فيصير أمرها بيده، ويحرّكها كيفما يشاء،فهو أدرى الناس بها، وأعلم بدواخلها.

ويفتخر يوسف الثّالث بكثرة مكارمه، حتّى إنّها عنده جلّت عن التّعداد، فيقول ([1]):الكامل

أنا من علت* إذا المكارمُ عدِّدتْ فمكارمي جلّت عن التّعديد

ويفصّل في تلك المكارم فيّذكر منها:حسن الخلق والصّدق، والوفاء، و مقدرته على نيل المطالب الصّعبة، فيقول مفتخرا باتّصافه بذلك ([2]):الطّويل

أنا يوسفٌ واليوسفيّ صفاته إذا عـزّ نَيْلٌ فالمـواهبُ نِيلُ
أنا يوسفٌ والصّدقُ يشهد أنّني على الخَلْقِ ظلّ في الهجيرِ ظليلُ
فكيف أرى غير الوفاءِ سجيةً وعنــديَ مـنه معشرٌ وقبيلُ

ويأتي الفخر في شعر بعضهم بالفضائل الحميدة لاسيما الحلم والعفو في سياق الإعراض عمّن يتعرّض لهم بقبيح من القول أو الفعل، ومن ذلك قول الرّئيس الأمير أبي سعيد، وقد بلغه عن أحد بني عمه كلام قبيح في جنابه ، فرد عليه مفتخرا([3]):الطّويل

يقولون إنّي بالبطالة مُولعُ ولستُ وربِّ البيتِ أعرفُها بتَّا
ولكنَّهم لمَّا رأَوْنيَ سدتُهُم وكان جوابي في مجالسهم صمتا
تقوَّل كلٌّ في جنابيَ ضَلّةً وما عرَفُوا وصفاً لذاتي ولا نعتا

[1] . الديوان، ص٣٦

* لعلها علوت

[2] . نفسه ، ص١٠٥.

[3] . ابن الأحمر، نثير الجمان، ص٨٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفتخر المعتمد بصفحه عمّن يسيء له فيقول([1]) :الطّويل

وكُلُّ امريءٍ يجْني عليَّ جريمةً أجازيه على الذّنب بالصّفحِ*

وبعد النّظر في الأشعار التي قالها الحكّام في موضوع الفخر تبيّن أنّهم ركّزوا مفاخرهم على فضيلتي: الشّجاعة والكرم، وقد عكس ذلك طبيعة العلاقة بينهم وبين النّاس انطلاقاً من موقعهم السّياسي ، حيث سعوا لتعزيز سلطتهم وتوثيق العلاقة بينهم وبين النّاس، بتوفير الأمن و الحماية لهم. ولا يتحقّق لهم ذلك إلا إذا برزوا في ميدان القتال قادة شجعانا لا يهابون الموت، كما أنّهم سعوا إلى كسب ودّ الناس واستمالتهم بتقديم العطاء لهم؛ لينالوا شكرهم وثناءهم، وبهذين الجانبين ينقاد النّاس لهم طائعين راغبين بما عندهم من منفعة.

وانطلاقا ممّا تقدم نجد أنّ فخرهم جاء مستمدّا من المجتمع وموقعهم فيه ،فالنّاس بحاجة إلى الأمن والعطاء، وهم-الحكام- بحاجة إلى فرض سلطتهم، وتثبيت ملكهم، وسياسة النّاس سياسة لا تمرّد فيها، وسبيلهم لذلك توفير ما يحتاجه الناس من متطلبات الأمن والعيش، فبهما يملكونهم ويسودون عليهم.

ولم يُغفل الحكام في فخرهم الفضائل الإنسانيّة الأخرى من: العقل والعلم والحلم وغيرها، إنما افتخروا بها ورأوا فيها كمال سيادتهم.

إن دراستنا لأشعار الفخر التي قالها الحكّام لم تنته عند هذا الحد، وإنّما سنعرض لها عند دراسة بعض الموضوعات الأخرى، إذ افتخر الشّعراء الحكّام في غزلهم و رثائهم وشكواهم، ولذلك دوافع ودلالات نشير إليها في موضعها.

[1] . الدّيوان ، ص ١٠٧.
*البيت مكسور في الأصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا :الإخوانيّات:

تندرج مجموعة من الموضوعات الشّعرية تحت هذا الضّرب من الشّعر في الأندلس، وهي تدور "حول الهديّة وشكرها، والاستهداء، والصّداقة،والعتاب، والمراسلات الشّعرية والتّهاني، وكذا شعر الألغاز والأحاجي" (١) ، ولهذه الموضوعات الشّعريّة أهميّتها؛ فهي تصوّر طبيعة العلاقات التي كانت تربط الشّعراء الحكّام بأفراد المجتمع المحيطين، وكيف كانوا يتواصلون معهم في المواقف الإنسانيّة والمناسبات الاجتماعيّة المتنوّعة كما، " يتبيّن لنا من ورائها مجموعة من أخلاق المجتمع والصّفات المشتركة بين أفراده، وما يجرون عليه من عادات وتقاليد وصلات "(٢) .

ولمّا كانت حياة الشّعراء الحكّام تتميّز عن غيرهم من النّاس بالحكم والسّيادة، فإنّه من البداهة أن نسأل هل يظهر أثر ذلك واضحاً في موضوعات الشّعر الإخواني عندهم، بحيث توجّه السّلطة مضامينه وموضوعاته توجيها مرتبطاً بها ومنبثقاً عنها، فتجعلها تدور في فلكها؟وهل جاءت كلّ موضوعات الشّعر الإخواني متأثرّة بالسّلطة وتابعة لها؟ أم أن الشّعراء الحكّام تمكّنوا من خلع عباءة الحكم ،فتناولوا في إخوانيّاتهم الموجّهة إلى الأقارب والأصدقاء موضوعات اجتماعيّة لا علاقة لها بالسّلطة ؟

تعدّدت موضوعات الشّعر الإخواني التي نظم فيها الشّعراء الحكّام، فظهر منها في شعرهم : العطايا* والاعتذار واللوم والاستعطاف والاستشفاع والاستدعاء للمجالس، والأحاجي والألغاز والتّهنئة والتّعزية . وكانت الموضوعات الثلاثة الأخيرة قياساً بالموضوعات الأخرى -فيما بين أيدينا من شعرهم-الأقلّ حضورا، كما أن بعض الموضوعات جاءت في بعض الأحيان في إطار المراسلات الشّعرية التي كانوا يتبادلونها مع غيرهم ، حيث ضمّنوها موضوعات مختلفة نحو: الاعتذار والعتاب والتماس العطاء وتقديمه لمن طلبه منهم .. إلخ .

---

١ . الشّناوي ، علي الغريب ، الإخوانيّات في الشّعر الأندلسّي ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦، ص٢

٢ . سليم ،محمد مرزوق ، عصر السّلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، المجلّد الثّامن ص ٥ ، ط١ مكتبة الآداب ،القاهرة /١٩٩٥ عن المصدر السابق ص ١ .

*تحلّ العطايا محلّ موضوع الهدية وذلك لأن الهدية – كما أجده تأتي نابعة من المُهدي أيّ من يقدّمها له بغير طلب منه تعبيراً عن المودّة والمحبّة، أمّا العطايا فقد جاءت في شعرهم بناء على طلب من تقدّموا لهم بها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد لعب الحكّام في هذه المراسلات دور المرسل حينا، فكانوا يتراسلون مع غيرهم معاتبين، أو مستهدين، أو معتذرين، و لعبوا دور المستقبل، فكانوا يتلقّون المراسلات من غيرهم ويردّون عليها.ولمّا كانت موضوعات الرّسائل الشّعريّة متعدّدة، لا تختصّ بموضوع واحد، فإنّه سيتم عرضها في إطار دراسة موضوعات الشّعر الأخرى كالخمر، وبعض أبواب الشّعر الإخواني .

أ- العطاء:

ويقصد به ما كان يقدّمه الشّعراء الحكّام من: صلات وأعطيات للأقارب والأصدقاء ومن كانوا يتوجّهون إليهم بطلب العون والمساعدة ممّن حولهم، ولهذا الموضوع أهميّة في تثبيت العلاقة التي كانت بينهم وبين من حولهم ،حيث كانوا يشكّلون قبلة يؤمّها ذوو الحاجات طلباً للمساعدة الماديّة ، وأملاً في رضاهم ،يعرضون فيها مسألتهم وما يبتغونه منهم، وكانت استجابة الحكّام لطلبهم تأتي مصحوبة بجواب شعريّ تختلف مضامينه باختلاف الشّخص، المقدَّم أو المناسبة التي قيل فيها .

كانت أيدي الحكام بحكم موقعهم السّياسي والاجتماعي دائماً هي التي تتقدّم بالعطاء وتجود به على من يستحّق، وقلما نجدهم يُقْدمون على سؤال غيرهم بمثل ذلك ،عدا المعتمد بن عباد حيث كان قد توجّه بطلب المنح والعطايا، ولكن ليس ممّن هم أقل منزلة منه وإنّما من والده، وذلك بحكم سلطته عليه أباً وحاكماً، فكان قد سأله في مجموعة من الأشعار أن يجود عليه ببعض الأمنيات والرّغائب التي كانت نفسه تتوق إليها، وعند استجابة والده لطلبه كان يردّ عليه بأبيات شعريّة يعبّر فيها عن شكره وثنائه لأبيه، وقد كانت هذه حال من كانوا يتقدّمون للحكّام بطلب أو حاجة ،فكانوا يرسلون طلبهم شعراً يعرضون فيه حالهم ومسألتهم، وكان الحكّام يردّون على ذلك بأبيات من الشّعر.

جاء عطاء الحكّام للآخرين في معظم الأحيان بطلب منهم ،فكان من لديه حاجة عندهم يتجه إليهم برسالة شعريّة يضمّنها حاجته ،ومن ذلك ما نقله ابن الابّار عن ابن فرج صاحب الحدائق أنّ عبد الرحمن بن الحكم "فرّق في يوم فصد له بدراً على من حضره، وعبد الله بن قرْلمان أحد خواصّه ومواليه غائب في باديته، فابتدر فوجد أمراً قد نفذ، فكتب إليه بأبيات منها السّريع

يا مَلكاً حلَّ ذُرى المجدِ وعمَّ بالإنعام والرِّفْـــدِ
طُوبَى لمنْ أسْمعتَه دعوةً في يومِك المأنوسِ بالفَصْـدِ
فظلَّ ذاكَ اليومَ مِن قصْفه مُستوطناً في جنة الخلــد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقدم الشّاعر عذره لعبد الّرحمن على عدم الحضور، ويلتمس منه العطاء الذي لم ينل منه فيقول:

وقد عَدَاني أن أُرى حاضراً جَدٌّ متى يُحْظِي الورى يكدِ
فامْنُن بتنويليَ جَداً لم يزلْ يعُمُّ أهـل القُرب والبُـعدِ

وعلى ما يبدو من توقيع عبد الرّحمن على هذه الأبيات أنّه لم يقتنع بعذره عن الغياب ، فكتب له من آثر التّضجّع فليرض بحظّه من النّوم" ولم ييأس ابن قرلمان من معاودة الطلب فكتب له لا نمت إن كنت يا مولاي محروما "الأمر الذي جعل عبد الرحمن يقدّم له الصلة، ويرسل معها بجواب ضمّنه قوله: بسيط

لا غرو أنْ كنتَ ممنوعاً و محروماً إذ غبتَ عنّا وكان العرفُ مقسوما
فلـن ينالَ امرؤٌ من حظّه أملاً حتـى يشُدَّ على الإجهادِ حَيْزوما
فهاكَ من سَيْبنا ما كنت تأمُله إذ حُمْتَ فوق رجاءِ الوِردِ تحويما

لقد دلّت الأشعار السّابقة المرسلة لعبد الرّحمن وردّه عليها دلالة واضحة على أنّ عطاء ذوي السلطان كان محطّ أنظار النّاس من حولهم، يأملونه ولا يفقدون الأمل في الحصول عليه، فيطلبونه منهم طلباً صريحا، وقد كان الحكّام على وعي بذلك، وذلك ما أشار إليه عبد الرّحمن في البيت الأخير من مقطوعته السّابقة.

ومن الأشعار التي وجّهها أصحابها إلى ذوي السلطان يشتكون فيها ضيق الحال ،ويطلبون منهم العطاء، ما كتبه القاضي أبو القاسم بن مقدام إلى المستعين سليمان بن الحكم وكان معه في تجوّله مع البربر، فقال : مجزوء الكامل:

أهَلْ ترضى لعبدك أن يُذالا وأن يبقى على الدّنيا عيالا؟

فبعث إليه بصلة ، ووقّع بشعر أوّله:

معاذَ الله أن تبقى عيالا وأن نرضى لمِثْلكَ أن يُذالا
وكيف وأنت منقطع إلينا وقد عَلقتْ يداك بنا حبالا؟
ودونـك مـن نوافلنا يسير ولكـنا انْتـقيناهُ حـلالا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاءت الصّلة لمنفعة متبادلة، فذلك الرّجل كما أشار المستعين منقطع له بالولاء، وجاء عطاؤه له إكراماً ومكافأة منه على ذلك من جهة، ومن جهة أخرى فهو معدود من رجاله ومحسوب عليه، لذا فهو بعطائه له يدرأ عنه الحاجة وذلّ السّؤال .

ويقصد عزَّ الدّولة بن صمادح أبو الوليد النّحلي في أسمال دنسة، والنّاس بالمريّة قد لبسوا البياض، فما كان منه إلا أنّ راسل ابن صمادح ملتمساً منه العطاء فقال([1]) : الوافر

أيا مَن لا يُضاف إليه ثانٍ ومن فَتح العُلا باباً فبابا
أيجُمل أن تكون سوادَ عيني وأبصر دون ما أبغي حجابَا
ويمشي النّاس كلُّهمُ حَمَاماً وأمشي بينَهمْ وحدي غُرابا

فاستجاب ابن صمادح لسؤاله فوصله وكساه وكتب إليه مراجعاً : طويل

ورَدتَ ولليلِ البهيم مطارفٌ عليكَ وهذي للصّباح بُرودُ
وأنت لدينا ما بقيتَ مقربٌوعيشُك سَلْسَالُ الجمام بَرودُ

ولأنّ الناس اعتادوا من الحكّام العطاء فلا نجدهم يتركون سؤالهم وانتجاعهم حتّى بعد انقلاب الدّهر عليهم –كما سيأتي في موضوع الشّكوى – فهذا ابن اللبانة يوافي عزّ الدّولة بن صمادح منتجعا، وذلك بعد أن توفي أبوه المعتصم وخُلع هو وسائر إخوته، فخاطبه بقوله البسيط:

يا ذا الذي هزَّ أمداحي بِحِلْيَته وعّزَّه أن يهزَّ المجدَ والكرما
واديكَ لا زرع فيه كنتَ تبذلُهُ فخذْ عليه لأيّامِ المُنى سَلَما

ولمّا كان العطاء والبذل من طبع الشّعراء الحكّام حتّى في أحلك الظروف وأصعبها، فإنَّهم لم يكونوا ليتوانوا عن تقديم ما يمكنهم أن يجودوا به على الناس، وقد كان عزّ الدّولة كذلك إذ استجاب لطلب ابن اللبّانة ، فوجّه إليه ما أمكنه من العطاء، وكتب معه : البسيط :

المجدُ يُخجل مَن يفديك في زمنٍ ثنَاه عن واجب البرّ الذي علما
فدونك النّزْر من مُصْفٍ مودَّته حتّى يُوفيك أيام المنى السَّلَما

[1] . نفسه ص ٨٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر ابن الأبّار أنّ أبا محمّد بن عبدون كتب إلى المتوكّل، وقد انسكب المطر إثر قحط خيف قبل ذلك، واتّفق أن وافى بطليوس حينئذ مغن محسنٌ يعرف بأبي يوسف (١):المتقارب

ألمَّ أبو يوسفٍ والمطرْ فيا ليت شعريَ ما يُنْتَظرْ ؟
ولست بآبٍ وأنت الشّهيدُ حضورَ نَديِّك في من حضرْ
ولا مَطلعي وسْطَ تلك السما ء بينَ النّجوم وبينَ القمرْ
وركضيَ فيها جيادَ المُدا م محثوثةً ببساطِ الوترْ

فبعث إليه المتوكّل رداً على الأبيات مركوباً ومعه قوله: متقارب

بعثتُ إليك جَنَاحاً فَطِرْ على خفيةٍ من عيون البشرْ
على ذُلُلٍ من نِتاج البُروق وفي ظُلَلٍ من نسيج الشّجرْ
فحسبيَ عمَّن نأى مَن دنا فمن غاب كان فِدا مَن حضرْ

وقدّم المنصور بن أبي عامر إلى أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد الوزير عقيلة من عقائل الرّوم يكنفها ثلاث جوار، وقد سأله ذلك عند صَدَرِه من بعض غزواته وكتب إليه معهنّ يداعبه (٢) الخفيف

قد بعثنا بها كشمسِ النَّهارِ في ثلاثٍ من المَها أبكارِ
فاجتهدْ واتّئد فإنّك شيخٌ خفيَ الليلُ عن بياض النّهارِ

فافتضهن أجمع في ليلته، وكتب إليه :

قد فضضنا ختامَ ذاكَ السِّوار واصطبغنا من النّجيع الجاري
ونعمنا في ظل أنعم ليل ولهونا بـالدرّ أو بالدراري
وقضى الشّيخ ما قضى بحسام ذي مـضاء عضب الظُّبى بتّارِ

١ . ابن الأبّار، الحلّة ج٢، ص١٠٦.
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٢٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول يوسف الثّالث مهنّئاً أحدهم بفرس أهداها إليه (١):

سرَّ طرفي لما حبيتَ بطرفٍ فاقَ سبقاً وراق وجــهاً أغرّا
قادم يقدم السرور ولكن خلف الريح وهي َتضلع حسرى
في رياض تجني الأماني منه وتطــيل لله حـمداً وشكرا

وقُدِّم مصوغان من ذهب هدية إلى المعتمد ، وكان أحدهما صورة غزال، والثّاني في شكل هلال، فأهدى المعتمد الغزال إلى السّيدة بنت مجاهد، والهلال لابنه الرّشيد ،وقال (٢): الوافر

بعثنا بالغَزَال إلى الغَزَال وللشَّمس المُنيرةِ بالهلالِ

لقد أكّدت المقطوعات السّابقة أن عطاء الشّعراء الحكّام -في أغلبه – جاء بطلب ممّن قدّموه لهم ، حيث كانوا يرسلون إليهم مقطوعات شعريّة يسألونهم فيها العطاء ، فيكون ردّ الشعراء الحكّام على ذلك بتقديمهم ألوانا مختلفة من العطايا والصّلات ،نحو:الأموال والجواري والملابس والخيل ... إلخ ،وكانوا يرفقون مع هذه العطايا أشعاراً ، وجدوا فيها - كما تبيّن- مساحة يفتخرون فيها بأنفسهم، ويذكّرون المُعطى أنّهم هم من بأيديهم العطاء والنّوال، وأنّهم محطّ أنظار المعتفين وذوي الحاجات ،كما ضمّنوها في بعض الأحيان تصوير مكانة المُعطى منهم لا سيما إذا كان من حاشيتهم وبطانتهم.

ولا نجد في شعر الحكّام ما يدلّ على أنّهم كانوا قد بادروا بسؤال غيرهم عطاء أو هدية، إذ لا حاجة لديهم تدفعهم لذلك؛ فهم من يُسْألون العطاء والهدايا، وهم من يمنّون على الآخرين بتقديمها لهم. فالكلّ من حولهم راغب وطامع فيما عندهم، ويخرج من نطاق هذا الحكم -كما ذُكر سابقاً – المعتمد بن عباد، حيث كان قد طلب الهديّة والعطاء وشكر من أهداها إليه، ولكنّه لم يطلب ذلك إلا ممّن هو أعلى منه منزلة، قبل أن يكون هو رأس السّلطة، فطلب من أبيه وسيّده ومرجعه في كل شيء المعتضد بن عبّاد، الذي كان يتوجّه إليه بطلب الأعطيات، ويستأذنه في الخروج إلى الصّيد، ويقدّم له الاعتذار إن أخطأ أو قصر؛ فهو الأب وبوجوده لا يقدر على فعل شيء إلا بإذنه، ومن ذلك أنّه كتب إليه يطلب منه جواداً فبدأ خطابه له بمدحه والثّناء عليه،

---

١ . ديوان يوسف الثالث ، ص٧٥.

٢ . الدّيوان ، ص ١٤٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمّ بيّن له أنّه يسعى من وراء الحصول عليه (الحصان) الوصول إلى العلياء والمجد ،وذلك كي يصل إلى ما وصل إليه أبوه من قبله ، فيقول ([1]): هزج

ألا يـا غُرّةَ السَّعد   وقُرّةَ ناظرِ المجـدِ
ومولاي الذي ما زا   ل يّسْـحَبُ حُلةَ الحَمْدِ
لعبدكَ هِمّةٌ هامَتْ   بِركْضِ الضُّمر الـجُرْدِ
ويرغب ضارعاً منها   إلى علْيَاكَ فــي الوِرْد

وعلى ما يبدو من شعر المعتمد الذي توجّه به إلى أبيه طالباً منه قضاء رغائبه أنّـه كـان يعرف مداخل نفسه وما يؤثّر فيه فيوظّف تلك المعرفة بين يدي طلبه ، فهاهوذا يفتتح إحدى مقطوعاتـه التي طلب فيها مِجَنَّا، يحاول أن يؤثّر فيه بذكر ما يتناسب مع اهتماماتـه ، الأمر الذي يجعل والده يبادره بالقبول وتقديم ما يريده منه، وقد افتتح المعتمد هذه المقطوعة بمدح والده والثنـاء عليه بما يتناسب وطلبه المجن؛ فهو سبيل من سبل المجد والمنعة ، وهاتان صفتان يحبهما والده وبهما تميّز ، وفي ذلك يقول المعتمد المتقارب

أيَا مَاجداً لَمْ يَرُمْ شَامِخاً   من المجدِ فاحتلّ غير القنـن
سألْتُكَ صَفْراءَ بِكْراً فجُدْ   عَليَّ بها شَافِــعاً لِلْمِنَـنْ
تَرُدّ السنان إذا أّمَّها   شَبَـا حَدّهِ عــنْ قَويم السَّنَن
وإن كُنت من معشر في الوغى   أقاموا القُلُوبَ مَقَام الجُنـن

لقد كان المعتضد يستجيب لطلبات المعتمد التي كـان يتقدّم إليـه بهـا، فمن ذلك أنـه قدّم لـه الفرس الذي كان قد سألـه إيّاه فـي المقطوعة التـي عرضت سالفا، وكـان المعتمد قد تقدّم لـه بالشّكرو الثّناء، فقال ([2]): المجتث

خَلَعْتَ ثوبَ الصّفيّ   على العُبَيْد الوفيِّ
يا مُسْتَرقّا بنعماه   كلَّ حُرٍّ سَريّ
أتى على الوردِ سرجٌ   كَالْهَدْي فَوْقَ الهَديّ
فَسَوْفَ أورِدُ رُمْحي   عَلَيْهِ قلـبَ الكَميّ

---

[1] . الدّيوان ، ص ٨١

[2] . نفسه ، ص ٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشكره أيضاً على فرس أهداها له، فعبّر له عن قيمة تلك الهدية الماديّة والمعنوية، ومدحه وصوّر فضله عليه متمنياً تمكّنه مردّ فضائله عليه، وذلك باستخدامه تلك الفرس وسيلة ينكّل ويذلّ بها أعداءه، فيقول : (١)طويل

نوالٌ جزيلٌ يُنْهِرُ الشّكرَ والحمْدا ... وَصُنْعٌ جميلٌ يوجب النّصحَ والودّا
لقد جدْتَ بالعِلْقِ الذي لَوْ أُباعُه ... بذلتُ ولَمْ أغْبَنْ به العَيْشَة الرّغْدا
جوادٌ أتاني من جوادٍ تطَابقـا ... فيا كَرَمَ المُهْدي ويا كَـرَمَ المُهْدى
وكم من يدٍ أوْليتَ مَوْقِعَها نَدّ ... لديَّ ولكنْ أينَ موضعُ ذا الأصـدا *
لعلّيَ يوماً أن أُوَفِّيَ حقَّـه ... فَأَنْعَلَهُ ممَّن عَصـــَى أمركَ الخدَّا

ويشكره على تحفة أهداها له، فيفتتح شكره بالثّناء عليه وبيان فضله، ثم يبيّن سروره بتلك الهدية، ويصف جمالها فيقول (٢): السّريع

يا ملكاً قد أصْبَحَتْ كَفُّهُ ... ساخرةً بالعَارضِ الهاطلِ
قدْ أقْحَمَتْني منه مِثْلَهَا ... يُضَيّقُ القولَ على القائلِ
وإنْ أكنْ قصّرْتُ عن وصفِها ... فحسْنُها عن وصْفِها شاغِلِي

ومن الأشعار التي قيلت في شكر الهدية غير شعر المعتمد، مقطوعة قالها المتوكل ردّاً على قطيع راح وطبق ورد، أرسلهما له أبو محمّد بن عبدون وكتب معهما (٣):الرجز

إليكها فاجْتلِها مُنـيرةً ... وقد خَبا حتّى الشّهابُ الثّاقبُ
واقفةً بالبابِ لم يؤْذَنْ لها ... إلا وقد كادَ يَنامُ الحـاجبُ
فبَعْضُها من المخافِ جامدٌ ... وبعضُها من الحياءِ ذائـبُ

---

١ .الدّيوان ، ص ٨٩.
* الفرس الأسود المشرب بحمرة
٢ . نفسه ، ص ٩١.
٣ . المقّري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٦٦٥ . ذكر المحقّق أنّ القطيع بلغة الأندلسيين الزّجاجة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقبلها المتوكّل وكتب إليه(١) :

قدْ وَصَلتْ تلكَ التي زَفَفْتها بِكْراً وقد شابَتْ لها ذوائبُ
فَهُبَّ حتَّى نَسْتردَّ ذاهباً من أُنْسِنَا إن اسْتُرِدَّذاهبُ

لقد كشفت الأشعار التي قالها الشّعراء الحكّام في العطايا والهدايا التي كانوا يتبادلونها مع غيرهم أنّ كثيراً من العطاء الذي كانوا يقدّمونه لغيرهم جاء بطلب منهم، حيث كانوا يقصدونهم بأبيات ومقطوعات شعريّة يطلبون فيها عطاءهم وما يحتاجونه، فيبادرهم الحكّام بالإجابة ويقدّمون لهم العطايا والصّلات مصحوبة بأبيات من الشّعر تتضمّن – كما أسلفنا- تعبيرا عن دورهم في تقديم العطايا للنّاس، وفضلهم عليهم، وأنّهم بأيديهم المنح والمواهب يجودون بها على من هم أهل لها، كما ضمّنوها في بعض الأحيان مدحا وثناء لمن قدّموها لهم.

وقد ظهرت في شعر المعتمد بن عبّاد معان أخرى في سياق هذا الموضوع الإخواني، فقد كان يتقدّم بسؤال والده بعض الرّغبات والهدايا ،ثم يتقدّم بالشّكر له بعد أن يحقّقها له، وقد غاب هذا المضمون من شعر بقية الحكّام ؛وذلك لأنّهم دائماً أصحاب اليد العليا يعطون ولا يأخذون، إلا فيما ندر من هدية تقدّم إليهم من أحد الأصدقاء أو المقرّبين منهم .

ب:الاعتذار والعتاب :

جاء هذان الموضوعان في شعر الحكّام مرتبطين ارتباطاً واضحاً ،فكان تقديم الاعتذار ناتجاً عن معاتبة وصلت لأحدهم نتيجة لإساءة بدرت منه، أو لتقصير في جانب من الجوانب ترتب عليها إساءة أو ضرر ماديّ أو معنويّ، الأمر الذي استوجب توجيه العتاب واللوم لهم على ذلك التّقصير،علّهم يرجعون عنه فيصلحون ما أمكنهم إصلاحه من الآثار السلبيّة التي نتجت عنه .

١ . المقّري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٦٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا فالاعتذار في شعر الحكّام ناتج عن خطأ ارتكبه أحدهم، فعوتب على ذلك ممّا اضطره لأن يقدّم الاعتذار ويلتمس العفو والعذر ممّن عاتبه ، والعذر كما عرّفه ابن منظور:" الحجّة التي يعتذر بها ،ويقال لي في هذا الأمر عذر أي خروج من الذّنب"([1])، ومن هذا المعنى للعذر يتبيّن أنّ الاعتذار يأتي تسويغا وتبريرا لذنب أو تقصير، وذلك بتقديمهم الحجّة أو العذر للخلوص من العتب ،وهذا يعني أنّ الشّعراء في هذا المقام (الاعتذار) ضعفاء يلتمسون الرّضا والعفو، فيحاولون إصلاح ما بدر منهم، ولو أنّهم لم يكونوا كذلك، لما اكترثوا بعتاب من عاتب أو لوم من لام، وبما أنّ الأمر كذلك، أي أنّهم اعتذروا على ما بدر منهم، فمتى يكون تقديمهم الاعتذار ؟ ومن الذي يجرؤ على عتابهم أصلاً ؟ وكيف كانوا يقدمون اعتذارهم ؟

مهما بلغت مكانة الشّعراء الحكّام السّياسيّة والاجتماعيّة التي ميّزتهم عن غيرهم من النّاس فإنه لا يمكن أن تلغي بعض الجوانب الحياتيّة التي يتساوون فيها مع كلّ البشر. وقد لاحظنا شيئاً من ذلك عند دراسة بعض الموضوعات الشّعريّة كالغزل ،وفي الرّثاء والشّكوى -كما سيأتي - ، وسنتبيّن ذلك أيضا من دراسة هذا الموضوع في بعض جوانبه، فهم بشر لهم حياتهم الخاصّة التي يتعاملون فيها مع أبنائهم، وأصدقائهم المقرّبين، تعاملا مختلفا عن تعاملهم مع بقيّة النّاس من حولهم، ومع أنّهم كانوا حكّاما إلا أنّهم آباء لأبنائهم الأمراء أصحاب الملك من بعدهم، ويتعاملون أيضا مع أصدقائهم المقرّبين دون حواجز تفرضها عليهم السّلطة وتقيّدهم بها، فالصّداقة تخفّف من وطأة تلك الفوارق، فبحكم تلك العلاقة نجدهم يقضون معا لحظات من الأنس والمودّة بعيدة عن أبّهة الحكم، فيمرّون بما يمرّ به النّاس العاديّون من توافق وانسجام حينا، واختلاف في بعض المواقف أحيانا أخرى، فيعتبون على بعضهم ويتغاضبون إن بدرت من أحدهم زلّة أو إساءة ، فيعتذرون من بعضهم، طلبا للرّضا وحرصا على دوام المودّة والصّداقة بينهم .

ومع أنّ العلاقة الخاصّة بين الشّعراء الحكّام والمقربين منهم لا تقيّدها السّلطة بقيودها إلا أنّها في بعض المواقف تلقي ظلالها عليهم، وقد ظهر ذلك في مضامين العتاب التي تبادلها الحكّام مع أبنائهم كما سيأتي.

[1] . ابن منظور – جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ، ط١ ، دار صادر، ١٩٩١ ،ج٤، مادة عذر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكاد ينحصر موضوع العتاب والاعتذار في شعر الحكّام وأولادهم من جهة وأصدقائهم من جهة ثانية ، وقد اختلفت معاني هذين الموضوعين بحسب من وجّهت إليهم، لذا سنعرض للأشعار التي كانوا قد تبادلوها مع أولادهم أوّلا، ثم نأتي على الأشعار التي تبادلوها مع أصدقائهم .

كان الحضور الأظهر لهذين الموضوعين في شعر الحكّام من آل عبّاد خاصّة، حتى إنّهما يكادان يكونان في هذه الأسرة تقليدا متوارثاً، تناقله الأبناء عن الآباء، فقد اعتذر المعتضد لأبيه أبي القاسم وقد عتب عليه، وكذا فعل المعتضد إذ عتب على ولده المعتمد، فاعتذر المعتمد منه، وقد بادر المعتمد أولاده بالعتاب فتقدموا بدورهم بالاعتذار له، وفيما يلي النّظر في الأشعار التي قالها آل عبّاد في الاعتذار والعتاب، وتبيّن الأسباب التي دفعت الآباء إلى الاعتذار وكيف اعتذر الأبناء منهم .

أول قصيدة تطالعنا في هذين الموضوعين قصيدة طويلة وجّهها المعتضد لأبية أبي القاسم معتذرا منه وقد عتب عليه(١)، غير أنّ سبب ذلك العتاب لم يكن معروفا، ولكنّنا نستطيع أن نتبيّنه من اعتذار المعتضد في تلك القصيدة، حيث ضمّنها معاني متعدّدة، فافتتحها بمدح والده*، ثم يبيّن له حاله معه وكيف أنّه حريص على طاعته في السّر والعلن، وباذل جهده في نيل رضاه، ولكن أباه لم يأخذ ذلك بعين الاعتبار، فما إن وجد منه ما لا يعجبه لم يتورع عن لومه، فعن هذا يعبّر المعتضد فيقول (٢) الطويل :

أَطَعْتكَ في سرّي وَجَهْريَ جاهداً فلمْ يَكُ لي إلا الملامَ ثَوابُ
وأَعْمَلْتُ جُهْدي في رضاكَ مُشَمّراً وَمنْ دُونِ أنْ أُفْضي إليهِ حِجابُ
ولمّا كَبا جَدّي لَدَيْكَ وَلَمْ يَسُغْ لِنَفْسي عَلَى سُوءِ المقامِ شَرابُ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص٤٧

* سنعرض لدراسة ذلك عند دراسة موضوع المديح .

٢ . ديوان المعتضد ، ص ٢١٥/ ٢١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يظهر المعتضد ألمه من معاملة والده له، فلم يعد قادراً على تحمّل قسوته تلك، الأمر الذي اضطره إلى الفرار من حوله، فقال :

وَقَلَّ اصطباري حين* لا لِيَ عِنْدكم مِنَ العَطْفِ إلا قَسْوةٌ وَعِتابُ
فَرَرْتُ بنفسي أبتغي فَرْجةً لها عَلَى أنَّ حُلْوَ العيْشِ بعدكَ صابُ

ومع شدة تألّمه من قسوة والده عزّ عليه مفارقته، وكذا كان والده، حيث أرسل إليه رسولاً يسترجعه، فما كان من المعتضد إلا أن لبّى نداء والده وأطاع أمره، وفي ذلك يقول :

وَمَا هزّني إلا رَسُولكَ إذْ جَرَتْ إليَّ بهِ صُمُّ الهِضابِ رِكابُ
فقالَ مقالاً لمْ أَجِدْ عَنْ مَقَالهِ مَنَابا وَعَنْ بَعْضِ الأمورِ مَنَابُ
دَعَاكَ أميرُ المؤمنين مُثَوّباً فقلتُ : أميرُ المؤمنين مُجابُ
فَجئتُ أُغِذُّ السّيْرَ حتّى كأنّما تَطيرُ بِسيري في الفلاة عُقابُ

ويوضّح المعتضد السّبب الذي جعله يرجع عن قراره، ويعود إلى حياض والده، فيصوّر مكانة أبيه عنده ومحاولته نيل رضاه وعدم قدرته على فراقه، ويلتمس منه أن يترك لومه، فيقول:

وما كنتُ بعدَ البينِ إلا موطّناً بِعَزْمي على أنْ لا يَكون إيابُ
ولكنَّك الدُّنيا إليَّ حبيبةٌ فما عنْكَ لي إلا إليك ذهابُ
أصِبْ بالرّضا عَنّي مسرّة مُهْجتي وإنْ لمْ يكُنْ فيها أُتِيتُ صوابُ
وفضلُكَ في ترْكِ الملامِ فإنّه وحقِّك في قلْبي ظُباً وحِرابُ

ويختم المعتضد هذه القصيدة بالإشارة إلى السّبب الذي جعل والده يلومه ويقسو عليه، فقد بدا من خطابه له، والتماس العفو من والده، أنّه كان قد لامه على فرط كرمه وعطائه، وفي ذلك يقول:

إذا كانتِ النُّعمى تُكدَّرُ بالأذى فمَا هيَ إلا مِحنةٌ وعذابُ
وَلا تَقْبِضَنْ بالمنعِ كفِّي فإنَّه وحقِّك نُقْضٌ لِلْعُلا وَخَرَابُ

* زيادة من الحلّة ج٢،ص٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدأ المعتضد بعد ذلك بتقديم مبرّراته لوالده، ويحاول أن يدافع عن نفسه وعن أسباب تحلّيه بهذه الصّفة النّبيلة التي كانت من أظهر الفضائل التي افتخر بها في شعره –كما تبيّن من دراسة موضوع الفخر- فيشير إلى أثرها الإيجابي عليه وعلى والده؛ فاتّصافه بها -وهو ولد صاحب الأمر- لا يعود بالفضل عليه وحده وإنّما ينال والده بذلك الثّناء ويكسب حمد النّاس، فيقول :

فو اللهِ ما أبغي بذلكَ غيرَ أنْ تُحَلّى بِجَدْوَى راحتيْكَ رقابُ
ويَهْدي إليك النّاسُ دون تصنّعٍ محبةَ صِدقٍ لمْ يَشُبْهُ كِذابُ
فكلُّ نوالٍ لي إليكَ انتسابهُ وأنْتَ عليهِ بالثّناءِ مُثَابُ

لقد قدّم المعتضد بهذه الأبيات المسوّغات التي تجعل الحكّام -على عمومهم*- يحرصون على اتّصافهم بالكرم؛ وذلك لكسب ودّ وثناء الرّعية، وحتّى يبقَوا محطّ أنظارهم، فيدينون لهم بالولاء والطّاعة ولا يقصدون غيرهم .

وقد ضمن المعتضد هذه القصيدة الاعتذاريّة الدّعاء لوالده بتمكين الأمر، فقال:

بَقيتَ مَكينَ الأمرِ ما ذرَّ شارقٌ وَمَا لاحَ في أُفقِ السّماءِ رَبَابُ*

لقد عرض المعتضد في القصيدة السّابقة حاله مع أبيه وكيف كان يعامله بقسوة جعلته يفرّ من حوله ويبتعد عنه ، ولكن الولد مهما علا شأنه يبقى أمام أبيه مطيعاً وحريصاً على رضاه،ومظهراً له الانقياد والطّاعة، فهو مع أنّه بدا عاتباً عليه متألّما من معاملته له ،إلا أنّه تراجع عن موقفه وعاد إلى أبيه مسترضياً، إذ لم يحتملا الابتعاد عن بعضهما ،ولم يقدّم المعتضد السّبب الذي جعل والده يعتب عليه من بداية القصيدة، وإنّما بدأ بشرح حالته النفسيّة وأثر معاملة والده القاسية فيه، ولأنّه مقتنع بصحة تصرّفه الذي اعتبره والده مأخذا عليه أخذ يسوّغ له ذلك ليجعله يقنع بموقفه ويرضى عنه .

* . لقد اتّضح ذلك عند دراسة موضوع الفخر

* السّحاب الأبيض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا كان ذنب المعتضد الذي اعتذر لأبيه عنه إفراطه في الكرم، فإنّ ذنب ولده المعتمد الذي لامه عليه كان تفريطه في أمر مالقة، وذلك حينما خذله أصحابه فأُخرج منها، ولجأ إلى رندة، وأقام بها مدة تحت موجَدة أبيه (١). وقد حاول المعتمد أن يعتذر لأبيه عن تقصيره وتفريطه في أمر مالقة ،فكتب إليه يستعطفه طالباً رضاه في قصيدة طويلة، ضمّنها معاني عدة فافتتحها بتصوير معاناته النّفسية وتألّمه وحزنه ممّا حدث معه ،فخاطب نفسه محاولاً أن يسرّي عنها، فقال(٢) .البسيط

سَكِّنْ فُؤادكَ لا تذهبْ بكَ الفِكَرُ ... ماذا يُعيدُ عليكَ البثُّ والحذر؟
وازْجُر جفونَك لا ترضَ البكاءَ لها ... واصبر فقد كنتَ عندَ الخطبِ تصْطَبِرُ

ويحاول أن يعتذر عن تلك الهزيمة فيردُ الأمر لقضاء الله وقدره، فيذكّر والده أنّه إن كان أخفق هذه المرّة فإنّه لطالما كان ظافراً، فيقول:

وإن يكن قدرٌ قدْ عاقَ عنْ وَطَر ... فلا مردَّ لما يأتي به القدرُ
وإن تكن خيبةٌ في الدَّهر واحدة ... فكم غدوتَ ومنْ أشياعك الظَّفَرُ

ويحاول الشاعر أن يصبّر نفسه فيوجهها إلى الرّجوع إلى الله-تعالى-، ويحثّها على أن تثق بوالده وتلتمس الصفح منه، ثم يمدح والده، فيقول:

فوّضْ إلى الله فيما أنتَ خائفهُ ... وَثِقْ بِمُعْتضدٍ بالله يغتفرُ
ولا تَرُعْكَ خطوبٌ إنْ عدا زمنٌ ... فالله يدفعُ والمنصورُ ينتصرُ
واصبرْ فإنّك من قومٍ أولي جلدٍ ... إذا أصابتْهُمُ مكروهَةٌ صبروا

---

١ . ينظر تفصيل ذلك في الحلّة ، ج٢ ، ص٥٦ .

٢ . ديوان المعتمد ، ص٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد أن يمدح الشّاعر والده يحاول أن يؤثّر فيه، ويستعطفه بتصوير حالته النّفسيّة، وكيف أنّه يتألّم ممّا ألمّ به من مصاعب ومتاعب بسبب تلك الحادثة،علّه يحرّك عند والده عاطفة الأبوّة، فيحنو عليه، يقول:

فالنّفسُ جازعةٌ والعينُ دامعةٌ ... والصّوتُ مرتفعٌ والسّرُّ منتشرُ
وزادَ همّيَ ما بالجسم منْ سَقَمٍ ... وشَبْتُ رأساً ولم يبلغنيَ الكبرُ

ويتوجّه الشّاعر إلى أبيه طالبا العفو، ملتمسا العذر لنفسه، محاولا التّنصل من مسؤوليته عن تلك الهزيمة بإلقاء اللوم على الآخرين وتحميلهم المسؤولية، وفي ذلك يقول:

وَذُبْتُ إلا ذماءً فيَّ يُمسِكُني ... إنّي عهدْتُكَ تعفو حينَ تقتدرُ
لمْ يأْتِ عبدُكَ ذنباً يستحق به ... عُتْبى وهاهُوَ قد ناداكَ يعْتَذِرُ
ما الذّنبُ إلا على قومٍ ذوي دَغَلٍ ... وَفَى لَهم عهدُك المعهود إذ غدروا
قومٌ نصيحتُهُم غِشّ وصدقُهم ... مَيْنٌ ونفْعُهُم إنْ صُرّفوا ضررُ
يُمَيّزُ البُغضُ في الألفاظ إن نطقُوا ... ويُعْرف الحقدُ في الألحاظِ إن نظرو
إنْ يَحرق القلبَ نفثٌ من مَقالهمُ ... فإنّما ذاك من نار القِلى شرر

ولأنّ طلب العفو هو الفكرة التي من أجلها نظم الشاعر القصيدة؛ فإنها تظل تلح عليه في مجمل أبيات القصيدة، ويحاول لأجل الوصول إليها أن يغيّر من واقع حياته*، فيدّعي أنّه لم يكن للخمر والنّساء طريق إلى نفسه، وأنّ غايته هي رضا والده، فهو مدامه الذي به يسلو، فيقول:

مولايَ دعوةَ مملوكٍ به ظمأٌ ... بَرْح وفي راحَتيْكَ السّلسَلُ الخضر
أجبْ نِداءَ أخي قلب تملّكه ... أسى وَذي مُقْلة أودى بها السّهر
لم أُوتَ من زمني شيئاً أُسَرُّ به ... فلستُ أَعْهَدُ مَا كأسٌ ولا وترُ
ولا تملّكني دلٌّ ولا خَفرٌ ... ولا سَبَى خَلَدي غُنْج ولا حَوَرُ
وَهوَ المُدامُ التي أسلو بها فإذا ... عَدِمتُها عَبَثَتْ في قلبيَ الفكرُ
وإنّما أنا ساعٍ في رضاك فإنْ ... أخْفَقْتُ فيه فلا يُفْسَح لي العُمُرُ

* . لقد عرفنا المعتمد من ترجمته ومن دراسة بعض الموضوعات الشّعريّة مولعا وكلفا بالخمر والنّساء ولكنّه هنا ينفي ذلك، محاولة لنيل رضا أبيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول أن ينال العفو والرّضا من أبيه بطرق باب آخر من أبواب الولوج إلى نفسه؛ للتأثير فيها، وذلك بالحديث عن علوّ همّته وشجاعته في ميادين القتال، فيذكّره ببعض الانتصارات التي كان قد تمكن من إحرازها، وطار ذكرها في الآفاق، فيقول([1]):

أجلْ ولي راحةٌ أخرى علِقتُ بها نَظْم الكُلَى في القَنَا والهامُ تنْتَثِرُ
كم وقعةٍ ليَ في الأعداءِ واضحة تفْنَى الليالي ومَا يفنى لها الخبرُ
سارتْ بها العيسُ في الآفاق فانتشرت فليْسَ في كلِّ حَيّ غيرها سمرُ

ويختم المعتمد هذه القصيدة بالدّعاء لوالده بدوام عزّه وسلطانه، ودوامه له سنداً وملجأ يأوي إليه، فيقول:

لا زلتَ ذا عزّةٍ قعساء شامخة لا يبْلُغُ الوهْمُ أدناها ولا البصرُ
ولم يَزَلْ وَزَرٌ من حُسْنِ رأيك لي آوي إليه فنعْم الكهف والوَزَرُ

وفي ديوان المعتمد مجموعة من المقطوعات الشّعرية تقدّم بها لأبيه معتذراً، ولكن دون أن يذكر السّبب الذي جعل والده يلومه، فاكتفى فيها بتصوير ألمه لسخط والده عليه، وتقدّمه بطلب العفو و الرّضا، ومن ذلك قوله ([2]): مجزوء البسيط

مولايَ أشكو إليكَ داءً أصبح قلبي به قريحا
إن لم توجِّه رضاك عنِّي فلست أدْري له مُريحاً
سخطك قد زادني سَقَاماً فَابْعث إليَّ الرِّضا مسيحا
واغْفِرْ ذنوبي ولا تُضيّقْ عن حملها صدركَ الفسيحا
لو صوّر الله للمعالي جسما لأصبحتَ فيه روحا

[1] . ديوان المعتمد بن عباد،ص١٠٣ .
[2] . الدّيوان ، ص٩٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واعتذر في مقطوعة أخرى افتتحها بالثّناء على أبيه، ثم صوّر ألمه وحزنه لغضبه عليه، وسأله العفو والصفح عمّا بدر منه، فقال(١) الوافر

أيَا ملكاً يجلّ عن الضّريب ومَـنْ يَلتَذّ غفرانَ الذُّنــوب
وَمَن في كفّه بُؤْسى ونُعْمى تصرّف في العدوّ وفي الحبيبِ
تَسَخّطك المُمِضّ أعلّ نفسي ومَا لِي غيرُ عفوك من طبـيبِ
ولست بمنكرٍ ذنبي ولَكــ ـنّني قد جئت في حال المريب
فإن عاقَبْتني فجزَاء مِثْلي وإنْ تصفحْ فليس مِن الغــريب
بقيتَ مُؤيَّداً مَا لاح بَرْقٌ ومـا غنّى الحمام على قضيـبِ

ومن العتاب في شعر آل عباد ما كتبه الرّاضي يزيد بن المعتمد في غير مقطوعة من شعره لوالده، وقد انتهج في عتابه له إحدى طرق المعاتبة التي ذكرها ابن رشيق القيرواني، فأشرك عتابه بالاعتذار والاعتراف(٢). ومن ذلك مخاطبته له وقد أنهض جماعة من إخوته دونه، فافتتح خطابه -كما يبدو- بمعاتبة والده على تقديمه إخوته عليه، ونفى الخمول عن نفسه، وهنا يبدو أنّه يردّ على وصف المعتمد له بذلك، فيقول(٣): الوافر

أعيذُك أن يكونَ بنا خُمولُ ويطلَعَ غيرنا ولنـا أفـولُ
حنانَك إن يكنْ جُرْمي قبيحاً فإنّ الـصّفحَ عن جُرْمي جميلُ
وإنْ عَثَرتْ بنا قدمٌ سَفَاهاً فإنّي مـنْ عِـثاريَ مستقيلُ
وأحسنُ ما سمعتُ به عزيزٌ يناديهِ فـيرحمــهُ ذليـل
وهأنذا أنـاديكمْ فـهل لـي إلى قربٍ مـن الرُّحمى سبـيل؟
وأنت المَلْكُ تعفو عن كثيرٍ فما لكَ ظلْتَ يُغــضبكَ القليلُ؟

---

١ . نفسه ، ص ٩٨.
٢ . القيراوني ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص١٧٩ .
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٧٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول الرّاضي أن يؤثّر في أبيه وذلك بتذكيره بأنّه فرع منه، ويصف له حاله في ظلّ إبعاده عنه، ويبيّن له أنّه بحاجة إليه ،فهو بغيره لا يستطيع شيئاً فيقول:الوافر

ألستُ بفرعك الزّاكي وماذا يُرجِّى الفرعُ خانتهُ الأصولُ؟
بعثتُ برُقعتي هذي رسولاً صغيرَ السّنِّ ليس له حَويلُ
لترحَمهُ وأفراخاً إذا ما عتبْتَ عليّ عادَ لهمْ عويلُ
بقيت لهم على عتب وعتبى فإنَّ حياتَك الظلُّ الظّليلُ

وله إلى أبيه قصيدة أخرى يشتكي حاله، ويعاتبه لما يعانيه من إهماله له فيقول(١): الطّويل

سجيّةُ ذي الدّنيا عداوة ذي الفضلِ ورَوْمُكَ نقلَ الطّبع من أعظم الجهلِ
فصبراً على ضِيقاتها فلعلّها تُفَرّجُ يوماً والعُقودُ إلى حلِّ
ولا تُضْمِرنَّ الثّكلَ إن كنتَ ذا حِجاً فليسَ لبيباً من يَبيتُ على ثُكْلِ

ويشتكي الشّاعر من أبيه، ثمّ يتوجّه إليه بطلب العون والعفو منه، فيقول :

سأشكو إلى مُشْكي فؤادي بعَتْبهِ ومن عَجَبٍ شكوى الجريح إلى النّصلِ
أمعتمدَ الأملاك دعوة آملٍ رضاك فلا ضاقت إلى غيره سُبْلي
ولستُ وإن أُضحي بعيداً بيائس فإن دموع المُزنِ تهوِي إلى سُفْلِ

ويلحُّ على طلب العفو مستعيناً بحنو الأب وعطفه على أولاده ،فيخبره بأنّه ملاذه الوحيد ولا سبيل لنجدته إلا بعفوه، فيقول:

لكَ الخيرُ لم أعلم بأنّك منكرٌ إذا الشّمس آذنتني فراري إلى الظلِّ
فإن كنتُ ذا ذنب فحسبيَ عفوُكمْ وقلبيَ ما زلَّ الرّجالُ ذوو العقلِ
يؤرِّقني ظنّي بجَدِّي ونقصِهِ ويُرقدني علمي بما لَك من فضلِ
لعمري لئن كنتُ الجديرَ بزُلْفَةٍ لديك فهذا الفرعُ من ذلك الأصلِ

١ . ابن الأبّار ، الحلّة،ج٢، ص ٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعاتب الرّاضي والده في قصيدة أخرى على إهماله له وحرمانه من رضاه مع أنّه، كما يقول، ليس أهلا لذلك، فيقول(١): الكامل

مالي أرى ذا السّيفِ عندَك عاطلاً وَهْوَ المُصَمّمُ إنْ سواه تَبَلّدا؟
مالي حرمتُ رضاكَ لي وهْو الذي قد كنتُ أرهَبُ من زمانٍ أنكدا؟
إنّي وحقِّك واجدٌ بينَ الحشا مِن أجلِ سُخطك مِثلَ حزٍّ بالمُدى

ومع شعوره بالظّلم والضّيق من معاملة أبيه نجده يلتمس رضاه، والصّفح عنه، فيعدّد ما لديه من مفاخر علّها تشفع له عنده، فيقول:

إن كان لي ذنبٌ فعفوُك واسعٌ أو إن يكن بُغْضٌ فقد بانَ الرَّدى
قد كان من حقِّي لعَمرِك أن أُرى مـن بين أبناء المـلوك محسَّدا
فأنا الجوادُ متى أجئْ في حَلْبةٍ فاتتْ عيونُ النّاظرين ليَ المدى

ويتجلّى موقف المعتمد من ولده الرّاضي وسبب تقديم إخوته عليه ممّا أورده المقّري في نفح الطّيب عن وقعة لورقة، فقال :" ولمّا وصل المعتمد لورقة أعلم أنّ العدو قد جيّش لها واحتشد، ونهد نحوها وقصد..وأمر الرّاضي بالخروج إليه في عسكر جرّده لمحاربته، وأعدّه لمصادمته ومضاربته، فأظهر الرّاضي التّمارض والتّشكي وأكثر التقاعس والتّلكؤ، فرارا من المصادمة وإحجاما عن المساومة.. ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة، ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم.. فعلم المعتمد ما نواه وتحقّق ما لواه، فأعرض عنه ونفض يده منه ووجّه ابنه المعتدّ مع ذلك الجيش"(٢) .وكتب إلى الرّاضي هازئاً معاتباً (٣): مجزوء الكامل

المُلْكُ في طيِّ الدفاتر فتخلَّ عن قوْد العساكرْ
طفْ بالسّرير مسلِّماً وارجع لتوديع المنابرْ
وازحف إلى جيش المعارف تَقْهر الجيش المُقامرْ

١ . ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص٧٣.
٢ . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٤، ص٢٥٢.
٣ . الدّيوان ، ص ١٣٧/ ١٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعلن المعتمد غضبه عليه ويذكّره بموقفه وقت لورقة، ويوبّخه على عدم تنفيذ أوامره، ويقول:

فَحَجَبْتُ وجه رضايَ عنـ ـك وكنتَ قد تلْقاه سافِرْ
أوَ لست تذكر وقت لُو رقةَ وقلبُك ثـمَّ طائرْ
لا يـستقرُّ مكـانه وأبوك كالضّرغام سادرْ
هـلا اقتديْتَ بفعله وأطـعته إذ ذاك آمرْ
قد كان أبْصَرَ بالعوا قبِ والمَواردِ والمصـادرْ

ويردّ الرّاضي على والده بقصيدته المتقدّمة، فيحاول أن يوضّح موقفه، ويطلب منه العفو، ويذكّره بحق بنوّته عليه، فيقول في بعض أبياتها:

أتريـد منّـي أن أكو ن كمنْ غدا في الدّهرِ نادرْ
هيهـات ذلك مطمع أعيا الأوائلَ والأواخـرْ
لا تنسَ يا مولاي قو لةَ ضارعٍ لا قـولَ فاجـرْ
ضَبَطَ الجزيرةَ عندما نزلـت بـعقْوتها العساكـرْ
هبني أسأتُ كما أسا تُ أمـا لهذا الـعتْب آخرْ؟
هب زلّتـي لبنـوّتي واغفـر فـإنّ الله غـافر

ويعاتب المتوكّل أخاه وقد ارتقب قدومه عليه من شنترين يوم الجمعة، فوفد عليه السبت، فيقول:[1] الوافر

تخيّرت اليهودُ السّبتَ عيداً وقلنا: في العَرُوبَة* يومُ عيدِ
فلمّا أن طَلعتَ السّبتَ فينا أطلتَ لسانَ محتجٍّ الـيهودِ

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١٠٥/١٠٦.
* اسم يوم الجمعة في الجاهليّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد دار موضوع الاعتذار والمعاتبة في شعر آل عباد حول أمور تتّصل بالحكم والسّيادة، فكانت معاتبة والد المعتضد له على مبالغته في الكرم والعطاء، وكان هدف المعتضد من ذلك توطيد العلاقة بينهما وبين الرّعية، وقد عاتب المعتضد والمعتمد أولادهما على التّقصير في شؤون القتال وذلك إمّا لتعرّضهم للهزيمة، وإمّا للتّأخر عن قيادة الجند ،وقد ألحّ الأبناء في اعتذارهم و طلب العفو والرّضا من آبائهم، وذلك بمدحهم والثّناء عليهم من جهة ومن جهة أخرى حاولوا أن يؤثّروا فيهم بتذكيرهم بصلة القربى الوثيقة التي تربط بينهم، مستغلّين هذا الجانب الإنساني لتحريك عاطفة الأبوة عندهم، وذلك بالشّكوى لهم من المعاناة التي كانوا يجدونها بسبب غضبهم عليهم، وهم بذلك يحاولون أن يستفزوا فيهم تلك العاطفة التي لا يمكنهم التغاضي عنها وإنكارها، فقوة رابطة الدّم، والعلاقة التي تربط الآباء بأبنائهم كانت الوسيلة التي توسلوا بها لالتماس عطفهم، ونيل عفوهم ورضاهم.

وأمّا الفئة الأخرى التي توجّه إليها الشّعراء الحكّام بهذين الموضوعين فكانت الأصدقاء المقربين منهم، وقد كان المعتمد بن عباد الأوفر شعراً في هذا الجانب، ومن ذلك أن المعتضد بن عباد أمر أن يكون مجلس ابنه وولي عهده المعتمد مرتفعاً عن مجلس كبير وزرائه ابن زيدون، فاعتذر المعتمد بن عباد لابن زيدون عن ذلك فخاطبه قائلاً([1]): الرّمل

أيّها المنحطّ عنّي مجلسا ولهُ في النّفسِ أعلى مجلسِ
بفُؤادي لك حبّ يقتضي أن تُرى تحْتل فوق الأرؤسِ

يبدو أنّ مكانة ابن زيدون كانت كبيرة عند المعتمد، إذ اعتذر له على أمر لا يستوجب الاعتذار، فمن الطّبيعيّ أن تكون منزلة ابن الأمير أعلى منزلة من غيره، فكيف لا تكون كذلك وهو(المعتمد) ولي العهد من بعد أبيه ؟! .

ومن معاتبات المعتمد لأصدقائه ما جاء في ديوان ابن زيدون من أن المعتمد كتب إلى الشاعر بعد أن فكّ معمّى تلقّاه منه، وأبطأه الشّاعر الرّد، فكتب إليه المعتمد يعاتبه على إخلاف وعده، فقال: المتقارب

وعدتَ وأخلفتني الموْعـدا وخالفتَ بالمُنْتهى المُبْتدا
وأطمعتني ثـمّ أيْأَسْتـَني ويمنعُني الودّ أن أحقدا
وأضعفتَ بالمطلِ حبْل الرّجا فرثّ وأعهدُهُ مُحْصَـدا
وعادَ ضياءُ ارتقابِي ظـلا ما، وأصبح مصباحُه أرْمدا
وكان فعالُك قبْل المقـال فماذا عدا الآن فيـما بـدا؟

[1] . الدّيوان ، ص ١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذه المعاتبة لتكشف عن مكانة ابن زيدون عند المعتمد، فلو كان شخصاً عادياً وتأخر عنه لعاقبه عقاباً شديداً، لا أن يرسل إليه قصيدة يعاتبه على مَطْله وتأخرّه عنه وهو الأمير. وتؤكّد بقيّة أبيات القصيدة تلك المكانة، إذ تحدّث فيها المعتمد عن المكانة الكبيرة لابن زيدون عنده، فذكر أنّه طالما جالسه وأفاد من علمه، وأثنى عليه فذكر محاسنه، وأشار إلى أنّ سروره في مجالسه لم يكن لولا حضور ابن زيدون فيها، فقال :

وكمْ قد توكّفتُها روضَةً تُقرِّبُ لي الأملَ الأبـعدا
ينوّرُ علمُكَ أرجاءَها وَيَقطُرُ طَبْعُكَ فيها نـــدى
توكّفها زمناً ناظري إذا مرّ يومٌ تمادى غـــدا
على ذاك أفْديك من ماجدٍ تشبّثَ بالظّرْف فيه الهُدى
فَحيناً أزور به روضةً وحيناً أحيّي به مَسْـجِداً
لك العلمُ مَهْما أرِدْ بحْرَه لأرْوى به أحْمَدُ المَـوْرِدا

ويصف متعته برفقته وما تجلبه لنفسه من الأنس، فيقول:

فمتَّعني اللهُ بالحظِّ منـ ـكَ ولا زلتَ لي مُؤنِساً سرْمَدا
ودُمْتَ ودُمْنا على حالِنا كما يَصْحَبُ الفرقدُ الفـــرقدا
فلولاك كانتْ ربوعُ السّرو رِ منّي تجاوبُ فيها الـصّدا

ويعاتب المعتمد ابن عمار على تغيّره معه، وذلك بعد أن كان يدين له بالولاء" واستعمل خساس عبيده على الحصون وأقطعهم الضّياع، وأعرض عن النّصيح، وأقبل على الغبوق والصّبوح ..وفي مدة إقباله على سفاهته كان ابن عباد يستلطفه بأعيان الأصحاب فيذكّرونه بالأذمّة . (١)، وكتب إليه المعتمد معاتباً (٢): طويل

تغيّر لي فيْمن تغيّر حارثُ وَربَّ خليلٍ غيَّرتْه الحوادثُ
أحارثُ إنْ شُوركتُ فيك فطالما نَعِمْنا وما بيْني وبينك ثالثُ

١ . ابن الأبار ، الحلّة ، ج٢ ، ص١٤٢ – ١٤٣،
٢ . الدّيوان ، ص ١٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرسل ابن عمار إلى المعتمد معتذراً إليه عمّا بدر منه، وطالبا رضاه، فيقول [1]:الطّويل

أأرْكبُ قَصْدي أم أعُوجُ مع الرّكبِ فقد صرتُ من أمري على مركبٍ صعبِ؟
وأصْبَحْتُ لا أدري أفي البُعْدِ راحتي فأجعله حظّي أم الخـيْرُ فيالــقُرْبِ
أمـا إنّه لـولا عوارفك التـي جرت فيَّ جري الماءِ في الغُصُنِ الرّطـبِ
لـما سُمْتُ نفسي ما أسومُ من الأذى ولا قلتُ إن الذّنب في ما جـرذنـبـي
سأستمنِحُ الرُّحمى لـديكَ ضراعةً وأسألُ سُقيا من تَجـاوزكالـعـذب

ويقبل المعتمد اعتذار ابن عمار فيرسل له بقصيدة يصوّر فيها ذلك ويخبره بأنّه عفا عنه، وأنّه يعزّ عليه أن يشعر بالوحشة، ويخبره بأن له عنده مكانة، وأنه افتقده لمّا غاب عنه، فيقول [2]: الطّويل

لديّ لك العُتبى تُزاح عن العتْب وسعْيُكَ عندي لا يضاف إلى ذنـبِ
وأعْزز علينا أن تُصيبكَ وحشةٌ وأنْسَكَ ما تدْريه فِيك منْ الحُـبِّ
فـدعْ عَنْكَ سـوءَ الـظّنِّ بي وتَعَدّهُ إلى غيره فهو المُمَكّن في القلب
قَريـضُك قد أبـدى توحّشَ جانبٍ فَراجعْتُ تأنيسا وعلمك بي حَسْبي

ومن معاتبات الشّعراء الآخرين لأصدقائهم ما كتبه ابن صمادح المعتصم بالله إلى ذي الوزارتين محمّد بن عمار، في قوله [3] طويل

وزهّدني في النّاسِ معرفتي بهم وطول اختباري صاحبا بعد صاحبِ
فلمْ تُرني الأيّامُ خِلا تسرّني مباديه إلا ساءني في الـعواقــبِ
ولا قلتُ أرجوه لدفْعِ ملمّةٍ من الدّهْرِ إلا كان إحـدى النّـوائـبِ

[1] .ابن الأبار الحلّة، ج٢ ص١٣٧
[2] . الدّيوان ، ص ١٢٥.
[3] ابن الأبّار ، الحلّة ج٢ ،ص ٨٤ - ٨٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللمتوكّل بن المظفّر يعاتب فيقول([1]): طويل

أُفَدّي أبا عمرو وإن كان جانياً عليَّ ذنوباً لا تُعَدَّد بالـعَتْبِ
فما كان ذاكَ الودُّ إلا كبارقٍ أضاء لعيني ثمّ أظلم عن قربِ

ومن صور اللوم والمعاتبة الشّديدة التي تصل حد التّقريع في شعرهم ما وجّهه المنصور بن أبي عامر للمصحفيّ ،وقد كتب له المصحفيّ يستعطفه ويسأله العفو بقوله([2]): البسيط

هبني أسأتُ فأيْنَ العَفْوُ والكَرمُ إذ قادني نحوَكَ الإذعانُ والنّـــدمُ
يا خيرَ مـنْ مُدَّتْ الأيدي إلـيه أما ترثـي لشـيْخٍ رماهُ عنـدك القلمُ
بالغْتَ في السُّخطِ فاصْفَح صفْحَ مقتدرٍ إنّ الملوكَ إذا ما اسْتُرْحِموا رَحِـموا

لم يتأثّر المنصور بهذه الأبيات بل ازداد حنقا وحقداً عليه، " فراجعه بما أيأسه ، وأراه مرمسه، وأطبق عليه محبسه، وضيّق تروّحه من المحنة وتنفسّه، وقال ([3]) : بسيط

الآن يا جاهلاً زلّتْ بـك الـقدمُ تبغي التّكرُّم لمّا فاتكَ الكـرمُ
أغْريتَ بي مَلِكاً لـولا تـثبّته ما جاز لي عنْدهُ نطقٌ ولا كلمُ
فايأس من العَيْشِ إذ قد صرتَ في طبقٍ إن الملوكَ إذا ما استنقموا نَقَمُـوا
نفسي إذا سَـخِطتْ ليْسَتْ براضيةٍ ولو تشفَّعَ فيكَ العُربُ والعَجَمُ

ولأبي الخطّار الحسام بن ضرار في هذا الموضوع مقطوعة شعريّة يعاتب فيها ويهدد بني مروان؛ وذلك حين خلعوه لتعصّبه لليمانيين وتفضيلهم على المضريّة، فلامهم على ما فعلوه به وعاتبهم بقوله ([4]) :الطّويل

كأنّكُمُ لـم تشْهدوا مَرْجَ راهطٍ ولم تعلموا مَنْ كان ثمَّ له الفضْلُ
وَقيْناكم حرّ الـقنا بنحورنا وليسَ لكم خيلٌ سوانا ولا رَجْـلُ
فـلمّا بلغتمْ نَـيْلَ ما قد أردتمُ وطابَ لكم منّا المشاربُ والأكلُ
تـعاميْتمُ عنّا بـعيـنٍ جـليّةٍ وأنتم كذا ما قد عَلِمنا لها فُعْلُ

[1] . نفسه ، ص ٩٦.
[2] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج١، ص ٤٠٧.
[3] . نفسه .
[4] . ابن الأبّار ،الحلّة ج١ ، ص٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويهددهم إذ ما دارت عليهم الدوائر بأنه لن يبقى معهم كما كان سيريهم فعله فيهم، فيقول:

فلا تأمَنوا إن دارتِ الحربُ دورةً وزلّتْ عن المِرقاةِ بالقَدم النَّعْلُ
فينتقضُ الحبْلُ الذي قد فتلتمُ ألا ربّما يُلْوى فينتفضُ الحبْلُ

وممّا يدخل في باب الاعتذار طلب الشّفاعة، فهي في معناها قريبة منه، إذ يعرّفها ابن منظور بأنّها :السّؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم (١) .ومن الأشعار التي قيلت في هذا الموضوع ما نظمه عبد الله بن عبد العزيز بن الحكم الرّبضي وكتب به مع رسالة إلى المنصور بن عامر، حين ظفر به في شوال سنة ٣٨٥هـ، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الرّوم، فسجنه بالمطبّق بعد أن طيف به على جمل وهو مقيّد (٢)، فكتب إليه بقصيدة بدأها بتسويغ محاولته الهروب، فقال إنّه فعل ذلك خشية الموت، وإنّه نادم على فعلته تلك التي لم يوفق فيها إلى الرّشد، فقال(٣): طويل

فررتُ فلم يُغْنِ الفرارُ ومنْ يكنْ مع الله لا يُعجزْه في الأرض هاربُ
ووالله ما كــان الفرارُ لحالةٍ سوى حَذرِ الموتِ الذي أنا راهُب
ولــو أنّني وُفّقتُ للرّشد لم يكن ولكنَّ أمرَ اللهِ لا بدَّ غالبُ

ويصوّر له قلقه وخوفه من الموت الذي ينتظره في الأسر، والنّاس من حوله كلهم مجمعون على ذلك. غير أنّه يحاول أن يستدرّ عطفه ويظهر له الأمل بعفوه فيقول:

وأجمعَ كلُّ النّاسِ أنّك قاتلي وَرُبَّتَ ظنٍّ ربُّه فيه كاذبُ
وما هو إلا الانتقام فتشتَفي وتركُكَ منه واجباً لك واجب
وإلا فعفْوٌ يرتضي اللهُ فِعله ويَجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفس إلا دونَ نفسِكَ فليكُن على قدْرها قدْرُ الذي أنتَ واهبُ

---

١ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص١٨٤ مادة شفع

٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ٢١٨.

٣ . نفسه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول الشّاعر أن يؤثّر فيه فيعرض لمدحه ويثني عليه، مستنفرا ما لديه من النّخوة والنّجدة، علّه يعفو عنه، فيقول:

فما خابَ من جدواك، مذ كنتَ، سائل ولا رُدَّ دون المُبْتغَى عنك راغبُ
وقد منحتْ كفاك ما يُعجز الورى وعمّتْ عمومَ الغيث منك المواهبُ
وإن حُمَّ تأخيرٌ لنفسيَ فليكن لمُتلفِها من صاحب الملك صاحبُ
فما زال سبّاقاً إلى كلّ خَصْلةٍ يسير بها في الأرض ماشٍ وراكبُ
فلا انفكَّ لي مولى ألوذُ بعزّه فيصْرفُ عني الخطبَ والدّهر عاتب

و له يستشفع بالمظّفر عبد الله إلى أبيه فيصوّر له معاناته ويستغيث به، فيقول (١) :المتقارب

ألا أيّها الحاجب المُرتَجى وأكرم من كان أو من يكونْ
دعوْتُك دعوةَ مستصرخٍ أحاطت به وأثْخَنَتْه المَنونْ
فإنْ لم تُغِثْني فمن ذا الذي يلوذ به الخائف المستكينْ ؟

ثم يأخذ بمدحه والثّناء عليه، فيعدد بعض شمائله علّه يتحرّك لنجدته، فيقول :

جمعتَ التُّقى والعلى والنّهى فمالٌ مُذالٌ وعِرضٌ مصونْ
وتفريجُ غمّاءَ عن حائنٍ يعود بك الحيّ وهْو الدّفين
فقل لي : لعاً ! من عثار له أناديك والموت لي مستبينْ
وإن جلّ ذنبي فأنت الجليل وهل لك فيمن عليها قرينْ ؟

ومن القصائد التي قيلت ردّاً على الاعتذار في شعرهم، قصيدة قالها يوسف الثّالث عندما ترضّاه قولاً وفعلاً صاحب فاس، صوّر فيها يوسف الثّالث سعادته بذلك الصّلح، وزفّه بشرى للنّاس، فقال (٢): خفيف

هي بشرى دعت جميع العباد للتّمادي على صريح الوداد
قَدِمَتْ خير مقدم بعد جهد فاستقلت بها رسوم الجهاد
وفضضنا ختامها عن كتاب صادر عن يد وَغُرّ أياد

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ٢١٩.
٢ . الدّيوان ، ص ٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يبدأ الثّالث بمدح صاحب فاس، ويمدح أيضا جدّه، ويبشّر بعدها بما سيحقّقه هذا الصّلح من خير، وكيف سيردّ به كيد الأعادي فيقول :

فاتَــحتْنا يمـينه بكـتاب — فأرانا كتـيبة اسـتعـدادِ
لا يُرَع للثّغور سِرْبٌ تشكّى — شِدّةَ العَدو من خيول الأعــادي
كفُّ عثمان والنّجاحُ كفيلٌ — قد كفت مُعضل الخطوب الشّداد
والذي ضلَّ رُشْده قد تجافى — في مَساعيه عن وثيرِ المـــهادِ

ج: الاستدعاء للمجالس:

إذا كان موضوعا الاعتذار والعتاب قد أظهرا في بعض المضامين جانباً من جوانب علاقة الشّعراء الحكّام بأصدقائهم المقرّبين، وكيف كانوا يتعاملون معهم إذا ما بدا من أحد أصدقائهم أو مقرّبيهم ما يكدّر صفو العلاقة بينهم، فإنّ هذا الموضوع يصوّر طبيعة العلاقة التي كانت بينهم، وأهميّة وجود الأصدقاء من حولهم، فكانوا – كما سيأتي – لا يستغنون عن وجودهم ومشاركتهم في مجالسهم التي كانوا يخلدون إليها ترويحاً عن أنفسهم، وطلباً للرّاحة والمتعة، أو ربما هروبا من القلق السّياسي وما يترتب عليه من اضطراب نفسي، وسنتبيّن شيئا من هذا في معرض دراستنا لموضوع الخمر والاستدعاء إلى مجالسها،وفيما يلي استيفاء النّظر في المراسلات التي دارت بين الحكّام وأصدقائهم .

تنوّعت المعاني التي دارت حولها المراسلات الشّعرية التي دارت بين الشّعراء الحكّام وأصدقائهم ،فكان من بينها الاستدعاء إلى المجالس واستقدامهم للحضور إليها ، فكانوا يتراسلون معهم شعراً فيدعونهم للحضور عندهم ،سواء استضافتهم في قصورهم أو مشاركة في المجالس التي كانوا يقيمونها ، ومن ذلك ما كتبه المطرّف ابن الأمير محمد يستدعي أحد إخوته وكان مائلاً إليه فيقول متمنّيا حضوره، ومصوّراً السّعادة التي يجدها بذلك لمكانته الكبيرة عنده: المنسرح

هل أتّكي مُشْرفاً على نهري — أرمي بطَرْفي إليه من قصري
عند أخٍ لو دَهتْهُ حادثةٌ — أعطيته ما أحبَّ من عمري
نشرب نحلية* فضيلتها — أتحفت الخمرَ ذِلَّة الخمرِ؟

* قال حسين مؤنس محقق الحلّة في توضيح معنى هذه الكلمة : وقرأها دوزي (قحلية) ، ولم أجد أي اللفظين أو ما يقرب منهما في باب الخمر في مخصص ابن سيدة ، ولا وجدت لأحدهما معنى يتصل بالخمر في المعاجم ، وكل ما وجدت في مفردات ابن البيطار لفظ نحلي، عقار كان يتطبب به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فوعده ذلك الأخ أن يكون عنده، ولكنّه على ما يبدو أبطأ عليه، فكتب المطرّف يستنجزه وعده ويبيّن له أهمية حضوره فيقول(١):الوافر

وُلوعُ النّفسِ بالوعدِ الوَفيِّ وإنجازُ المقال على الوَليِّ
فإن أرضاك أن نغدو ضحاءً وإلا كان ذاكَ مع العَشيِّ
نكون ثلاثةً أنتَ المُبَدّى ونحن إليكَ ثم أبو عليِّ

من فرط حبّ الشّاعر لهذا الأخ نرى أنه سلّم له أمر ذلك المجلس، فجعله يختار الوقت الذي يراه ملائماً، كما أنّه جعله مقصورا عليه وعلى رجل ثالث يبدو أنّه من أصفيائه الذين بهم تكتمل سعادته.

ويستدعي المتوكّل بن المظفّر وزيره أبا طالب بن غالب للحضور إليه، فيقول(٢):مخلع البسيط

أقبل أبا طالبٍ إلينا واسقط سقوطَ النّدى علينا
فَنَحنُ عِقْدٌ بغير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

ويرسل رفيع الدولة بن صمادح إلى شخص يدعى يحيى بن مطروح يستدعيه لأنس،وذلك على ما يبدو من شعره الذي أرسله إليه هروباً من هموم الزّمان، فيقول مخاطباً إيّاه بـ"أخي، وسيّدي، وسندي "(٣) الرمل

يا أخي يا سيدي بل سندي في مهماتِ الزّمان الأنكدِ
لُحْ بأفقٍ غابَ عنه بدْرُهُ في اختفاءٍ منْ عيونِ الحُسّدِ
وتعجّلْ فحبيبي حاضرٌ وفمي يشتاقُ كأسي في يدي

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ١٢٩.
٢ . نفسه ، ج٢، ص ١٠٧
٣ . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣ ص٣٦٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير خاف ما في الأبيات من تبسّط وتودّد في خطاب الشّاعر لذلك الرّجل، حيث خلع الشّاعر عباءة السّيادة، فجعل ذلك الرّجل سيّده وسنده، الأمر الذي جعل ذلك الرّجل المدعوّ نفسه يستكثر ذلك على نفسه، فردّ عليه مجاوباً(١) :

أنا عبدٌ من أقلِّ الأعْبُدِ قِبْلَتي وَجْهٌ بأفقِ الأسعُدِ
كلّما أظمأني وِرْدٌ فَمَا منهلي إلا بذاك المورِدِ
ها أنا بالبابِ أبغي إذنكم والظّما قد مدَّ للكأس يدي

ويكتب المعتضد بن عبّاد لصهره مجاهد العامري يعبّر له عن شوقه للقائه، ويتمنىّ أن يحقّق له ذلك فيقول (٢): بسيط

عَرفْتَ عَرفَ الصَّبا إذْ هبَّ عَاطِرُهُ مِنْ أُفْقِ من أنا في قَلْبي أشاطرُهُ
أرادَ تجْديد ذِكْراهُ على شَحَطٍ وما تيقّنَ أنّي الدّهرُ ذاكِرُهُ
ينأى المزارُ بِهِ والدّارُ دانيةٌ يا حبّذا الفال لوْ صَحَّتْ زَوَاجِرُه
ذُخْري أبا الجيشِ هلْ يُقْضَى اللّقاءُ لَنَا؟ فَيَشْتَفي منكَ جفنٌ أنتَ ناظرهُ؟

ويرسل إليه مقطوعة أخرى معبّرا عن شوقه له، فيقول (٣): الكامل

أَتُرى اللّقاءَ كَما نُحِبُّ يُوَفَّقُ؟ فَنَظلُّ نُصْبَحُ بالسُّرُورِ وَنغْبَقُ
حتّام تَمْطِلُني الليالي قُرْبَ مَنْ قلْبي لهُ مُتَشوّفٌ مُتَشوِّقُ؟

ويراسل ابنُ رزين ابنَ عمّار وهو حاضر عنده، لا ليستدعيه وإنما ليعبّر له عن حبّه ووداده، ويصوّر السّعادة التي يجدها في حضوره فيقول (٤) : طويل

ضمانٌ على الأيّامِ أن أبلغَ المُنى إذا كنْتَ في ودِّي مُسرّا ومُعْلنا
فَلَوْ تسألِ الأيّام منْ هوَ مفْردٌ بودّ ابن عمّارٍ لقلْتُ لها: أنا
فإن حالتْ الأيّامُ بيني وبينهُ فكيف يطيبُ العَيْشُ أو يحْسنُ الهنا؟

---

١ . نفسه ، ص ٢٧٠.
٢ . الدّيوان ، ص ٢١٩.
٣ .الدّيوان ، ص،٢٢٠.
٤ . الفتح ،ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجاوب ابن عمار ابن رزين على هذه الأبيات التي محضه فيها خالص ودّه، فيصوّر له سعادته في ظلّ صحبته، ويشير إلى المكارم التي نالها عنده ، فيذكر منها علاوة على الصّلات والعطايا جمال اللّحظات التي كان يقضيها في مجالسه، ويعبّر له عن تقديره لإكرامه له ، ويعِدُه بأن يظلّ ذاكرا فضله ومثنيا عليه ، فيقول: (١)طويل

حَضَرْتَ لِيَ الآمالَ طيّبةَ الجنى وَسوّغَتني الأحوالَ مقبلةَ الدُّنا
وألْبَسَتْني النّعمى أغضَّ من النَّدى وأجْملَ منْ وشي الرَّبيعِ وأحْسنا
وكمْ ليلةٍ أحْظَيْتَني بحضورهَا فبتُّ سميراً للسّناء وللسّنا
أُعَلّلُ نفسي بالمكارمِ والعُلى وأذني وكفّي بالغناء وبالغنى
سأقرنُ بالتّمويلِ ذكرك كلّما تعاورتِ الأسماءُ غيرك والكنى
لأوْسَعَتني قولاً وطوْلاً كلاهما يطوِّقُ أعناقاً ويخرسُ ألسُنا

وليوسف الثّالث قصيدة يوجّه فيها دعوة إلى علماء حضرته لحضور وليمة، اتّخذ صنيعها بالرّياض من قصوره، وفيها يصوّر ابتهاجَه وسروره باستدعائهم، ويصف جمال المكان الذي ستقام فيه، فيقول (٢): الرّمل

يومنا يومُ صباحٍ مشرقٍ فأجيبوا يا نجومَ الأفق
يوسفياً قد أقامَ سُنة نُظِمتْ أشرافها في نسقِ
في رياضٍ حُسْنُها متحد شائع في مغرب ومشرقِ

ويفتخر يوسف الثّالث في هذه القصيدة على عادته في كثير من أشعاره بنفسه ومآثره، ويثني على من سيحضرون هذه الوليمة، فيقول:

وأنا يوسفُها من دولة أطلع الأنجمَ ملء الحدقِ
بينَ أبطال جهادٍ تمتطي للوغى غرَّ الجِيادِ السبقِ
ووفودُ الملك قد حفوا به دُررَ العقد وتاج المفرقِ
بذلتْ يُمْنايَ ما شاء النّدى وعلى الله جزاءُ المُنْفقِ

---

١ . نفسه ، ص ١٥٩.
٢ . الدّيوان ، ص١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الإعلام بالقدوم من المعاني التي تؤدّيها المراسلات الشّعرية التي قيلت في الزّيارات المتبادلة بين الأصدقاء، ومن ذلك ما ورد في القلائد عن الوزير أبي الأصبغ إلى المعتمد بن عباد" فلمّا دنا من حضرته (حضرة المعتمد) واقترب، وبات منها على قرب معتقدا حلولها فجر غد أو ضحاه، معتمداً مشاهدة فطر ذلك اليوم أو ضحاه بادر بالإعلام وكتب إليه على عادة الإعلام شعراً .منه بيتان أوّلهما(١) :

ياملكا عظّمته العُربُ والعجم وواحداً وهو في أثوابه أمم

فجاوبه المعتمد مرحّبا به، ومعبّراً عن شوقه للقائه، فقال:

أهلاً بكم صَحبتْكم نحوي الدّيمُ وحانَ أن يتسنّى لِي بكم حُلُمُ
حُثّوا المطيَّ ولوْ ليلاً بمجْهلةٍ فلنْ تضِلوا ومن بِشْري لكم عَلَمُ

ويصوّر فرط سعادته بقدومه ويعّبر عن فرحه واستعداده لإكرامه وإنزاله خير منزل فيقول:

أقدمْ أبا الأصبغ المحبوب تلق فتى هّشَّ المودّة لا يُزْري به سَأمُ
هذا فؤاديَ قد طار السّرورُ به إنْ كنْت تنقلكَ الوخّادةُ الرّسم
سأكتُم الليل ما أشكوه من بُعْدٍ وأسألُ الصّبحَ عنكم حين يبتسمُ

ويرحّب المعتمد بقدوم ولده أبي الفتح، فيصوّر سعادته بذلك ويصف مكانته عنده، فيقول(٢):

المتقارب

وردتَ أبا الفتحِ يا سيِّدي وُرودَ الكرى بعد طُولِ السّــهادِ
ولمّا احتللتَ بنا لم تَحُـ ـلَّ مِن العينِ والقلب غيرَ السّوادِ
ودونكَ منّا طيورا غدتْ تطيرُ إليكَ بريــش الـوداد

[١] . ديوان المعتمد ، ص١٣٢، نقل المحقّق هذا الخبر عن القلائد ، ص ٩.
[٢] . نفسه ، ص ١٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المراسلات الشّعرية التي جاءت في سياق التّزاور بين الشّعراء الحكّام وأصدقائهم مراسلة ابن عمار للمعتصم يستأذنه السّراح، وهو ضيف عنده، فيبدأ طلبه بمدح المعتصم والثّناء عليه بما وجده عنده من كرم وحسن ضيافة، فيقول (١) مجزوء الكامل

يا واثقاً فَضَحَ السّحا بَ الجودَ في معنى السّماحْ
ومطابقاً يأتي وجو ه الجِدِّ من طُرقِ المـزاحْ
أسرفتَ في برِّ الضّيو ف فَخُذ قليلاً في السَّراحْ

و يردّ المعتصم على طلب الشّاعر، فيرفض السّماح له بالمغادرة، ويرى أن من البرّ عدم السّماح له بذلك ،فيقول وكان – كما ذكر ابن الأبّار أشعر منه في الجواب- :

يا فاضلا في شكرهِ أصِلُ المساء مع الصباحْ
هلا رفقت بمهجتي عند التكلم في السّراحْ ؟
إنَّ السّماحَ بِبُعْدكمْ والله ليس مِن السَّماحْ

لقد صوّرت الأشعار التي تبادلها الحكّام مع أصدقائهم حين استدعائهم لزيارتهم وترحيبهم بهم عند القدوم إليهم العلاقة الوثيقة التي كانت تجمع بينهم، وكان الحكّام في أغلب الأحيان هم المبادرون باستدعائهم، وتقريبهم منهم، مظهرين سعادتهم وسرورهم بصحبتهم بعيداً عن هموم السّلطة وأعبائها، وكانوا يوادّونهم ويتخاطبون معهم بتبسّط، متناسين الألقاب والفوارق التي تميّزهم عنهم بحكم السّلطة، فكأنّهم برفقتهم ومجالستهم في المجالس التي كانوا يدعونهم إليها يلوذون بهم طلبا للرّاحة والمتعة ،وتخفيفا من المتاعب التي يجدونها في ظلّ الحكم والسّلطة .

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- موضوعات أخرى:

ثمّة موضوعات أخرى من الشّعر الإخواني ظهرت قليلة في شعرهم :كالتّهنئة والتّعزية والألغاز، ولم تظهر هذه الموضوعات عندهم كلّهم، وإنّما جاءت قليلة حتى عند من نظم فيها، فلم تتجاوز في بعض الأحيان المقطوعتين .

فمن النّماذج التي قيلت في موضوع التّهنئة ما نظمه الرّشيد بن المعتمد مهنئا زوجته عند ولادتها ابنه المعلّى، مصورا سعادته بخلاصها سالمة، وقد أنجبت له ولداً يراه في مستقبل أيامه قائداً وسيدا تقرّ به عينه، فيقول (١): الطّويل

أُهنيكِ بلْ نفسي أُهنِّي فإنّني بلغتُ الذي كان اقتراحي على الدَّهرِ
خلاصَكِ من أيدي المنونِ وغُرةً بدَتْ للمعَلَّى مثلَ دائرة البدرِ
كأنّي به عمّا قريبٍ مُمَلّكاً زمامَ المعالي نافذَ النّهي والأمرِ
يقود إلى الهيجاء كلّ غضنفرٍ ويضرب من ناواه بالبيض والسّمر

ويهنّيء إسماعيل بن الأحمر الحاجب الفقيه أحمد بن الفقيه الكاتب صاحب العلامة والأشغال السلطانيّة علي بن علي القبائلي الموحّد بهلك النّصارى في بحر سبتة على يد ابنه ويبارك له ذلك، فيقول (٢) : الطّويل

ولما بدرِّ العدل مهّدت برّه بعثتَ ابنك السامي فطاع له البحرُ
رمى ثُغرة البأساءِ منه بمسلم أصيب بذاك الرّمي من كافر نحرُ
فمن أحمد قل للنّصارى ونجله: رُميتم فمنكم مُزِّقَ النّحرُ والسّحر*
وإن جمعوا كيداً وجاؤوا بسحرهم جعلت عصاك َالسّيفَ فانبطل السّحْرُ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص٦٨ – ٦٩
٢ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٩٦.
* الرّئة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدخل في إطار موضوع التّهنئة مقطوعة نظمها المعتمد بن عباد وقد بشره أبو بكر يحيى الخولاني المنجم بحسن طالعه في موقعة الزّلاقة قبل أن تكون ،فقال المعتمد متفائلا بالنّصر ومهنّئاً به نفسه(١) مجزوء الكامل :

لا بدَّ من فرجٍ قريب يأتيك بالعجبِ العجيبْ
غزوٌ عليك مبارك في طيه الفتحُ القريبْ
لله سيفُك إنّه سُخْط على دين الصّليبْ
لا بدَّ من يوم يكو نُ له أخٌ يوم القليبْ

وفيما يتّصل بموضوع التّعزية فقد نُظمت مجموعة من الأشعار في هذا الموضوع الإخواني واسى فيها الشّعراء من أصابتهم مصيبة من الأهل والأصدقاء، كفقدان عزيز أو الهزيمة في موقعة أو التّعرض لسوء أو مرض. فمن القصائد التي قيلت مواساة وتعزية بفقدان عزيز قول إسماعيل ابن الأحمر يعزّي ابن عمّه الرّئيس أبا الوليد إسماعيل بوفاة ولده، في محاولة منه للتّسرية عنه وتعزيته، فيذكّره بأن أمله باق فيمن تبقّى من إخوته، فيقول(٢): البسيط

لا تَجْزَعنَّ أبا الصِّدق الأمير على يَحْيى سَليلك ؛ في الباقي لكَ الخلفُ
كان الذي قد مضَى نجماً فغابَ ومنْ بقي بُدورٌ لعمْري ما بها كَلفُ

ويواسي الرّاضي والده المعتمد ويحاول أن يسرّي عنه في هزيمة جيش له بناحية لورقة، كان عليه أخوه المعتدّ، فيرسل له قصيدة يبيّن له فيها أن تلك الهزيمة لم تكن عن ضعف منه، وأنّه ليس من العار أن يهزم الفرسان؛ فذلك من طبائع الحروب، فيقول (٣): بسيط

لا يُكْرِثَنَّكَ خَطْبُ الحادثِ الجاري فما عليك بذاك الخطْبِ من عارِ
ماذا على ضَيْغَمٍ أمضى عزيمته أنْ خانَه حدُّ أنيابٍ وأظفارِ
مَنْ يُوقِظُ الحربَ لا يُنكرْ حوادثها قد تُحرقُ النّارُ يوماً مُوقدَ النّارِ
لئنْ أتوْكَ فَمنْ جُبْنٍ ومِن خَوَرٍ قد يَنهضُ العَيْرُ نحو الضّيغمِ الضّاري

١ . الدّيوان ، ص ١٢٧.
٢ . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص٩٢.
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٧٢.ينظر في مناسبة الأبيات في نفح الطّيب ، ج ٤، ص ٢٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول أن يسرّي عنه فيخبره بأنّه عمل ما بوسعه من أجل خدمة النّاس ونصرتهم، غير أنّ القدر حال دون تحقيق آماله المرجوّة، وأنّ النّاس لو علموا مكانتهم عنده وسعيه لخيرهم لقدّموا له أرواحهم لو كان الأمر بوسعهم:

عليكَ للنّاسِ أن تسعى لنصرهِمُ وما عليكَ لهمْ إسْعَادُ أقدارِ
لو يَعْلمِ النّاسُ ما في أنْ تدومَ لهمْ بَكَوا لأنَّك من ثوب الصِّبا عارِ
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتِهمُ لم يُتْحفوك بشيء غيرَ أعمارِ

ويواسي إسماعيل ابن الأحمر الحاجب أحمد صاحب العلامة والأشغال السّلطانيّة، وقد عثرت به فرس، فيحاول أن يهوّن عليه ذلك بحسن التّعليل لتلك العثرة، فذكر أنّ الفرس عثرت خوفاً من علمه وفهمه، فعجزت لذلك عن حمل الفارس الشّهم، فيقول (١): الطّويل

وما عثرت شهباء خيلك من عَنا سوى خيفةٍ من راسخِ العلمِ والفهمِ
لهذين ألقَتْ نفسها إذ كبت على أديم الثّرى عجزاً عن الحمْلِ للشّهمِ
ولا بأس في ذاك العثار لأنّه يفدّيك من سوء يردّد في الوهم
وإنّ الذي ينوي إليك عداوة يهان بضرب الأصبحيّة بالجهم

يُلْحظ أن موضوعي التّهنئة والتّعزية قد جاءا قليلين قياساً بغيرهما من الموضوعات الإخوانية الأخرى في شعر الحكام ، وقياسا بحضورهما عند غيرهم من الشّعراء من غير الحكام*، وربما يكون تعليل ذلك أن الحكّام هم من يتَوجَّه إليهم الشّعراء في المناسبات التي تتطلّب التّعزية والتّهنئة ،وذلك لينالوا عطاءهم أو يتقرّبوا منهم، أمّا هم فلا حاجة لهم بأن يتقرّبوا من أحد بتهنئة أو تعزية .

١ . ابن الأحمر نثير فرائد الجمان ، ص٣٩٦
* تنظر أ شعار التّهنئة والتّعزية عند عموم الشّعراء في كتاب الإخوانيّات في الشّعر الأندلسي، ص ١١٩/٩٢، وقد كان كثير منها موجّها للحكّام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الموضوعات الإخوانية الأخرى في شعرهم الألغاز، أو المُعمّيات، أو المُطَيَّرات كما يسميها بعضهم *. وهذا اللون من الشّعر الإخواني يعدّ "من ألوان الرّياضة العقلية والترف الثقافي، فحظّها من الفكر كبير، ونصيبها من العاطفة ضئيل، والشّعر لغة العواطف يفصح عنها، وهي التي توجّه صوره وتعبيراته، وبدونها لا يسمى شعراً بل مجرد نظم (١) وغاية هذا اللون من الشّعر قتل الفراغ وإظهار البراعة واختبار الذكاء(٢) .

وفيما يتّصل بقيمة هذا اللون من الشّعر من النّاحية الأدبية والفنيّة يذهب فوزي سعد إلى أنّه" آفة من آفات الشّعر، انكب عليها الشّعراء يتطارحونها ويتراسلون بها، ويستهلكون قرائحهم في صنعها والتفنّن فيها .وليس من شك في أنّ هذه الأمور أرهقت الشّعر وأفسدته وأزهقت روحه، وأحالته إلى نظم ممسوخ مشوّه(٣)"، ويشترك معه في هذا الرّأي سعد شلبي - في بعض جوانبه- فيذهب إلى أن هذا اللون من الشّعر لا قيمة له من النّاحية الأدبيّة (٤)، و من جهة ثانية يرى شلبي أن له أهميّة من النّاحية الاجتماعيّة، فيشير إلى أنّ السّبب في ظهوره - إضافة إلى موضوعات أخرى إلى جانبه- يعود إلى بعد نفسي مبعثه الواقع الاجتماعيّ والسّياسيّ الذي يحيط بالشّعراء، وفي ذلك يقول:" وهكذا دفعهم القلق الذي عانوه، وحياتهم المضطربة التي عاشوها وأوقاتهم الفارغة من التّطلّعات الجادّة، دفعهم كلّ ذلك إلى الأحاجي والتّماجن وغشيان مجالس الأنس والمراسلة والمطارحة وتجميل الأساليب وتزويقها والتّمرّس ببعض المسلّيات ومنها الألغاز والأحجيات والفكاهات، وكلّها فنون لها صلة بالحالة الاجتماعية وما سادها من قلق واضطراب" (٥).

وكان عصر المعتمد بن عبّاد من أكثر العصور التي شهدت القلق والاضطراب السّياسي، وقد كان ظهور هذا اللون من الشّعر جليّا في شعره، ذلك أنّه كان من أكثر الشّعراء عامّة والشّعراء الملوك نظما فيه.وفي ديوانه نقف على مجموعة من الألغاز التي دارت بينه وبين ابن زيدون، فكان أحدهما يرسل للآخر بقصيدة فيها لغز أو معمّى يفكّه .

---

* الشّناوي ، علي الغريب ، الإخوانيّات في الشّعر الأندلسيّ، ص ١٩٢.

١ . شلبي ، سعد إسماعيل ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشّعر ،ص٤٨٧

٢ . نفسه

٣ . سعد عيسى ، فوزي ، الشّعر الأندلسيّ في عصر الموحدين ،ص٤٨٧.

٤ . سعد شلبي ، البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشّعر ، ص٤٨٩

٥ . نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كانت المعمّيات في شعر المعتمد وابن زيدون تدور إمّا حول اسم طائر من الطّيور أو حول بيت من الشّعر قاله أحدهما، فمن الأمثلة على ذلك ما كتبه ابن زيدون للمعتمد من قصيدة تضم عشرين بيتاً مطلعها(١).

أيُّها الظّافرُ لاز لت مدى الدنيا مُظفّر
أنت أسنى ابن لأسمى والد في الدّهر فافخر
إن ترِدْ شرحَ مُعمّىً هو في نظميَ مُضْمَرْ
فاسأل الشّاهين والصّقـ ـر ين والعنقاء تخبر

ذكر محقّق ديوان ابن زيدون أن ابن زيدون في هذه القصيدة جعل كلّ طائر يرمز إلى حرف من حروف الهجاء، وقدّم حلّها وعرضه في جدول(٢). وأمّا حلّ المعتمد للغز ابن زيدون السّابق فقد جمع الحروف التي يرمز كل واحد منها لطير وضمّنها قوله(٣): مجزوء الكامل.

صَدّقْ لَنَا فَال السّمَه تظفر عَليَّ الكَلِمهْ

ومن التقاليد التي كان المعتمد يتّبعها في بعض الأحيان عند فكّ المعمّى أنّه كان يرسل لابن زيدون مجموعة من الأبيات الشّعرية يضمّنها غالباً مدحاً وثناء عليه *،ويبيّن فيها أيضا المتعة التي كان يجدها من تراسله معه في مثل هذا اللون الشّعري، ومن ذلك قوله في قصيدة أرسلها إليه بعد فكّ المعمّى السّابق، يصف فيها سعادته لتمكّنه من حلّ اللغز، و استمتاعه بهذا اللون من الشّعر(٤):

وافق العَنْبرُ منْ لفـ ـظك منْ ذِهْنيَ مِجْمَرْ
فَعرفنا بذكيّ الـ ـعَرْفِ ما قد كان مُضْمرْ
ولَعَرْفُ الكَلِمِ العـذْ ب من العَنْبرِ أعطرْ
وسألـنا صَـقْرَ أطيَا رك بالـسِّر فأخْبَرْ
وغـدا النّسرُ خطيباً إذ غدا القِرْطاسُ مِنْبرْ

١ . ديوان ابن زيدون ، ص ٦٣٥.
٢ . ينظر في ذلك هامش ص ٦٣٥، من الدّيوان.
٣ . الدّيوان ، ص ١١١.
* سيتم عرض مجموعة من الأبيات التي مدحه فيها عند دراسة موضوع المدح
٤ . الدّيوان ، ص١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعمّيات التي تبادلها الشّاعران ما جاء في ديوان ابن زيدون" إذ مدح المعتمد بن عباد بقصيدة وقد عمّى له فيها بيتا هو (١):

الحاجب الأعلى العَضَد قرّة عين المعتمد

ففكّه المعتمد وقدّم له بأبيات قال فيها (٢) :مجزوء الكامل

يا سيدي الأعلى ومَنْ عَدَدْتُهُ أقــوى العُددْ
حَلّتْ طيورُك بي وقد قرّبْتَ فيهــا ما بَعُدْ
كشفت لنا عَنْ سرِّها فوشى إلي بها الـصُّرَدْ
بيتاً يدلُّ على اعتقا دك يا جميلَ المُــعْتَقدْ
الحاجب الأعلى العَضَد قرَّة عينِ المعتضــدْ

وفي ديوان المعتمد نماذج أخرى من هذا اللون الإخواني، جاءت على غرار المقطوعات التي تمّ عرضها، لذا سنكتفي بما تقدم؛ إذ لا نجد فيها معاني محدّدة أو أساليب تكشف عن نواح اجتماعية أو فنيّة، وذلك يؤكّد رأي الدّارسين فيها من النّاحية الأدبية والفنيّة، وأنّها كما قالوا جاءت هروبا من واقع معيش فيه اضطراب وقلق عجزوا عن مواجهته والانتصار عليه.

١ . ديوان ابن زيدون ، ص ٦٢٣.
٢ . الدّيوان ، ص ١١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا:الغزل:

شغل موضوع الغزل حيّزا كبيرا من شعر الحكّام الأندلسيين، ولا غرابة في ذلك؛ فالغزل " أحد أبرز أغراض الشّعر الأندلسيّ"([1]) . ولهذا الموضوع في شعر الحكّام أهميّة كبيرة ؛ إذ يمكّننا من استجلاء شخصيّة الحاكم في حياته الخاصّة وعلاقته بالمرأة ، ذلك الجانب المطويّ عن أعين النّاس، فلا يدركه إلا الخاصّة والمقرّبون منهم، على خلاف الجوانب الأخرى من شخصيّتهم، التي لا تكاد تخفى ؛ فهم تحت أعين النّاس في مظهرهم الخارجيّ، وفي تدبير شؤون الملك، وفي ساحات القتال ، وفي علاقتهم بالنّاس من حولهم على اختلاف طبقاتهم من: حكّام، ووزراء، وعمّال، وعلماء، ورعيّة.. .

ليس من الغريب شعور الحكّام بالحبّ، أو الميل للنّساء والتّغزّل بهن في شعرهم؛ فالحبّ ظاهرة إنسانيّة يشترك فيها النّاس بغضّ النّظر عن طبقاتهم الاجتماعيّة، ومكانتهم العلميّة أو الدينيّة، فكلّ" نفس لا بدّ أن يكون لها حظّ من الهوى والمحبّة، وهي تكاد تكون ميراثا إنسانيّا عامّا، له أساسه المكين في النّفس الإنسانيّة " ([2]) . ويؤكّد ابن قتيبة هذه الحقيقة فيشير إلى أنّ الله- تعالى – جعل " الغزل وإلف النّساء في تركيب العباد([3]) . ويدلّل ابن حزم في طوق الحمامة على ذلك من واقع المجتمع الأندلسيّ ، فيورد أعلاما من الخلفاء والفقهاء ممّن سبت النّساء قلوبهم ، فيقول : " وقد أحبّ من الخلفاء المهديين والأئمة الرّاشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرّحمن بن معاوية لدعجاء، والحكم بن هشام، وعبد الرّحمن بن الحكم وشغفه بطروب أمّ عبد الله ابنه أشهر من الشّمس، ومحمّد بن عبد الرّحمن وأمره مع غزلان أمّ بنيه عثمان والقاسم والمطرّف معلوم، والحكم المستنصر وافتتانه بصبح أمّ هشام المؤيّد بالله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عن التّعرّض للولد من غيرها، ومثل هذا كثير .. وأمّا كبار رجالهم ودعائم دولتهم فأكثر من أن يحصوا " ([4]).

---

[1] .الدّجاني ، بسمة أحمد صدقي ، القصيدة العربيّة الأندلسيّة الغزليّة ، ط١ ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٩٤، ص٣٥.

[2] . العاكوب ، عيسى علي ، العاطفة والإبداع الشّعريّ ، ط١، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ٢٠٠٢، ص٧٦.

[3] . الدّينوري ، ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، (تحقيق محمّد شاكر) ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربيّة ، ١٩٥٠، ص ٢٧٢.

[4] . ابن حزم ، طوق الحمامة ، (تحقيق إحسان عبّاس) ، وزارة الثّقافة ، عمّان ، ٢٠٠٨ ، ص٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن موضوع الغزل نستطيع أن نتبيّن طبيعة علاقة الرّجل بالمرأة ودورها في حياته، ذلك لأنّ الغزل " ألصق الفنون الأدبيّة بحياة الرّجل والمرأة، وهو أشهرها وأكثرها رواجا وإمتاعا، لأنّ المرأة نصف الرّجل وتمام عيشه وحياته، ويكمّل بها ما ينقصه من بهجة وسعادة، وهي مبعث الرّضا والغضب والفرح والتّرح، وهي معينه وإلهامه، لأنّها مظهر الجمال الحسّي في دنياه "([1]) .

من الرّاجح أن تكون هذه هي الصّورة الطّبيعيّة والمألوفة لعلاقة الرّجل بالمرأة لاسيّما إن كان محبّا وعاشقا لها، ولكن هل هي كذلك عند الحكّام الشّعراء ؟ ليس سبب هذا السّؤال أنّ الحكّام يختلفون في هذا الجانب الإنساني عن بقيّة الرّجال، وإنّما لاختلاف واقع حياتهم بحكم السّلطة وما ترتّب عليها من سمات طبعت حياتهم بطابعها ، فجعلتها مختلفة عن غيرهم، فهل استطاعت امرأة بعينها أن تجد لنفسها([2])مكانا عند الحكّام في الوقت الذي كثرت فيه النّساء، والجواري منهن خاصّة ؛ إذ كان عددهنّ في الأندلس من الكثرة بمكان، وقد كان كذلك الحال في قصور الحكّام، فقد كان بعضهم – كما تبيّنا في الفصل السّابق- مستكثرا من النّساء مستوسعا في اتّخاذهن- ، فبلغت –مثلا- نساء المعتضد وولده المعتمد ما يقارب الثّمانمائة امرأة، ما بين حرّة وأمهات أولاد وجواري متعة، فهل كان غزلهم صادقا وموجّها لامرأة بعينها، أو أنّه كان لبعضهم ذوق خاص تفرّد به ؟ وهل عبّروا في غزلهم عن الأحوال التي تمرّ بالعاشقين*، أو أنّهم وجدوا بأسا في ذلك، فتحرّجوا من التّصريح عنها، فكبتوها خشية اهتزاز صورتهم، وحفاظا على هيبتهم ووقارهم؟

تستوقف الدّارسَ لغزل الحكّام الأندلسيين ظاهرةٌ لافتة للنّظر، إذ يجد مفارقة كبيرة بين شخصيّتهم في هذا المقام وبين شخصيّتهم في مقام الفخر؛ فبينما كانوا في فخرهم يتغنّون بقوتهم وشجاعتهم في الحروب التي خاضوها، وتنكيلهم بالأعداء دفاعا عن ملكهم، نجدهم في أشعار الغزل التي نظموها يتكلّمون وبلسان واحد معلنين، في سبيل رضا المرأة ونيل ودّها، تنازلهم عن ذلك الملك، وهم أنفسهم يتعجّبون من موقفهم هذا، فنجدهم يوازنون بين حالهم ملوكا وقادة أشدّاء، وحالهم مع المرأة التي على ضعفها تهزمهم وتجعلهم يقرّون لها بالملك عليهم.

[1] . الدّهّان ، سامي ، الغزل منذ نشأته حتّى نهاية الدّولة العبّاسيّة ، دار المعارف ، ص٧.
[2] .أبو صالح ، وائل ، الجواري في الأندلس ،ط١، دار القلم ، رام الله ، ١٩٨٥، ص ٣١.
* فصّل ابن حزم ذلك في طوق الحمامة ، ودلّل عليه بمواقف عاشها بنفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الخليفة المشرقي هارون الرّشيد يبادر بالتّصريح عن ضعفه واستسلامه أمام المرأة فيقول : ([1]) الكامل

مَلَك الثّلاثُ الآنساتُ عِناني وحَلَلْن من قلبي بكلّ مكانِ
ما لي تطاوعني البريّةُ كلُّها وأطيعهنَّ وهنَّ في عصياني ؟
ما ذاك إلا أنّ سلطان الهوى وبه عززن أعزّ من سلطاني

وبه يتأثّر عدد من الشّعراء الحكّام الأندلسيين فيردّدون المعنى ذاته، فيصرّحون دون حرج أو تردّد عن ضعفهم أمام المرأة، فهذا النّاصر سليمان الحكم يعارض الرّشيد ، ويتعجّب من نفسه كيف يكون في ساحات القتال ومقارعة الأهوال، وكيف يكون أمام المرأة، فيقول : ([2])الكامل

عجبا يهابُ الليثُ حدَّ سناني وأهابُ لحظَ فواترِ الأجفانِ
وأقارعُ الأهوالَ لا متهيِّباً منها سوى الإعراضِ والهِجران

وهذا يوسف الثّالث يردّد المعنى ذاته، فيتعجّب هو الآخر ممّا تعجّب منه الشّاعر في الأبيات السّابقة، فيقول : ([3])الطّويل

فيا عجباً أنّ الملوك تخافني ويجزع قلبي من ظباء المقاصرِ
ويخطب ودّي ذي البريّة كلّهم ويرغب عنّي ذو لحاظٍ فواترِ
فما ذاك إلا أنّ هذا الهوى له عقودٌ قد استهوت عقولَ الأكابرِ

ويقول في موضع آخر :([4])الطّويل

خليليّ إنّ القلب يوم مصيرنا لفي شرك الألحاظ كان وقوعه
وحقّكما ما راعت الحربُ سربه فيا عجبا للظّبي كيف يروعه

[1] .الرّشيد ، هارون ، الدّيوان ،ص٤٨.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٩.
[3] . يوسف الثّالث ، الدّيوان ، ص ٦٤.
[4] . المصدر نفسه،ص ١٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد المعنى نفسه في ثاني ملوك بني نصر محمّد بن محمّد ([1]):

مَلكتك القلبَ وإنّي * امرؤٌ عليَّ ملك الأرضِ قد وُقِّفا
أوامري في النّاس مسموعةٌ وليس منّي في الورى أشرفا

وهذا المعتضد على ما عرف به من سطوة وقسوة يقرّ هو الآخر بأنّ للحب سلطانا يضعف أمامه الملوك، فيقول : ([2])الكامل

لله درّ الحبّ ماذا يصنع يَعْنو لَه مَلِكُ الزّمان ويخْضعُ
للحبِّ سلطانٌ عظيم شأنه مهما يَقُلْ قولاً فَقلبي يسمعُ

ويعترف بضعفه أمام المرأة، وتمكّنها من صيده وهو من اعتاد اصطياد المعالي، فيقول ([3]):

وَكنتُ الدّهر أصطادُ المعالي فقد أصبحت من صَيْدِ الملاحِ

ولأنّه وقع في الهوى، صار طوع أمره وإليه سلّم القيادة، وفي ذلك قال : ([4])

يجورُ على قلبي هوىً ويجيرُ ويأمرني إنّ الحبيبَ أمير
أطوع لأمرِ الحبّ طوعَ مسلِّمٍ وإن كان من شأني إبا ونفور

ويوازن ابن رزين بين قوته في ساحات القتال وتحمّله ما في ذلك من صعوبات ومخاطر، وبين حاله أمام المرأة، فيقول: ([5])

وإن كنتُ خلّاعَ العذارِ فإنّني لبستُ من العلياءِ ما ليس يُخْلَعُ
إذا سلّت الألحاظُ سيفاً خَشِيتُهُ وفي الحربِ لا أخشى ولا أتوقّعُ

---

[1] . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، اللمحة البدريّة ، ص١٧١.
* في الأصل أتى
[2] . ديوان المعتضد ، ص ١٧٥.
[3] . المصدر نفسه، ص ١٦٤.
[4] . نفسه ، ص ١٧١
[5] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ١١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بالغ بعض الشّعراء الحكّام في إظهار ضعفهم أمام المرأة وإذعانهم لها، فلم يكتفوا بالتّنازل لها عن الملك بل وصلوا حدّا أذلّوا فيه أنفسهم بتمريغ وجوههم بالتّراب طلبا لرضاها حينا ووصالها حينا آخر ، ويظهر هذا المعنى واضحا عند الحكم الرّبضي في قوله:([1])

ظلّ من فرط حبّه مملوكاً ولقد كان قَبْلَذاكَ ملــيكا
إن بكى أو شكا الهوى زيدَ ظلماً وبعاداً يُدْني حِماما وشــيكا
تَرَكتْه جآذرُ القصرُ صــبّاً مُستهاما على الصّعيدِ تريــكا
يجعل الخدّ واضعا فوق تربٍ لّلذي يجعل الحريرَ أريــكا
هكذا يحسن التّذلّل في الحــ ـب إذا كان في الهوى مملوكا

وينقاد سعيد بن جودي للحبّ، حتّى غدا وكأنّه حبل في عنقه، ويتعجّب من حاله هذا، فيوازن بينه وبين حاله في ساحات القتال وكيف كان فيها منطلقا، فيقول: ([2]) البسيط

جريتُ جريَ جموح في الصِّبا طَلَقاً وما خرجتُ لصرفِ الدّهرِ عن طَلَقي
ولا انثنيتُ لداعي الموتِ يومَ وغىً كما انثنيتُ وحبل الحبّ في عنقــي

ويذلّ الهوى يوسف الثّالث، فيجعله يمرّغ خدّه بالتّراب، وأن يعبّر مشتكيا من معاناته التي يجدها في الحبّ، فيقول : ([3]) الكامل

حقّا ألفتُ السّهدَ فيك مع الضّنا ورضيتُ ذلّي في الهوى بسؤالك
وقنعــت بالتّمليكِ طوعا للهوى شغفــا وحبّاً أن أفــوز بمالــك
وهضمتُ حقّ المجد وهوَ ممنّعٌ ورضيتُ قتلي أن رضيتَ بذلــك
وبسطتُ خدّي أن رضيتَ بوطئه أهــنا بعيش مســعف بوصالك

ويمرّغ الشّاعر خدّه بالتّراب في موضع آخر من القصيدة نفسها، مؤكّدا ذله في الهوى، فيقول:

مرّغتُ خدّي رغبةً لك في الثّرى ونشبتُ كفّي في فضول ردائك

---

[1] .المصدر نفسه ، ج١، ص ٤٩.
[2] .المصدر نفسه ، ج١، ص ١٥٨.
[3] .ديوان يوسف الثّالث ، ص ٨٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويزيد يوسف الثّالث على تمريغ خدّه بالتّراب أن يجعل نفسه عبدا للجمال، فيقول: ([1]) الخفيف

إن رغبتم فرغبتي في رضاكم أو حكمتم فأمركم لامتثـال
أنا عبد الجمال نعتا ووصفا ووجودي بعين ذاك الخلال

ويقرن يوسف الثّالث بين ملكه للدّهر، وجعل نفسه رقّا للمحبوب، فيقول: ([2])

يا جنّتي ثمّ نـاري ويا رجائي المفدّى
إن كنت أملك دهري فلم أزل لك عبداً

لقد كشفت المقطوعات السّابقة عن المكانة الكبيرة التي وصلت إليها المرأة عند الحكّام الشّعراء، فجعلتهم يتنازلون عن أعزّ ما لديهم (السّلطة)، ويتذلّلون أمامها حدّ العبوديّة، طلبا في رضاها وأملا في وصالها. ومن غير الممكن أن يكون ذلك ضعفا منهم، بل لا بدّ من وجود سبب دفعهم إلى ذلك، ولا يُظنّ العشق حقّا، ذلك أنّنا لم نتعرّف في الأشعار التي حملت ذلك المعنى على امرأة بعينها، بل وجدنا بعضهم قد تغزّل بمجموعة من النّساء في آن واحد، إذا فما الذي دفعهم لذلك، وهم بعيد المنال لديهم قريب

من الطّبيعيّ أن تحيط سلطة الحكم من ينضوي تحتها بهالة من الهيبة والوقار تخيف من يقترب منهم أو يتعامل معهم؛ خشية أن يصدر عنه ما يسيء لتلك السّلطة أو يغضب أهلها، لذا يكون التّعامل معهم (الحكّام)بحذر وتحفّظ شديدين، يجلله التّوقير والاحترام .ومن هنا، ربّما يكون الحكّام الشّعراء قد شعروا بذلك جيّدا، فأرادوا أن يكسروا ذلك الحاجز أمام المرأة، فيُظهرون ضعفهم أمامها، فتكتسب الثّقة بنفسها، وتتعامل معهم بحريّة دون خوف أو تهيّب من مكانتهم، فتلبّي رغباتهم وحاجاتهم الإنسانيّة التي ما كان إليها سبيل لو أنّ المرأة ظلّت تخشاهم وتتعامل معهم بتهيّب وتحفّظ .

[1] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ٩٧/ ٩٨.
[2] ، المصدر نفسه ، ص ٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد توحي الأشعار المتقدّمة – كما تبيّنا سابقا – أنّ الحكّام الشّعراء لم يتغزّلوا بامرأة واحدة، ولكن في أشعار بعضهم نجد أن امرأة من بين النّساء الكثيرات من حولهم قد استطاعت أن تستأثر بقلوبهم وتحتلّ فيها مكانة كبيرة ،لا تنازعها فيها امرأة أخرى ، فتكون حاضرة معهم أينما ذهبوا أو غابوا عنها، فتعنّ على بالهم ويذكرونها حتى في أصعب الأحوال، وقت الحرب وفي ميادين القتال، فنجدهم يحنّون إليها ويعبّرون عن شوقهم لها، فهذا عبد الرّحمن الأوسط اشتهر بعشقه لطروب، وعبّر عنه فعلا، فبذل لها من العطايا ما جعل خاصّته يعترضون عليها*، كما عبّر عنه قولا، إذ تذكّرها وحنّ إليها وقد كان غازيا لجليقية، فقال : ([1]) المتقارب

فقدتُ الهوى مذ فقدتُ الحبيبا فما أقطعُ الليلَ إلا نحيبا
وإمّا بدت لي شمسُ النّها ر طالعةً ذكّرتْني (طروبا)
فيا طولَ شوقي إلى وجهها ويا كبداً أورَثــتها ندوبا
ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي وأوفرَهم في فؤادي نصيبا

لقد كشف الشّاعر في الأبيات السّابقة عن حبّه وتعلّقه بطروب، فهو لم يزل يتذكّرها وهو بعيد عنها، لا في رحلة صيد أو زيارة لجهة ما، وإنّما في أحلك الأوقات وأصعبها، حيث الحرب والقتال . وفي مثل هذا المقام الصّعب لا يتذكّر الإنسان إلا أحبّ الأشياء إليه وألصقها بنفسه، ولا يحنّ إلا لأحبّ النّاس له، علّه يجد في ذلك ما يؤنسه ويخفّف عنه، ولو لم تكن طروب الأحبّ إلى نفس الشّاعر لما خطرت له ببال، ولما التمس لنفسه العذر منها على طول غيابه عنها، ولما كان قد برّر لها ذلك بقوله : ([2])

عداني عنكِ مزار العِدا وَقَوْدي إليهم لُهاما لهيبا

* وردت الإشارة إلى ذلك في الفصل السّابق .
[1] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج١، ص ١١٤/ ١١٥.
[2] . المصدر نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشتاق المعتمد بن عبّاد لمحظيّته اعتماد ويحنّ إليها في غيابه عنها، فيعبّر عن شوقه إليها وحضورها الدّائم معه، ويشتكي من المرارة التي يجدها في البعد عنها، فيقول : ([1]) الطّويل

كَتَبتُ وعندي منْ فراقك ما عندي وفي كبدي ، ما فيه منْ لَوْعةِ الوَجْدِ
وما خطّت الأقلامُ إلا وأدْمعي تخطّ كتابَ الشّوقِ في صفحةِ الخدّ
ولولا طلابُ المجدِ زرتك طيّه عميدا ، كما زار النّدى ورق الوَرْدِ
أغائبةً عنّي وحاضرةً معي لئنْ غبت عنْ عَيْني فإنّك في كبدي

و يبدو صدق أبي المطرّف المستظهر بالله في حبّه لابنة عمّه؛ إذ وقف في وجه أمّها مدافعا عن ذلك الحبّ، وتوجّه إليها باللوم لأنها سوّفته حينما تقدّم للزّواج من ابنتها ، فقال : ([2]) الطويل

وجالبةٍ عذراً لتصرِفَ رغبتي وتأبى المعالي أنْ تجيزَ لـــها عذرا
يكلّفها الأهلون ردّي جهالــةً وهلْ حَسَنٌ بالشّمس أن تمنع البدرا ؟
وماذا على أمّ الحبيبة إذ رأتْ جلالة قدري أنْ أكون لها صـــــهرا ؟

ويصرّح الشّاعر عمّا يكنّه لابنة عمّه من حبّ كبير، يجعله يذعن ويتذلّل لها، ويقدّم مهجته مهرا إليها، فيقول:

جعلتُ لها شرطاً عليّ تعبُّدي وسُقتُ إليها في الهوى مهجتي مهرا

ويصوّر حبّه الكبير لها والرّاحة التي يجدها لمجرد اتّصاله أو اقترابه ممّا له علاقة بها، فيقول:

وإنّي لأستشفي لما بي بداركم هدوءا وأستسقي لساكنها القطرا
وألصق أحشائي ببرد تُرابها لأطفئ من نار الأسى بكمُ جمرا

[1] . ديوان المعتمد ، ص ٤١.
[2] .ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور تعلّق الحكّام بالمرأة، ما يظهر من وصفهم لما يجدونه من ألم الوجد وشدّة الشوق إلى وصالها، ومن ذلك قول عبد الرّحمن بن الحكم: ([1])

قتلتني بهواكا وما أحبُّ سواكا

ويقول ملتمسا رضاها :

اعطف عليّ قليلا وأحيني برضاكا
فقد قنعتُ وحسبي بأنْ أرى من رآكا

ويعبّر الأمير عبد الله بن محمّد عن شدّة شوقه، ويتساءل عن سبب خضوعه للمحبوب فيقول: ([2]) سريع

يا كبدَ المشتاق ما أوجَعكْ ويا أسير الحبِّ ما أخضعكْ

ويصوّر المعتضد بن عبّاد حاله التي أوصله العشقُ إليها، فهو مضنى الجسم، عليل الفؤاد فيقول: ([3]) خفيف

أنا في الحبّ مغرمٌ مستقيلُ كلّ نيلٍ أنالُهُ لي قليلُ
لي جثمانُ منْ يظنّ صحيحا وفؤادي من الغرامِ عليلُ

ويقول أيضا في وصف معاناته ومكابدته التي يجدها من العشق :

ينــادون قلبــي والغرام يُجــيبُ وللقلبِ في حين النّداء وَجيبُ
مشوقٌ دعاه الشّوقُ والوجد والهوى يجيب نداء الحُبِّ وهو نجيبُ
يقاسي فؤادي الوجدَ والحبُّ واصلي* فكيف تراه إن جفاه حبيبُ

---

[1] .ابن الأبّار ،الحلّة السّيراء ، ج١، ص١١٨ .
[2] . المصدر نفسه ، ص١٢١.
[3] . ديوان المعتضد ، ص ١٨٠.
* وردت في الدّيوان (والهوى) ، وربما تكون (واصلي) هي الأنسب ، لذا أوردتها عن سعيد شلبي في كتابه البيئة الأندلسية وأثرها في الشّعر ، ص ٤٠٦، نقلا عن ديوان ابن زيدون _مخطوط_ ص ١٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف المعتمد المعاناة التي يجدها من شدّة العشق، فيبيّن انعكاس أثرها في ملامحه الخارجيّة فقد صار غير قادر على إخفاء وجده وما ألمّ به من ألم، فدمعه جار وجسمه بال، وفي ذلك يقول([1]) : سريع

القلبُ لجَّ فما يُقْصرُ والوَجْدُ قدْ جلَّ فما يُسْترُ
والدّمع جارٍ قطرهُ وابلٌ والجسمُ بالٍ ثوبه أصفرُ
هذا ومنْ أعْشَقُه واصلٌ كيف بهِ لَوْ أنّه يَهْجـرُ

يبدو تعبير الشّاعر عن معاناته من شدة العشق والتّعلّق بالمحبوب قريبا إلى حدّ كبير من تعبير والده في الأبيات السّابقة؛ فكلاهما اشتكى من شدّة الوجد والشوق، وهما في تواصل مع المحبوب، وكلاهما تساءلا عن حاليهما كيف تكون إذا ما ابتعد المحبوب عنهما .

وتثور لواعج قلب يزيد بن المعتمد لمجرّد مرور المحبوب مصادفة من أمامه، فيعبّر عمّا وجده من مرارة الوجد والشّوق له فيقول : ([2]) البسيط

مَرُّوا بنا أُصُلاً من غير ميعادِ فأوقدوا نارَ شوقي أيّ إيقـادِ
وأذكَرونيَ أيّاماً لـهوتُ بهمْ فيها، ففازوا بإيثاري وإحمادي
لاغرو أن زاد في وجْدي مرورهم فرؤيةُ الماء تُذْكي غلّةَ الصّادي

ويصف يوسف الثّالث شدّة تعلّقه بالمحبوب، وما يجده من حبّه له من ألم ودموع، فيقول : ([3])

ألقى الغرامُ على قلبي تباريحا وصيّر الدّمعَ فوق الخـــدّ مسفوحا
فـأيُّ صبرٍ لقلب بعدمـا مَلَكتْ منّي صفات حلاه القلـبَ والرّوحا
فالجسم أمسى مُذابا من لظى حُرَقٍ والقلب أضحى بسيف البين مجروحا

[1] . ديوان المعتمد ، ص٣٧.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة السّيراء ، ج٢، ص ٧١.
[3] . ديوان يوسف الثّالث ، ص٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصوّر يوسف الثّالث مقاساته من شدّة الوجد والشّوق، وكيف يحاول أن يتغلّب على ذلك فيقول: ([1])

هل عند من هجرت شوقي وتسهيدي ممّا جناه الهوى من أعين الغيدِ
أبيتُ ليليَ مطويّاً على حُرَق ولم تعودي ولم تسعف بموعـود
أغالبُ الوجد فيها وهو يغلبني و أردُدُ الدّمع لو يثنيه ترديـــدي

ويحاول عبد الله بن عبد الرّحمن النّاصر أن يخفي معاناته عن الأعين، ولكنّ لسان حاله من سقم وبكاء يتكلّم رغما عنه، وفي ذلك يقول : ([2])

أمَّا فؤادي فكـاتـمٌ أَلَمَـه لو لم يَبُحْ ناظري بما كَتَمَهْ
ما أوضحَ السُّقمَ في ملاحظِ من يهوى وإن كان كاتماً سَقَمَهْ

ويصوّر عبد الله بن عبد العزيز بن الحكم الرّبضي معاناته التي وجدها من شدّة الحبّ ، ومحاولته إخفاءها، ولكن دموعه تبوح بها ، فيقول :

يا ظالماً ظنَّ قتلي في الهوى حسناً كن كيف شئتَ فظنّي فيكَ قد حَسُنا
طويتُ حبّكَ حتّى ظلّ ينشرُه دمعٌ جرى فغدا سرّي به عَلَـا
أفديكَ من ساكنٍ في القلبِ مسكنهُ وغائبٍ لمْ تزل نفسي له وطـنا
يـا قرّة العينِ قد عذّبتها سهراً ومنيةَ النّفسِ قد قطّعتها شَجنـا

وقد اشتكى بعضهم من المعاناة والألم اللذين تسبّب بهما الفراق والبعد عن المحبوب، فهاهوذا الحكم بن عبد الرّحمن المستنصر يشتكي مرارة اللحظة التي ودّعته فيها محظيّته أم هشام (صبح البشكنسية)لمّا خرج لغزوته الفذّة المعروفة بشَنت اشتبين، إذ أكثرت من التّعلّق به والوله لفراقه، فهاجت مشاعره وتحرّكت لواعجه حزنا على فراقها، فتعجّب من قدرته على وداعها، وكيف أنّه لم يمت كمدا عليها.

[1] . المصدر نفسه ، ص ٣٧.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيصف لنا تلك اللحظات بقوله: ([1]) الطّويل

عجبتُ ، وقد ودّعتها كيف لم أمُتْ وكيفَ انثَنتْ عند الفراقِ يدي معي
فيا مقلتي العَبَرى عليها اسكُبي دماً ويــا كبدي الحَرّى عليها تقطّعي

ويقاسي عبد الله بن عبد العزيز الرّبضي ما قاساه الحكم في الأبيات السّابقة من لوعة فراق الأحبّة ، وما خلّفه في نفسه من حزن يثور كلّما ذكر ذلك الموقف ، حتّى إنّه يلوم نفسه كيف لم يمت بعد فراقهم ، فيقول : ([2]) الكامل

سقيا لهم من ظاعنين حسبتهم وَسْطَ الهوادج لؤلؤاً مكنـونا
لو كنت أنصفهم عشيّة ودّعوا ما عشتُ بعد نوى الأحبّة حينا
أغصانُ بانٍ فوق كثبان النّقا فــإذا لَحَظْنَاكَ خِلْتَهُنّ العِينا
أجرى الزّمان ببينهنّ مدامعا ما كنّ من قبل الهوى يجرينــا

ويصوّر ابن رزين المعاناة التي وجدها ليلة وداع أحبّته، وعدم قدرته على احتمال فراقهم، فيقول: ([3]) الطّويل

دع الدّمعَ يُفْن الجفنَ ليلةَ ودّعوا إذا انقلبوا بالقلب ِلا كان مدمَـعُ
سَروْا كاغتداء الطّيرِ لا الصّبرُ بعدَهمُ جميلٌ ولا طولُ النّدامة ينـفعُ
أضيقُ بحملِ الفادحات من النّوى وصدري من الأرضِ البسيطةِ أوسعُ

ويصف المعتمد بن عبّاد محاولته التّجلّد والتّصبّر ساعة رحيل أحبّته ، ولكنّ دمعه فضحه وكشف ما به من ألم الفراق، فيقول : ([4]) الكامل

دارَى الغَرامَ وَرَامَ أنْ يَتَكتَّما وأبَى لسَانُ دُمُوعه فتكلّما
رحَلوا وأخْفى وَجْدهُ فأذاعه ماءُ الشُّجونِ مُصَرّحا وَمُجَمْجما

[1] . المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .
[2] . المصدر نفسه ، ص ٢١٨.
[3] . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٢/ ١١٣.
[4] . ديوان المعتمد ، ص ٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتذكّر المعتمد في إحدى غزواته اللحظات التي ودّع فيها محبوبته، فيحدّث عنها ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن يسع، فقال: خرجت من إشبيلية وفي النّفس غرام طويته بين ضلوعي، وكففت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشّمس أو كالشّمس أخالها، ولا يحول قلبها ولا خلخالها، وقد قلت يوم وداعها عند تفطّر كبدي وانصداعها: ([1]) الطّويل

ولمّـا التقينا للـوَداع غُديّةً وقَدْ خَفَقتْ في ساحة القصْرِ راياتُ
وَقُرِّبت الجُردُ العِتاقُ وَصُفِّقتْ طُبُولٌ ولاحَتْ لِلفِراقِ عَلامـاتُ
بكينا دماً حتّى كأنّ عُيُوننا لجرْي الدّموع الحُمر منها جِراحاتُ

ويصوّر إسماعيل ابن الأحمر يوم فراق أحبّته، وما اعتراه من ألم ووجد، فيقول: ([2])الرّمل

يومَ بانَ الظّاعنونا لا تسلْ ماذا لقيـــنا
أيُّ شوقٍ أيّ وجدٍ فَضَح السّرّ المصـــونا
وأشدّ من تشكّى من بهم جُنّ جنونـــا*

ويصف يوسف الثّالث المرارة التي لقيها لتذكّر أحبّته وفراقهم، فيقول: ([3]) الطّويل

أمالك قلبي ضاق في الحبّ مذهبي وخُيّب قصدي في هواكَ ومذهـبي
دهتني صروف الدّهر فيكَ بفرقة فلّ بها سنى وكدرَ مشربـــي *
وأنحلَ جسمي طولُ هجرك والنّوى فلم يبق منّي غير قلبٍ مـعذّب
كئيب أمنّي النّفس بالقرب في الهوى ومن لي بوصل منك أو بتـقرّب

ويشتكي المعتضد من طول الأيّام التي تمرّ عليه إذا لم يلق محبوبته، فيقول: ([4]) الطّويل

يطولُ عَليَّ الدّهرُ إن لمْ أُلاقِها ويقْصُرُ إن لاقيْتُها أطولُ الدَّهرِ

---

[1] . نفسه ، ص ٤٤.
[2] . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص٨٥.
* البيت مكسور في الأصل
[3] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٧٨.
* البيت مكسور في الأصل
[4] . ديوان المعتضد ، ١٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واشتكى بعض الشّعراء من عدم تمكّنهم من رؤية طيف الأحبّة، ومن ذلك قول يوسف الثّالث: ([1]) الطّويل

لقد بَخلتْ حتّى بطيفِ خيالها فلا وَصْل لي إلا التّوهم والفكرُ

وحينما فقد الشّاعر الأمل في رؤية طيفها بات ليله ساهدا باكيا من تذكّره لها، فقال :([2]) الطّويل

بقلبيَ من ذكر الحبيب ندوب تبيد الليالي والنّزوع يثوبُ
فإن عزّ طيفٌ فالسّهادُ يعوقني ودمعٌ بتذكار الحبيب سَكيبُ

ويُحرم عبد الرّحمن بن هشام أبو المطرّف من رؤية طيف محبوبته في المنام، فيعاتبها على ذلك قائلا: ([3]) الطّويل

بنفسي حبيبٌ لم يَجُد لمُحبّه بطيفِ خيالٍ زائرٍ في منامه
ألم تعلمي يا عذبةَ الاسمِ أنّني فتىً فيك مخلوع عذارُ لجامه؟

ويخبرها بأن سعادته في رؤية طرفه لها ، فيقول :

وما شكّ طرفي أن طرفك مُسعدي ومنقذُ قلبي من خبالِ غرامه

ويصوّر إسماعيل بن الأحمر معاناته عند تذكّر الحبيب في غيابه، ويتمنّى أن يرى طيفه في المنام، فيقول:

هـاجت لبعدك لوعةٌ وغليلُ والقلبُ بعْدكَ والهٌ مخْبــولُ
يـا نازحـاً نزحَ الكرى لِفراقه رفقاً فعقْد تصبّري محـلولُ
وابعث ولوْ بالطّيف في سنة الكرى ليزورني في النّوم عنك رسول
فاسأل نجومَ الليلِ تخبرُ قصّتي فالنّجم عن سهري بكَ المسؤولُ

[1] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ٦٣.
[2] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٢.
[3] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولشدّة المعاناة التي وجدها بعض الشّعراء من الحبّ والشّوق للمحبوب والحزن لفراقه، تعرّضوا للوم، فنجدهم يشتكون من ذلك. ومن ذلك قول عبد الرّحمن النّاصر : ([1]) المنسرح

ظَلَلْتُ أبكي وظلّ يعذُلُني مَنْ لم يقاسِ الهوى ولا عَلِمَهْ
إليك عن عاشقٍ بكى أسفاً حبيبَه في الــهوى وإن ظَلَمهْ

ويتعرّض المعتضد للّوم على حبّه، فيردّ على من يلومه قائلا : ([2]) الطّويل

أُلامُ ومَا لومي على الحُبِّ واجِبُ وَقَدْ صَادني طَرْف كحيلٌ وحاجبُ

ويتعرّض محمّد ابن الأمير المنذر بن محمّد للّوم، ولكنه يبدي إعراضه عن ذلك اللّوم ،ويبدي عدم اكتراثه، ويعلن انقياده للمحبوب، فيقول: ([3]) الطّويل

بنفسي وأهلي مَن بَذلْتُ له ودّي وملّكتهُ رِقّي على القُربِ والبعْــدِ
وأبغضتُ فيه كلَّ خِدنٍ مناصحٍ وأبْديتُ للعذّالِ في عشْــقهِ صَــدّي
ولم أنْصَرفْ فيه إلى قولِ كاشحٍ وأصْررتُ في حبّيه إصرارَ ذي الحقدِ

ويشتكي يوسف الثّالث من الوشاة ولومهم له، ويردّ عليهم معلّلا أسباب هواه قائلا: ([4]) البسيط

فالقلبُ لا زالَ مُستهاما يبغي سبيلا إلى الوصـولِ
ما لي يطيلُ الوشاةُ لومي ولستُ أصغي إلى عـذولِ
أن لم أُبح للغرام قلبي فلستُ من ناصري الرّسولِ
وما سباني كحسّ خودٍ ألقت بقلبي لظى الغلــيلِ
فالشّمسُ منها بدت لديها تَخْجل من خدّها الأسيــلِ

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٢٠٦ .
[2] . ديوان المعتضد ، ص ١٦١.
[3] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ٢١٢.
[4] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد صوّر الشّعراء الحكّام في الأشعار السّابقة مشاعرهم الخاصّة تجاه المرأة، فعبّروا عن حاجتهم إليها، فتذلّلوا بين يديها طالبين رضاها ووصالها، ووصفوا حبّهم لها وتعلّقهم بها، كما عبّروا عن ألمهم في حال البعد عنها. ولم يقف الشّعراء الحكّام في غزلهم عند هذا الجانب المعنويّ المتّصل بمشاعرهم الذّاتيّة تجاه المرأة، بل ظهر في غزلهم أيضا جانب حسّي .ويندرج تحت هذا الجانب " نوعان من الغزل، الحسّي الفاحش، وغير الفاحش " (١)، وكان النّوع الثّاني (غير الفاحش) هو الغالب في شعر الحكّام . وفي هذا اللون من الغزل يكثر الشّعراء" من التغزّل بالنّساء ووصفهنّ أو وصف مفاتنهنّ وتشبيهها بأشياء ماديّة ومعنويّة "(٢).

أكثرَ الشّعراء الحكّام في غزلهم الحسّيّ من التغزّل بالعيون والألحاظ والقدود، وشبّهوا المرأة بالشّمس والقمر والغزال والظّبية، وكلّ هذه الأوصاف مألوفة في الغزل العربي على اختلاف عصوره، غير أنّ الشّعراء الحكّام كما هو حال شعراء الأندلس عامّة (٣) وظّفوا الطّبيعة في أوصافهم توظيفا لافتا، فاستمدوا منها أوصافهم التي تغزّلوا بها، وقد أشار المقّري إلى اتّكاء الشّعراء الأندلسيين على الطّبيعة في غزلهم فقال: " إنّهم كانوا إذا تغزّلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النّرجس عيونا ومن الآس أصداغا ومن السّفرجل نهودا ومن قصب السّكر قدودا ومن قلوب اللوز وسرر التّفاح مباسم ومن ابنة العنب رضابا " (٤) .

كانت العيون بلحاظها من أكثر المحاسن التي تغزّل بها الحكّام في شعرهم، فوصفوا جمالها وأثرها، ولا غرو في ذلك، فللعيون على جمالها وظيفة تؤديها، ففي الحبّ " قوّة سحريّة تمارسها الجفون الفاتكات خلال النّظر وعن الفكر يصدر سحر النّهى الذي يمرّ عبر العيون " (٥)، وقد أدرك ابن حزم أهميّة العيون ودورها الذي تؤديه في الحبّ فأورد لها في الطّوق بابا قصره على الحديث عنها ، سمّاه " الإشارة بالعين " ، وعرض فيه للحديث عن أهمّية الإشارة بلحظ العين فهو " يبلغ المبلغ العجب، ويقطع به ويتواصل، ويُوْعد ويهدّد، ويُقْبَضُ ويُبْسَط، ويُؤْمرُ ويُنْهى ، وتُضْرَب الوعود، وينبّه الرّقيب، ويُضْحَك ويُحْزن، ويُسْأل ويجاب، ويُمْنع ويُعطى "(٦)، ويشير ابن حزم إلى وظيفة أخرى للعين لها أهميتها الكبرى فيقول: " واعلم أنّ العين تنوب عن الرّسل ويُدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النّفس والعين أبلغها وأصحّها دلالة وأوعاها عملا وهي رائد النّفس الصّادق ودليلها الهادئ "

---

١ . بكّار ، يوسف حسين ، اتّجاهات الغزل في القرن الثّاني ، ط١، دار الأندلس ، ١٩٨١، ص ٤٥.
٢. المرجع نفسه .
٣ . السّعيد ، محمّد مجيد ، الشّعر في ظلّ بني عبّاد ، ط١، مطبعة النّجف الأشرف ، ١٩٧٢ ، ص١٥٨/ ١٥٩ ، وينظر بسمة الدّجاني ، القصيدة الغزلية الأندلسيّة ، ص ٨٠ / ٨١.
٤ . المقّريّ ، نفح الطّيب ، (تحقيق محمّد محيي الدّين) ج١ ، ص ٣٢٣.
٥ . هنري ، بيرس ، الشّعر الأندلسيّ في عصر ملوك الطّوائف ، (ترجمة الطّاهر أحمد مكّي)، ط ١، دار المعارف ، ١٩٨٨ ، ص ٣٥٩.
٦ . ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ١٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أكد الشّعراء أهميّة العين في أشعارهم التي تغزّلوا فيها بالعيون، فوصفوا جمالها ودورها الذي تؤدّيه في الحبّ، فكانت لحاظها سهاما وسيوفا تصيب قلوبهم وتوقعها في أسرها، وقد وجدنا ذلك عند المعتضد في قوله الذي ردّ فيه على الوشاة وبرّر فيه أسباب حبّه وانقياده لأمر المحبوب، فذكر من جملة ما ذكر العيون ، فقال : ([1]) الطّويل

أُلامُ وما لَومي على الحُبّ واجبُ وقدْ صادني طَرْف كحيلٌ وحَاجبُ

وكانت العيون عند ابن رزين سيفا إذا سلّ خُشي وخيف منه، وفي ذلك يقول: ([2]) الطّويل

إذا سلّت الألحاظُ سيفاً خَشيتهُ وفي الحربِ لا أخشى ولا أتوقّعُ

وهي التي أمرضته وجعلته يزهد حتّى في الزّهد: ([3]) الخفيف

برحَ السّقم بي فليس صحيحاً مَن رأت عيْنه عيوناً مراضَا
إنّ للأعينِ المِراضِ سهاماً صيّرتْ أنْفُسَ الورى أغراضا

والعيون هي التي قادت المعتضد إلى الرّدى، حتى اشتكى منها بقوله : ([4]) السّريع

يا قاتلَ الصّبِّ ولا وَاقِ لا ترْضَ بالله بإنفاقي
عيناكَ قدْ قادَتْ إليَّ الرّدَى فالقَلْبُ يَحْتَاجُ إلى راقِ

وكانت اللحاظ حربا لمهجة المعتمد، حتى أراد مسالمتها فقال: ([5]) الطّويل

لَكَ الله كم أودعتَ قلبي من أسَى وَكمْ لكَ ما بينَ الجوانحِ من كَلْمِ
لحَاظك طُول الدّهر حَربٌ لمُهْجتي ألا رَحْمةٌ تُثْنيك يَوْما إلى سلْمي

---

[1] . ديوان المعتضد ، ص ١٦١.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١١٣.
[3] . المصدر نفسه
[4] . ديوان المعتضد ، ص ١٧٨ .
[5] .ديوان المعتمد ، ص ١٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفعل الطّرف في يوسف الثّالث أمضى من السّيف: ([1]) الطّويل

وَطرْفك أعدى للقلوب حقيقة وأمضى من السّيفِ الصّقيل المهنّدِ

واللحظ عنده فاتك أيضا : ([2])

ألا ربّ ليلٍ لو أرقتُ لعادني جميلُ المحيّا فاتك اللحظِ خاذله

وهي عنده سهم صعب نزوعه : ([3]) الطّويل

أأنزع عن تلكَ اللحاظ التي رمتْ فأسلو وسهم اللحظِ صعبٌ نزوعه

وكان للعيون عمل السّحر فيهم، فجذبتهم وأوقعتهم في الهوى، وهذا عندهم مطلوب مُتَمنى، وفي ذلك يقول عبد الرّحمن بن الحكم : ([4])

قَتلْتـني بهــواكَا ومــا أحبُّ سواكا
مَنْ لي بسحرِ جفونٍ تـديــره عيناكا

وفي ذلك يقول يوسف الثّالث: ([5]) الخفيف

تلكمُ الأوجهُ الحسانُ أراحت يومَ أمسيتُ في ضنا وشجون
لهفَ قلبي منهم بساحرِ لحظٍ أن تقاضيته لـوى بديـونِ
أقْصَدتني سهامُه إذْ رماني فدهتني هواجس من ظنـونِ

[1] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ٤٨ .
[2] . نفسه ، ص ٩٢ .
[3] . نفسه ، ص ١٤١ .
[4] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١١٨.
[5] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٢٦/ ١٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول أيضا: ([1]) الطّويل

فمنْ لحظه السّحّار أصبحتُ عائذا أؤمّلُ عُقبى جَوْره بجواره

وفي هذا المعنى يقول المعتمد: ([2]) المتقارب

حَسدتُ كِتابي عَلى فَوْزه بإبصـــاره الغُرّةَ الزّاهرهْ
فيا ليتَ شَخْصي يَكونُ الكتا ب فَتَلْحَظُهُ المُقلَّةُ السّاحـرهْ

وتنوب اللحاظ عند الأمير عبد الله بن محمّد مناب الرّسول الذي ينجز مهمته بنجاح، وفي ذلك يقول: ([3]) السّريع

ويا رسولَ العينِ من لحْظِها بالرّدِّ والتّبليغِ ما أسرَعَـكْ
تذهبُ بالسِّر وتأتي بـه في مجلسٍ يَخْفى على منْ مَعَكْ
كمْ حاجةٍ أنجزتَ موعودها تباركَ الرّحمنُ مـا أطوَعَكْ

ويجد سعيد بن جودي في مراسلة الأحباب بالحدق وجها من وجوه المتعة التي يستلذّ بها، فيقول: ([4]) البسيط

لا شيءَ أملحُ منْ ساقٍ على عنقٍ ومن مناقلةٍ كأساً على طبقِ
ومن مواصـلةٍ من بـعْدِ مَعْتبةٍ ومنْ مراسلةِ الأحبابِ بالحَدَقِ

ومن المحاسن الأخرى التي تغزّل بها الشّعراء الحكّام – كما سبق ذكره - الخدود والقدود، وجمال الوجه وإشراقته التي شابهت الشّمس حينا والقمر حينا آخر، كما تغزّلوا بقوام المرأة وتثنّيه، فشبّهوه بتمايل الأغصان، وتغزّلوا أيضا بكلامها وجمال صوتها، فشبّهوه بالدّرّ المنثور فمن تغزّلهم بالخدود وقد أعجبتهم حمراء على وجه أبيض قول عبد الرّحمن بن الحكم يشبهها بالورد فوق الياسمين : ([5]) الطّويل

ترى الوردَ فوقَ الياسمين بِخدّها كما فوّف الرّوضُ المنوّرُ بالزّهرِ

---

[1] . نفسه ، ص٨٣ .
[2] . ديوان المعتمد ، ص ٢٨.
[3] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١٢١.
[4] . نفسه ، ص ١٥٨.
[5] . نفسه ، ص١١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتغزّل عبد الرّحمن بن محمّد بالمحبوب واصفا إيّاه بالشّادن (ولد الظّبي) الذي اجتمعت فيه مجموعة من المحاسن جعلت هواه وقفا عليه وحده، فيقول : (١) مجزوء البسيط

وَيْحي على شادنٍ كحيلٍ في مثْلِهِ يُخْلَعُ العِذارُ
كـأنّما وجنـتاهُ وردٌ خالطَه النَّوْرُ والبَهارُ
قضيبُ بانٍ إذا تثنّى يُديرُ طرْفاً بهِ احْورارُ
وقْفٌ عليه صفاءُ وُدّي ما اختلف الليلُ والنّهارُ

ويتغزّل المعتضد بجمال وجه المحبوبة وبصدغها ، ويشبّه وجهها بالبدر في إشراقه، وقدّها وجماله بالغصن في تمايله، فيقول : (٢) الطّويل

لَها غُرّةٌ كَالبَدرِ عنْدَ تمـامهِ وَصدْغا عَبيرٍ نمّقا صفْحَةَ البدرِ
وَقَدٌّ كَمِثْلِ الغُصْنِ مَالتْ به الصّبا يَكَادُ لِفَرْطِ اللّينِ يَنْقَدُّ في الخصرِ

ويتغزّل المعتمد بمحبوبته، فيصف حسنها بالكوكب والقمر والغصن والرّشا، فيقول: (٣) الرّجز

يا صَفْوتي من البشَرْ يا كَوْكباً ! بَلْ يا قَمَرْ!
يا غُصُنا إذا مشَى ! يا رشـأ إذا نَـظَرْ!
يا نفَسَ الرّوْضةِ قدْ هَبّتْ لَها ريـحُ سَحَرْ
يا ربّةَ اللّحْظَ الذي شدّ وثاقاً إذْ فَـتَـرْ

ويتغزّل يوسف الثّالث بمحاسن المحبوبة واصفا منها: الخدّ والقدّ والجيد والوجه مسوّغا تعلّقه بها وانقياده لها، فيقول: (٤) الكامل

فالخدُّ منك خميلةٌ ممطورةٌ والقدُّ غصنٌ مُثْمرٌ بدلالـكِ
والجيدُ جيدُ غزالةٍ مرتاعةٍ والوجهُ صبحٌ تحتَ ليلٍ حالكِ
اقتيدَ حسنك للقلوبِ فكلّها إمّا أسيرٌ أو مُعنّى هالـكِ

---

١ . نفسه ، ص١٢١.
٢ . ديوان المعتضد ،ص ١٧٣.
٣ . ديوان المعتمد ، ص ٢٠.
٤ . ديوان يوسف الثّالث ، ص٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتغزّل عبد الرّحمن بن هشام بمحاسن ابنة عمّه التي اختارها زوجة له، فيقول: ([1]) الطّويل

تبسّم عنْ درٍّ تنضّدَ في الوَرْسِ وأسْفَرَ عنْ وجهٍ ينوب عن الشّمسِ
غزالٌ براهُ اللهُ من نورِ عرْشِه لتقطيعِ أنْفاسي وليسَ من الإنسِ
وهبتُ له روحي وَمُلْكي ومهجتي ونفْسي ولا شيءَ أعزّ من النّفسِ

وكان صوت المحبوب وكلامه من المحاسن التي قادت الغرام إلى نفوسهم، فتغزّلوا بها، فهاهوذا سعيد بن جودي هام بامرأة لسماعه صوتها دون أن يراها، ومن فرط تعلّقه بها اشترى جارية سمّاها باسمها " جيجان" فلم يسله ذلك عنها، فقال يصف هيامه الذي قاده إليه سماع صوتها : ([2]) البسيط

سَمْعي أبى أنْ يكون الرّوحُ في بَدَني فاعتاضَ قلبي منهُ لوعةَ الحزنِ
أعطيتُ جيجانَ روحي عن تذكّرها هذا ولم أرَها يوماً ولم تَرَنــي

ومن تغزّلهم بكلام المحبوب قول المعتضد بن عبّاد : ([3]) الطّويل

وَمَشْي كَما جَاءتْ تَهَادى غَمَامةٌ وَلَفْظٌ كَمَا انْحَلّ النّظامُ عن الدّرِّ

ويتغزّل به أيضا في سياق وصفه لمحاسن المحبوبة المتعدّدة، فيقول: ([4]) مجزوء البسيط

يا غُرّةً تَسْخَرُ بالبدرِ وَمُقْلةً تَنْفثُ بالسّحْرِ
وَمبْسماً نُظّمَ منْ جَوْهَرٍ وَمَاؤه مِنْ أعْطَرِ الخَمْرِ
وَمنطقاً أوتيتَ مِنْ سِحْرِهِ أحرّ في قلبي من الجَمْرِ
وشَادناً تيّمني شَخْصُهُ ووكّلَ الأجْفان بالسّهَرِ

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٦ .
[2] . نفسه ، ج١، ص١٥٧
[3] . ديوان المعتضد ، ص١٧٣.
[4] . نفسه ، ص ١٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتغزّل يوسف الثّالث بالثّغر وما حواه من ثنايا أشبهت العقيق، وبما صدر عنه من كلام كالدّر المنثور، فيقول: (١) الطّويل

ويَا حُسْنها تبدي الثّنايا كَأنّما يَلوحُ بمرآها عقيقٌ وَجوْهَرُ
فيا لَكَ منْ سِمْطٍ بفيها منظّم له كلمٌ كالدّرِّ وهو منـثّرُ

وكان منطق المحبوبة إلى جانب محاسنها الأخرى سببا من أسباب شوق يوسف الثّالث إلى وصالها، وفي ذلك يقول: الكامل :

أشتاقه وأخافُ من فتكاته إنّ الجبان له المجالُ الضّيّق
ما كانَ يُطمعني بنيل وصاله لولا المعاطفُ تنثني والمنْطِقُ

ويعبّر إسماعيل بن الأحمر عن حبّه وهواه لكلام محبوبه، وشوقه إليه إن غاب عنه، فيقول: الكامل

يَا راحلينَ عن المشوقِ لشَدّ ما خلَّفْتموه وقَلْبهُ مَتبــولُ
يهوى على مرِّ الزَّمانِ حديثَكُم وكَثيرُهُ فيكُمْ لديْه قليــلُ
أمّا الحبيبُ فلا يُمَلّ حَديثُهُ وَحديثُ منْ أبْغَضْتُهُ مَمْلولُ

ولم يكتف الشّعراء الحكّام في غزلهم بوصف محاسن المرأة الجسديّة واستمتاعهم بالنّظر إلى جمالها أو سماع صوتها وكلامها – عن بعد- ، بل وصف بعضهم استمتاعه بوصال ذلك الجمال وصفا صريحا، فصوّر اللّحظات التي خلا فيها بالمرأة، ونال وصالها : تقبيلا ومعانقة ومضاجعة، وكانوا إذا ما غابوا عنها تذكروا تلك اللّحظات وحنّوا إليها متمنين عودتها، ومن ذلك تذكّر عبد الرّحمن بن هشام أبي المطرّف لبعض لحظات الأنس التي عاشها مع المحبوبة إذ يقول: مجزوء الرّمل

يَا غزالاً نَقَضَ العهـ دَ ولمْ يوفِ بعــهدي
أنسيتَ العَهْد إذْ بِتْـ ـنا على مفرشِ وَرْدِ
واجْتَمَعْنا في وشاحٍ وانْتَظَمْنا نظمَ عقــدِ
وَتَعَانقنا كَغصْنيـ ـنِ وقــدَّانا كَقدِّ

---

١ . ديوان يوسف الثّالث ، ص ٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصوّر المعتضد محاسن محبوبته الجسديّة، ويصف هيامه بها فيقول: ([1]) الطّويل

رعى اللهُ منْ يَصْلى فؤادي بِحبّهِ سَعيراً وَعيني منه في جنّةِ الخُلْدِ
غَزاليّةُ العـيْنينِ شَمْسـيّةُ السَّنا كَثيبِيّةُ الرّدفينِ غُصْنيّةُ القَدِّ

ويبوح بضعفه أمام هذا الجمال مشتكيا إليها حاله فيقول :

شَـكَوْتُ إلـيها حُبّها بِمدامعي وأعْلَمْتُها مَا قد لَقيتُ مِنَ الوَجْدِ
فَصَادفَ قَلْبي قَلْبها وهوَ سَالمٌ فأعدى وذو الشّوقِ المبرِّحِ قد يُعْدي

ثمّ يصف الشّاعر صريحا لحظات الوصال التي جادت المحبوبة بها عليه، فالتقى بجسدها الذي فتنه، ووصف ذلك بقوله:

فجَادتْ ومَا كادت عليّ بخدّها وقدْ يَنبع الماءُ النّميرُ منَ الصّلْدِ
فقلتُ لها : هاتي ثَنَايـاكِ إنّـني أُفضِّل نُوَّارَ الأقاحي عَلى الـوَرْدِ
وَميلي عَلَى جِسْمي بِجِسْمكِ فانْثَنتْ تُعيدُ الذي أمّلْتُ مِنْها كما تـبدي
عِناقـاً وَلثْماً أَرْويا الشـوقَ بَيْننا فُرادى وَمَثْنى كَالشّرارِ منَ الزَّنْدِ
فَيَا سـاعةً مَا كانَ أقْصَرَ وَقْتها لَدَيَّ تَقَضّتْ غيْرَ مَنْدومَةِ العَـهْدِ

ويصوّر يوسف الثّالث افتتانه واستمتاعه بمحاسن المرأة الجسديّة: نظرا إليها بالعين ووصولا لها بالتّقبيل والمعانقة، فيقول: ([2]) المتقارب

فَسرّحتُ طَرْفي إلى مُجتلى يروقُ العيونَ وَيُوهي العقولا
فلاحَظْتُ بدراً وَقبّلتُ درّا وَعَانقتُ غُصْناً وَردْفاً مهيلا
وَخدّاً أسيلاً وَخصْراً ضئيلا وَلحـظاً كحيلا وردفا ثَقيلا
هلالاً منيرا وغصناً* نضيرا وريما نفورا وروْضا بلـيلا

[1] . ديوان المعتضد ، ص ١٦٧.
[2] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٦١.
* زيادة من المحقّق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر الغزل الصّريح عند بعضهم في وصف لحظات عاشوها طيف خيال لا حقيقة ، وذلك عندما بَعُدَ اللقاء بينهم وبين المرأة لسبب مفروض عليهم، كالقتال مثلا، واللجوء إلى طيف الخيال في مثل هذا المقام (البعد) ممدوح لأنّه " يعلّل المشتاق المغرم ويمسك رقّ المعنَّى المسقم ويكون الاستمتاع به والانتفاع "([1]) .

وقد أسعف طيف الخيال المعتمد بن عبّاد في إحدى غزواته،التي اشتكى فيها من فراق محبوبته، حتى جاد عليه طيفها، وعن ذلك يخبر وزيره قائلا: وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرتني من توجّعي، ومكّنتني من رضابها، وفتنتني بدلالها وخضابها، فقلت: ([2]) الطّويل

أَبَاحَ لِطيفي طَيْفُها في الكرى الخدَّا فعضَّ به تُفّاحةً واجْتَنَى ورْدا
وَأَلْثمني ثَغْراً شَمَمْتُ نسيمهُ فَخُيِّلَ لِي أنِّي شَمَمْتُ بهِ نَدّا
ولو قَدَرتْ زَارَت على حَال يقْظةٍ ولكنْ حِجابُ البيْنِ ما بيننا مُدّا

ولمّا أطفأ طيف محبوبته شوقه إليها أبدى الشّاعر افتتانه بصاحبة الطّيف، داعيا لها بالسّقيا، ومتغزّلا بما أوتيت من محاسن، فقال :

سَقَى اللهُ صَوْبَ القَطْرِ أمّ عُبيدةَ كما قَدْ سَقَتْ قَلْبي عَلى حرّه بَرْدا
هي الظّبيُ جيداً والغزالةُ مُقْلةً ورَوْضُ الرُّبى فَوْحا وَغُصنَ النّقا قدّا

ويتغزل المعتمد غزلا صريحا بالمرأة إذ اجتمع بها طيف خيال، فتمكّن من جسدها، الأمر الذي خفّف عنه ما في نفسه من شوق إليها، وفي ذلك يقول: ([3]) الكامل

إنّي رَأيْتكِ في المنامِ ضَجيعتي وكَأنَّ سَاعدكِ الوثيرَ وسَادي
وَكَأنّما عَانَقَتِني وشَكوتُ مَا أشْكوه مِنْ وَجْدي وَطُول سُهادي
وكَأنّني قبَّلتُ ثَغْركِ والطّلى والوجْنتين وَنِلْتُ مِنْكِ مُـرادي
وَهَواكِ !لولا أنّ طَيْفَكِ زَائرٌ في الغِبّ لي مَا ذُقتُ طَعْمَ رُقَادي

[1] . الرّضيّ، الشّريف ، طيف الخيال ،(تحقيق محمود حسن أبو ناجي) دار التّربية للطّباعة والنّشر ، ص ٢٦.
[2] . ديوان المعتمد ، ص ٤٩.
[3] . نفسه ، ص ٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسترجع يوسف الثّالث بعض اللّحظات التي استمتع فيها بوصال المحبوبة، فيتذكّرها في خياله معوّضا بها حرمانه منها، فيخفّف بذلك من شوقه لها في البعد، فيقول: (١) الطّويل

أشَاقكَ طيفٌ أذكرَ القلْبَ طَارِقُه زمانا تقضّى في التنعُّم* رائقه

ويصّور اللحظات الحميمة التي قضاها مع طيف محبوبته، وكيف استمتع بجمالها رؤيةً ومضاجعةً فيقول :

فألْبَسني ثوبَ التّوصّلِ ضافيا وعهْدي به قد حالف الصّد عاشقه
وأوردني من ثَغْرِهِ العذبِ كوثراً وهو الرّيّ لا يظما إلى الماءِ ذائقه*
يُعَاتبني في فرطِ شوقي وصبوتي وقد علقت منه فيّ علائقه
فبتُّ وَعضدي كالوسادِ لِخدّه أُساكنه طوراً وطوراً أُناطقه
وسرّحتُ طرفي في مطالعِ نُوره فأبصرْتُ بدراً ليس يُمحق شارِقُه

وبعد النّظر في موضوع الغزل عند الحكّام اتّضح أنّ للمرأة مكانة كبيرة عندهم، إذ لم يكن بوسعهم الاستغناء عنها، فلم تستطع سلطة الحكم أن تعوضهم عنها ، حتّى إنّهم تنازلوا لها عن تلك السّلطة، وذلك -كما تبيّنا – لأنّهم شعروا أنّها ستجعل المرأة أمامهم على غير طبيعتها الأنثويّة في تعاملها معهم، لتهيّبها من سلطتهم، فحاولوا طمأنتها وإشعارها بأنّهم كغيرهم من الرّجال يحتاجون إليها، فيصلون بذلك إلى إشباع حاجاتهم النّفسيّة والغريزيّة .

وقد ظهرت المرأة في غزلهم بصورة المحبوبة التي عشقوها وتمكّن حبّها من أنفسهم، وعبّروا عن شدّة تعلّقهم بها، وعدم قدرتهم على مفارقتها، فكانت حاضرة معهم حتّى في أصعب الظّروف وأحلكها، فلم تنسهم الحروب على ما فيها من شدّة وضيق تذكّرها والحنين إلى لقياها .

وقد سار الحكّام في غزلهم على نهج غيرهم من الشّعراء الأندلسيين في توظيف الطّبيعة في وصف محاسن المرأة، وتأثروا أيضا في غزلهم الصّريح بشعراء الغزل الحسّي عامّة، إذ تحدّثوا عن وصولهم إلى جسد المرأة واستمتاعهم به .

---

١ . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٩٠.
* في الدّيوان التّنعيم
* مكسور في الأصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا:الشّكوى:

ممّا لا شكّ فيه أنّ مكمنَ سعادة الحكّام الشّعراء وشقائهم راجعٌ في كثير من الأحيان -لسبب أو لآخر- إلى موقعهم الذي منحته لهم سلطة الحكم والسّيادة، فنجدهم وهم حكّام على سدّة الحكم أصحاب الأمر والنّهي، والقوّة والمنعة، والكلّ من حولهم طالب رضاهم، وراج الاقتراب من مجالسهم والعمل تحت إمرتهم، وهم في هذا الجوّ ينعمون بالرّاحة والهدوء، ويعيشون وقت السّلم – خاصّة- الحياة بكل ما فيها من متع وملذّات - وقد بيّنت الأشعار التي درسناها في موضوعيّ الفخر والغزل شيئا من هذا الجانب، ولكنّ كلّ ذلك النّعيم يختفي إذا ما عدموا مكانتهم السّياسيّة؛ فغيابها يقلب حياتهم رأسا على عقب، ويزيل عزّهم وجاههم، فينتقلون من قمّة هرم السّيادة إلى قاعها، ضعافا لا يملكون من أمرهم شيئا، فيؤول بهم الحال في كثير من الأحيان إمّا سجناء لا حول لهم ولا قوّة، وإمّا منفيّين بعيدين عن أوطانهم يكابدون الألم والأسى، ويحنّون إلى أوطانهم ومرابع عزّهم وجاههم .

إنّ المعاني العامّة لشعر الشّكوى عند الحكّام تدور حول السّلطة – العلامة الفارقة في حياتهم – وما يترتّب عليها من تقلّبات تؤثّر في حياتهم الشّخصيّة والاجتماعيّة ؛ ذلك أنّ السّلطة محطّ أنظار الأقارب والأباعد . أمّا فيما يتّصل بالأقارب فنجد في بعض الأحيان أنّ أبناء البيت الحاكم يتنافسون فيما بينهم على من سيؤول إليه الأمر من بعد صاحبه، فيخطّطون ويكيدون للوصول إلى السّلطة، وأمّا الأباعد الطّامعون بالحكم فهم الحكّام والقادة المحيطون بهم، إذ تشكّل سلطتهم مطمعا لهم فيسعون لضمّها إلى حدود سيادتهم وملكهم. والحكّام في خضم هذا الصّراع إمّا أن ينتصروا على المطامع المحيطة بهم، فيحمون ملكهم ويذودون عنه، وإمّا تدور عليهم الدّوائر فتسلبهم مكمن قوّتهم وسعادتهم في الحياة. ولكي نتمثّل الحالة النّفسيّة التي يعانيها الحكّام عند زوال ملكهم أو تعرّضهم لنائبات الدّهر، لن نجد أصدق من أشعارهم التي فرّغوا فيها انفعالاتهم وبثّوا فيها شكواهم عند فقدان سلطتهم، وتعرّضهم للسّجن أو البعد عن الأوطان، وهذه هي أكثر الأمور التي اشتكى منها الحكّام في شعرهم .

وثمّة مضامين أخرى للشّكوى في شعرهم جاءت خارج نطاق السّلطة كالشّكوى من الشّيب، وهي قليلة في شعرهم، لذا سيتم عرضها بعد الانتهاء من المضامين المتّصلة بالسّلطة.

تأتي شكوى الشّعراء الحكّام تعبيرا واضحا عن لحظات الضّعف والعجز أمام المصائب التي كانت أكبر من قدرتهم على ردّها، والتي أفقدتهم أعزّ ما يملكون: سلطانهم وعزّهم، وجعلت نهايتهم مؤلمة ومحزنة، ليس لهم وحدهم، بل لمن سمع عنها أيضا . فكيف صوّر الحكّام الشّعراء ضعفهم أمام تلك المصائب ؟ وكيف سوّغوا ذلك الضّعف؟ وكيف وازنوا بين حالهم قبل تلك المصائب أسيادا وحكّاما، وحالهم بعدها ضعفاء مهزومين ؟ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ الشّكوى من الدّهر وتقلّباته أمرٌ مألوف في الأدب العربي " فقديما اشتكى منه شعراء الجاهليّة الإسلام، ووقفوا منه موقف العداء والصّدام، فالمعركة دائمة أزليّة بينهما والإنسان هو المهزوم الوحيد فيها، والخاسر الضّعيف أمام بطش الزّمن وجبروته ومفاجآته الكثيرة التي يحملها بين طيّاته " (١). ولكنّها (الشّكوى) في شعر الحكّام تصدر عن حزن وأسى عميقين، كيف لا والدّهر بعد أن كان مقبلا عليهم مقدّما لهم كلّ ما يتمنّونه، يجدونه مدبرا عنهم، سالبا عطاياه من مقوّمات القوّة والمنعة والحياة بكل ما فيها من مسرّات، وجاعلا إيّاهم كالسّاقطين علٍ، فبدّل عزّهم ذلا، وغناهم فقرا، وحرّيتهم سجنا، وأبعدهم عن أحبّتهم، وجعل النّاس -إلا المخلصين- يصدّون عنهم صدود دهرهم وإعراضه عنهم، والدّهر بفعله هذا فيهم كان مثل من منحهم الأمان ثمّ عاد ليخلف وعده، وهذا صوّره الرّاضي بن المعتمد حينما وصف نكد أيّامه، فقال : (٢) المتقارب

هي الدّارُ غادرةٌ بالرّجالِ وقاطعةٌ لِحبالِ الوصالْ
وكلُّ سرورٍ بها نافذٌ وكلُّ مقيمٍ بها لارتحالْ
ومَوْعِدُها أبداً كاذبٌ فإنْ أنْجَزَته فَبَعْدَ المِطالْ
فمن رامَ منها وفاءً يدومُ وَمَكْثاً لها رام عَينَ المُحالْ

ويشتكي- في مقطوعة أخرى - تبدّل الزّمان على أهل الفضل وعدم دوام حاله عليهم ، فيقول (٣): الطّويل

يَحُلُّ زمانُ المرءِ ما هو عاقدُ ويسهرُ في إهلاكهِ وهْو راقدُ
وَيُغرَى بأهل الفضلِ حتّى كأنّهم جناةُ ذنوبٍ وهْو للكلّ حاقدُ
سينهدُّ مبنيٌّ ويُقْفِرُ عامرٌ ويَصْفِرُ مملوءٌ ويُخْمَد راقدُ

لقد جاءت شكوى الزّمان عند الرّاضي من معاناة خَبِرها وأهله أنفسهم بعد زوال ملكهم وانتشار شملهم بعد أسر والده المعتمد في أغمات.

١. السّعيد ، محمّد مجيد ، الشّعر في عصر المرابطين والموحّدين ، ص ٢٣٧.
٢. ابن الأبّار الحلّة ، ج٢ ، ص ٧٤.
٣. نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن من عاش تقلّبات الدّهر بنفسه يصبح على وعي بأنّ سروره زائل، وأنّها توقظ من كان لاهيا عنها ومؤمّنا على نفسه منها، فهذا يوسف الثّالث أحد من ابتلاهم الدّهر فصاروا به خبراء يصوّر ذلك، فيقول: ([1]) البسيط

يا غافلاً غرّهُ ما جرّه الزّمن هُديت إنّ الليالي كلّها مِحَنُ
لا تغْترِرْ بسرور زائلٍ فله بعد السّرور إذا دبّرته حَزَنُ
كم قدْ أهانَ عزيزاً بعدَ عزّته وكم أعزّ ذليلاً وهو ممتهنُ

ويصرّح يوسف الثّالث بأنّ معاناته الذّاتيّة هي التي جعلته يعرف الدّهر على حقيقته، الأمر الذي جعله يصف حوادثه الملمّة به وصفا يظهر حقده الدّفين عليه، ويخرجه عن صمته ويبوح بضجره منه، فيقول:

لأُفْشينّ أمورا كنتُ أكْتُمها فقد تساوى لديّ السّرّ والعلنُ
أرى الحوادث لا تنفكّ تطلبني حتّى كأنّي بصرف الدّهر مرتهنُ

ويصوّر يوسف الثّالث حاله مع الزّمن، فكأنّ له عنده حاجة لا يمكنه أخذها حتّى يعرّض يوسف الثّالث لصروفه ونوائبه، فيقول: ([2]) الطّويل

خَليليّ ما لي والزّمان كأنّما غدا بيننا وَتْر وها هو طالبه
فما التأمتْ إلا عليَّ صُروفُه ولا اشتملت إلا عليَّ نوائبه

لم تأتِ شكوى يوسف الثّالث من الدّهر لأحداث عابرة أو عاديّة مرّت به، وإنّما كان عنده باعث قوي جعله يشتكي من الدّهر، فقد أصابه الألم من أخيه، أقرب النّاس إليه، وذلك حينما حاول أن يأخذ منه حقّه في ولاية العهد التي كانت قد آلت إليه بحكم السّن ومكانته عند أبيه * الذي كان على ما يبدو من شعر الثّالث معينا له على نوائب الدّهر، وحاميا له ممّن يحاول تسبيب الأذى له.

[1] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٩٥.
[2] . نفسه ، ص ١٨٣ .
* أشرنا إلى ذلك عند التّرجمة له في الفصل الأوّل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عبّر الثّالث عن ذلك وقد عرض الأستاذ أبو محمّد بن جُزي عليه حوداث الزّمان، فردّ عليه الثّالث: ([1])الطّويل

أأرضي بشكواك الزّمانَ وأهله ولستُ بذي نابٍ يصولُ وأظفارِ
وهدّت صروفُ الدّهرِ شامخَ عزّتي (وقلّت حماتي عند ذاك وأنصاري)*
فلا يوسفٌ يُرْجى وليس محمّد يُدافعُ ضيمي إن دُعيت بإجهاري

ويشتكي يوسف الثّالث من الصّعوبات التي واجهها في إطار السّلطة وممّن قاموا بإبعاده عنها وسلبوه حقّه فيها فيقول: ([2]) الخفيف

أبعَدونا تغلّباً أبعدونا طردونا عن ملكهم طردونا
تركونا لمّا ركنّا إليهم ضحوة الرّكن جهرة تركونا
سلبونا بعض الذي قد منحنا من عطايا جزيلة سلبونا
خلّفونا بعد اليمين جهارا ويحهم ما لهم لما خلّفونا

وممّا يزيد تألّم الشّاعر من ذويه أنّهم كانوا يعاملونه بخلاف ما كان هو يعاملهم، فقد كان دائم الوفاء لهم، راعيا عهودهم، وهم ضيّعوا عهده ولم يرعوه، الأمر الذي آلمه وجعله يشتكي فيقول: ([3]) الوافر

فأيّ .. جيرتي بالغورِ أشكو وما يملك .. شكايتهم زمامُ
رعيتُ عهودهم فأُضيع عهدي فسيّان الإضاعة والذّمامُ
كأنّي لم أكن فيهم جميعا وتفردني التّحيّة والسّلامُ
كأنّي لم أكن فيهم وسيطاً ولم يك محتدي الملكُ الهمامُ

---

[1] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ٦٢.
* شطر هذا البيت للشّاعرة الأندلسيّة حمدونة بنت زياد المؤدّب
[2] . ديوان يوسف الثّالث ، ص ١٢٨.
[3] . نفسه، ص ١٠٩. بعض الأبيات مكسورة من الأصل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولأنّ ظلم ذوي الشّاعر كان مريرا قاسيا على نفسه، نجده يحاول أن يخفّف ويهوّن عليها، فيذكّرهم بأنّهم خسروا حين فعلوا به ما فعلوا، ويلومهم مفتخرا بنفسه، فيقول:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا إذا حلّت بعقوتها الطّغامُ
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا لسدّ الثّغر ثلته اللئامُ
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم يُرْتجى فيه الجهامُ
بعيد العزم أروع هزبريّ* سليل الملك مقدام عُرامُ

ومع كلّ الألم الذي سبّبه ظلم ذوي الشّاعر وجعله يشتكي منه في غير موضع من شعره، وعدّه من المصائب القاصمة للظّهر، فإنّه ظلّ محافظا على نبل أخلاقه معهم، حريصا على مودّتهم وإخائهم، محاولا التماس العذر لهم، ويتجلّى هذا واضحا في قوله : ([1]) الطّويل

عَجبتُ لقومي كيف جازوا تَواصلي بقطْعِ حبالِ الودّ من غيرِ ما عذرِ
ولو أنّني أُعْطيتُ فيهم مقاصدي لحلّوا حذاء النّيّرات أو البدر
ولكنّها الأيّامُ تقدحُ في الصّفا فتصدعُ ما بين الخليلين بالشّرِّ
ولا عجبَ أن ساءني من ودِدْته فيا ربّما تقذى النّواظر بالشّفر
بذلتُ وفاءً ثمَّ أُقضى خيانةً فلله ما هذي القواصم للظّهرِ
ودينيَ رعْيُ العهد والودّ والصّفا فما لي ومُختار الخيانة والغدْرِ

ويسوّغ الشّاعر تسامحه مع من ظلمه من ذويه بأنّه يراعي صلة القربى بينه، ويشير إلى أنّ سكوته عن جهلهم يأتي حلما منه لا ضعفا، فيقول:

وما غرّني جهلٌ ولكن أبوّة رَعَيْت لها حَقّ المكانة والبر
أطارحه شجوي فيصبح لي شجاً تعرّضَ لي بين اللهاة أو النّحرِ
وأوسعته حلما فظنّ بأنّني رَهبتُ وإن الحلم يصدرُ عن ذعرِ

* في الديوان هبرزي، وهزبري نسبة إلى الهزبر وهو الأسد
[1] . نفسه ، ص ٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تنته الشّكوى في شعر يوسف الثّالث عند هذا الحد وإنّما اشتكى ممّا ترتّب على ظلم ذويه له بإبعاده عن الوطن، فأخذ يشتكي من الغربة والشّوق إلى الوطن، وسيعرض ذلك عند تناول هذا المضمون .

ويشتكي إسماعيل بن الأحمر من أقاربه، إذ أخرجه بنو عمّه من الأندلس خوفا منه على سلطانهم، فيقول وقد بلغه عنهم بعض القول ممّا يقبح : (١) الطّويل

رماني بنو عمّي بزورٍ مزوّرٍ وما زلتُ أوفاهمُ وأحسنهم سمتا
رَمونيَ حقداً بالذي لستُ أهلهُ وإنّيَ عن هُجر لأكثرهم صمتا
وإنّ جدودي كالجبالِ رزانةً وما إن ترى فيها اعوجاجا ولا أمتا

ويعاني الأمير أبو محمّد بن هود هو الآخر من ظلم بني عمّه، فقد نفاه ابن عمّه المقتدر بن هود، وكان يحسده حسدا ماعليه مزيد، الأمر الذي جعل أبا محمّد يشتكي من ذلك ويلوم آل هود جميعهم، فيقول : (٢) الطّويل

ضَلَلْتُمْ جميعا آلَ هودٍ عن الهـدى وَضَيّعتُمُ الرّأي الموفّقَ أجمـعـا
وَشِنْتُمْ يمـينَ الملكِ بي فَقَطعْتُمُ بأيْديكُمُ منها وبالـغدرِ إصبعا
وما أنا إلا الشّمسُ عند غياهبٍ دَجَتْ فأبتْ لي أن أُنـيرَ وأسْطعا
فلا تقطعوا الأسباب بيني وبينكم فـأنْفُكُم منكم وإنْ كـان أَجْدَعا

إنّ صعوبة ظلم ذوي الشّاعر عليه جعلته متخبّطا في مشاعره وانفعالاته، ذلك أنّه شرع يقرّعهم ويلومهم مصوّرا الألم الذي خلّفه ظلمهم عليه، فمع تلك المرارة التي تملّكته إلا أنّه عاد يذكرهم بصلة القربى التي تجمعهم معه، راجيا إيّاهم ألا يقطّعوا أواصر القرابة بينهم؛ ذلك أنّ الأنف جزء من المرء وإن كان مشوّها أجدع .

ويشتكي رشيد الدّولة بن صمادح من تبدّل الأيّام بعد زوال ملكهم، ويشير إلى ظلم الأحبّة قائلا: (٣) الوافر

أحبّتـنا الـكرامُ بَغَوا علـينا وبغيُ المرءِ معطبةٌ ونارُ
وقـالوا الهُجْرَ لمّا يعْلـموهُ وهُجْرُ القولِ مَنْقَصةٌ وعارُ
صَبَرتُ على مقارعة الدّواهي وطبعُ الحرّ صبرٌ وائتجارُ
وقلـتُ : لـعلّها ظُلَمٌ ألـمَّت وحـالُ الليلِ آخرها النّهارُ

---

١ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٨٤.
٢ . ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ، ص ٤٣٩
٣ .ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ مصائب الدّهر وصروف وصروفه التي تمرّ بالنّاس لا تغادرهم دون أن تترك عندهم أثرا مؤلما في حياتهم، ولبعض المصائب أثره البالغ الذي لا ينمحي مدى الأيام، وهذا ما نجده في بعض مضامين الشّكوى في شعر الحكّام، إذ صوّروا المعاناة والألم اللذين خيّما على حياتهم بعد زوال ملكهم، وأفول سعدهم بضياعه وإبعادهم عنه أذلاء تكبلهم القيود، ليودعوا في أحد السّجون، أو ينفوا بعيدا عن ديارهم، وهذا اللون من المحن والمصائب التي تعرّض لها الحكّام ربمّا تكون الأقسى والأمرّ على نفوسهم، لما يترتّب عليه من عواقب مؤذية لا تقتصر على جانب واحد من حياتهم، بل تكاد تطال معظم جوانبها إن لم يكن كلّها، فتظهر معاناتهم واضحة من النّاحية النفسيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة وحتّى الصّحيّة ..

كان المعتمد بن عبّاد من أشهر الحكّام الأندلسيين الذين أصابهم الدّهر في ملكهم، فأبعده عنه، وأذلّه بالوقوع في الأسر، الأمر الذي سبّب له معاناة كبيرة تردّد صداها واضحا في شعره، فأخذ يصوّر بدايتها حيث طُلب إليه أن يخضع ويتنازل مقابل أن يسْلم بنفسه، فرفض الخضوع والاستسلام، ولكنه دفع الضّريبة غالية، فخُلع ووقع في الأسر، ومن ذلك اشتكى فقال: (1) مجزوء الكامل

لمّا تَماسَكتِ الدّموعُ — وَتَنبّهَ القلبُ الصّديـعُ
وتناكَرَتْ هِمَمي لِما — يَسْتامُها الخَطْبُ الفظيعُ
قالوا: الخُضوعُ سياسةٌ — فَلْيَبْدُ مِنك لَهُمْ خُضُـوعُ
وألَذُّ من طَعْمِ الخُضُوعِ — عَلى فَمي السّمُّ النّقيـعُ
إنْ يسْلِبِ القومُ العِدى — مُلْكي وَتُسْلِمْني الجمـوعُ
فالقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعهِ — لَمْ تُسْلِمِ القلْبَ الضُّلـوعُ

ولأنّ المعتمد كان على وعي بمصيره الذي ينتظره في المنفى، وأنّه سيكون بمثابة قبر يودع فيه اشتكى منه قبل أن يصل إليه، وعبّر عن ضيقه وسأمه منه، فقال : (2) مجزوء الرّجز

هَذي جبـال دَرَن — قَلْبـي بِهَا ذُو درنِ
يَا ليتني لـم أرَهَا — ولـيتها لم تَرَنـي
كأنّهـا تُخْبـرني — بِأنّهـا تُقْبـرني

---

1 . ديوان المعتمد ، ص ١٥٠.
2 . ديوان المعتمد ، ص ١٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا استقرّ المقام بالمعتمد في منفاه بدأت الجروح والآلام المترتّبة على ذلك تتفتّق، فأخذ يعبّر عن صور متنوّعة منها، فها هو ذا يقبّح الدّهر ويلومه على ما فعل به، فيقول:([1]) الرّمل

قُبِّحَ الدّهرُ فماذا صَنَعا ؟ كلّما أعْطى نَفيساً نَزَعَا

ثمّ يعدّد مفاخره التي كان عليها أيّام ملكه، فكأنّه يريد أن يعاتب الدّهر على ما فعله بالمتّصف بهذه المكارم والشّمائل، فيقول :

قدْ هوى ظلما بمن عاداته أنْ يُنَادي كلّ من يَهْوى "لعا"
منْ إذا قيلَ الخَنَا صمّ وإن نطق العافُونَ هَمْسا سَمِعا
مَنْ إذا الغيثُ هَمَى مُنْهَمِرا أخْجَلَتْه كفّه فانْقَطَعا
مَنْ غمام الجود مِنْ راحته عَصَفتْ ريحٌ به فانقَشَعا

إنّ ارتداد المعتمد إلى ماضيه بما فيه من مقوّمات السّيادة من: قوّة ونجدة وكرم وتمكين وتعداد المناقب والمفاخر، يتكرّر في غير موضع من الشّكوى عنده، وربّما يكون ذلك محاولة منه أن يستمدّ من ماضيه القوّة والشّجاعة، فيذكّر نفسه بحالها التي كانت عليه فتقوى وتتجلّد . وقد يأتي الارتداد إلى الماضي في الشّكوى عند المعتمد من باب آخر يعبّر فيه الشّاعر عن الحزن والتّحسّر على ضياع ماض جميل لا سبيل لرجوعه، وستتبيّن ذلك في موضعه من هذا الباب.

لقد كان الألم ملازما للمعتمد في منفاه في كلّ موقف ومشهد يعرض أمامه، فنجده يستحضر دموعه ليعبّر بها عن أساه، ويشكو ألمه لمن يراه، علّه يريح نفسه من المرارة التي يشعر بها، ومن ذلك أنّه مرّ بعد خلعه بموضع خرج أهله يستسقون، فهاجت آلامه لرؤيتهم فخاطبهم قائلا: ([2]) الكامل

خَرَجوا لِيسْتَسْقوا فقلتُ : لهم دمعي ينوبُ لَكُمْ عنِ الأنواءِ
قالوا: حقيق .. في دموعك مقنعٌ لكنّها ممزوجة بدماءِ

[1] . نفسه ، ص ١٥٥
[2] . ديوان المعتمد ، ص ١٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الآلام التي اشتكى منها المعتمد وظهر فيها ضعفه، وعانى منها معاناة واضحة في أسره: القيد، حيث صوّر صعوبته على نفسه من النّاحيتن: الجسميّة والنّفسيّة، وتحسّر على نفسه كيف تبدّلت به الحال، فبعد أن كان عزيزا يستظلّ البنود، صار ذليلا مكبّلا بالقيود، فيستشعر- وهو مكبّل بالقيود- بالذّلّ والألم الجسدي والنّفسيّ، وكلاهما مؤلم لنفسه ومضعف لقواه فمن أشعاره المعبّرة عن ذلك قوله: ([1]) المتقارب

تبدّلتُ منْ عزّ ظلّ البنود بذلّ الحديدِ وثِقْلِ القُيُودِ
وكان حديدي سِنانا ذَليقا وعَضْبا دقيقا صقيل الحديد
فقد صارَ ذاك وذا أدْهما يعضُّ بساقي عضَّ الأسودِ

ويشتكي من القيد ويتحسّر على حاله، فيقابل بين ما كان عليه وقت عزّه وسلطانه، وكيف كان يخوض المعارك وينكّل بهامات الأعداء، والحال التي آل إليها، فيقول: ([2]) الطّويل

لكَ الحَمْدُ منْ بعْدِ السّيوفِ كُبُول بساقي منها في السّجُونِ حُجُولُ
وكنّا إذا حـانت لِحَرْبٍ فريضةٌ ونَادتْ بأوقاتِ الصّلاةِ طُبُولُ
شَهِدنـا فَكَبّرنا فضلّتْ سُيُوفنا تُصَلّي بِهامات العِدى فَتُطيلُ
سُجـودٌ على إثْرِ الرّكوعِ مُتابَعٌ هُـناك بأرواحِ الكُماة تَسيلُ

ويعبّر المعتمد عن شعوره بالضّعف والذّل من القيد، فنجده يحاوره ويشتكي إليه الألم والضّعف الذي سبّبه له، ويصّور له وجعه النّفسيّ والجسدي، وعلى ما يبدو من شكواه أنّ وجعه النّفسيّ كان الأكبر، كيف لا وقد صار ذليلا مقيّدا أمام أولاده الذين اعتادوا رؤية أبيهم سيّدا يأمر وينهى، وفارسا يصول ويجول، وفجأة إذ به يصبح ذليلا مهانا، الأمر الذي يسبّب له ولأولاده الألم والحسرة. ولا يجد سبيلا للتّخفيف عن نفسه إلا الشّكوى للقيد علّه يحنّ عليه ويريحه، ومن ذلك قوله: ([3]) السّريع

قيدي أما تعْلَمُني مُسْلِما ؟ أبيْتَ أنْ تُشْفِقَ أو تَرحما
دَمي شَرابٌ لكَ واللحمَ قدْ أَكَلْتَه لا تَهْشِم الأعْظُما

[1] نفسه ، ص ١٧٠ .
[2] . نفسه ،ص١٧٩.
[3] . نفسه ، ص ١٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوضّح الشّاعر أسباب المعاناة التي يشعر بها، فيشير إلى أنّه يعزّ عليه أن يراه ولده أبو هاشم وهو على هذه الحال من الضّعف، كما يشير إلى أن رؤية أولاده الصّغار تسبّب له أيضا الحزن والألم، ويزداد ألمه برؤية بناته متألمات، فالمأساة لا تقتصر عليه وحده بل على عائلته كلّها كبيرا وصغيرا، وفي ذلك يقول :

يُبْصِرُني فيكَ أبو هاشمٍ ... فَيَنْثَني والقلبُ قـد هُشّمـا
ارْحمْ طُفَيْلا طائــشاً لُبّه ... لم يخشَ أنْ يأتيكَ مُسْتَرْحِمـا
وارْحَــمْ أُخيّاتٍ لــه مِثْلَه ... جرّعْتـَهُنّ السّمَّ والعلْقَـما
منهُنّ مـَنْ يَفْهَمُ شيئاً فقَدْ ... خفنا عَلـيه للبكاء العَـمى
والغيْرُ لا يفْـهَمُ شيئاً فَمَـا ... يَفْـتَحُ إلا للرّضــاعِ فَمَـا

وكما اشتكى المعتمد من تبدّل الحال بعد الأسر، وأثر القيد وألمه النّفسيّ والجسديّ، اشتكى من هذا أيضا عزّ الدّولة بن صمادح الذي كان قد اعتقل وهو في طريقه رسولا إلى ابن تاشفين، فصوّر الألم الذي تملّكه، فقال: (١) المتقارب

أَبَعْدَ السَّنَا والمَـعَالي خُمُولُ ... وبــعد ركـوبِ المَذاكي كبولُ
ومنْ بعْدِ ما كُنْتُ حُرّاً عزيزاً ... أنــا اليوْمَ عبدٌ أسيرٌ ذليــلُ
حلــلتُ رسـولاً بغرنـاطةٍ ... فَحـلَّ بها بي خَطْبٌ جليـلُ
وَثُقّفْتُ إذ جئْتُــها مــرسلاً ... وقدْ كـان يُكْرَمُ قَبلي الرّسـولُ

ويتألّم والده لما ألمّ به، فيعبّر عن حسرته وحزنه عليه، فيقول: (٢) المتقارب

عزيزٌ عليَّ ونوْحي ذليلُ ... على ما أقاسي ودمعي يسيلُ
لَقَطّعتِ البيضُ أغمادَها ... وشقّتْ بنودٌ وناحتْ طبولُ
لئن كنتُ يعقوبَ في حُزْنه ... ويوسفَ أنت فصبرٌ جميلُ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٨٨/ ٨٩.
٢ .نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور الألم والمعاناة التي اشتكى منها المعتمد في الأسر الحال التي وصل إليها وما فيها من ذلّ وهوان وفقر وتفرّق الشّمل وقلّة الحيلة، حتّى بلغ من فرط مرارته وألمه أن تمنّى الموت لنفسه، وقد كانت هذه المشاعر ملازمة له في كلّ الأحيان لا تبارحه، وكانت وطأتها تزداد عليه حين تظهر المواقف التي تذكّره بعجزه في الأسر، فتزيده ضعفا على ضعف، ومن ذلك أن محظيّته اعتماد مرضت فاستدعى لعلاجها وزير ذلك الدّهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه، فكتب إليه الوزير مؤدّيا حقّه ومجيبا عليه، واتّفق أن دعا له في أثناء الرّسالة بطول البقاء * وقد كان لدعاء الوزير له بطول البقاء وقع سلبيّ على نفسه، جعل جرحه يزداد وذكّره بعظم همومه، الأمر الذي جعله يتمنّى الموت ، فهو أهون عنده من حياة الذّل التي يحياها، وفي ذلك يقول : (١) الوافر

دعَا لي بالبقاءِ وكيْفَ يهوى أسـيرٌ أنْ يطولَ به البقـاءُ؟
أليْس الموتُ أرْوَحَ منْ حياةٍ يـطولُ على الشَّقيِّ بها الشّقاءُ
فَمَن يكُ مـنْ هواهُ لقاءُ حِبٍّ فـــإنّ هَوَايَ مِنْ حَتْفي اللقـاءُ

ويفصّل المعتمد في ذكر الأسباب التي جعلته يتمنّى الموت، فيصوّر المعاناة التي يجدها؛ لما تعانيه بناته من ذلّ وهوان، وكيف كنّ عزيزات كريمات أيّام ملكه ، وكيف تبدّلت بهنّ الحال ودارت عليهنّ الدّوائر، فصرْن يعملن من أجل الحصول على لقمة العيش في خدمة من كان أبوها عاملا عند المعتمد أيّام ملكه، وفي ذلك يقول :

أَأَرْغَبُ أن أعيشَ أرى بناتي عَوَاريَ قدْ أضرّ بها الحَفاءُ
خوادمَ بنتِ منْ قد كان أعلى مَراتبه – إذا أبْدو- النّداءُ
وطَردُ النّاسِ بين يديْ ممرّي وَكفّهم إذا غصَّ الفِنـاءُ
وَرَكْضٌ عن يمين أو شمـالٍ لنظمِ الجيشِ إنْ رُفِعَ اللواءُ
يُـعَنّـيه أمـامٌ أوْ وراءُ إذا اختلّ الأمـامُ أو الوراءُ

* أورد محقّق ديوان المعتمد هذا الخبر في مقدّمة الأبيات ينظر : المعجب ص ٢١٨.
١ . ديوان المعتمد ،ص ١٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد استدعى المعتمد في معرض شكواه السّابقة صورة من صور ملكه وسلطانه الآفل، فتذكّر حاله والنّاس من حوله مقبلين عليه، والخدم والشّرطة كلهم يعملون من أجل أمنه وراحته. وتظلّ صور الماضي السّعيد تلحّ على الشّاعر وتعنّ على باله، ليقابل بينها وبين واقعه المرير، فيشتكي ما دهاه ويتألّم لزوال سعده، فها هنّ بناته أمام عينيه فقيرات ذليلات كأنّهنّ ما كنّ بنات عزّ وجاه، وهنّ اليوم حافيات الأقدام بعد أن كنّ يطأن المسك والكافور، وبهذه الصّورة المؤلمة يرى المعتمد بناته، فقد جاء في القلائد في وصفهن وبعض بنيه يوم دخلوا عليه في العيد " وأوّل عيد أخذه بأغمات وهو سارح وما غير الشّجون له مسارح ولا زيّ إلا حالة الخمول واستحالة المأمول، فدخل عليه من بنيه من يسلم عليه ويهنّيه، وفيهم بناته وعليهن أطمار، كأنّها كسوف وهنّ أقمار، يبكين عند التّسايل ويبدين الخشوع بعد التّخايل، والضّياع قد غيّر صورهنّ وحيّر نظرهنّ، وأقدامهنّ حافية، وآثار نعيمهن عافية "*،إنّه ليحقّ للمعتمد لرؤية بناته على هذه الحال أن يتألّم ويشتكي بمرارة الأب وحزنه على بناته وقد غدون ضعيفات ذليلات، وبمرارة الأمير وما يقاسيه من زوال عزّه وسلطانه فيقول مصوّرا تلك الأوجاع: (١) البسيط

فِيما مضى كنْتَ بالأعيادِ مسرورا فَساءكَ العيدُ في أغْماتَ مأسورا
ترى بناتِكَ في الأطمارِ جائِعَةً يغْزِلنَ للنّاس ما يملكن قطميرا
بَرَزْنَ نَحْوَكَ للتّسليم خاشعةً أبْصارهن حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطّين والأقدامُ حافيةٌ كأنّها لمْ تطأ مِسكاً وكافُورا

ويصوّر ألمه وحزنه في العيد، ويتحسّر على ملكه الزّائل، فيقول :

أفْطَرْتَ في العيدِ لا عادت إساءتُهُ فكان فطْرُكَ لِلأكباد تفْطيرا
قد كانَ دهْرُكَ إنْ تأْمُرْه ممْتَثلاً فَرَدّكَ الدّهرُ منهيّاً ومأمورا
منْ باتَ بَعْدَكَ في مُلْكٍ يُسَرُّ به فإنّما باتَ بالأحلامِ مَغْرورا

* نقل المحقّق هذا الخبر عن القلائد ، ص٢٨.
١ . الديوان ص ١٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمتـدّ الشّـكوى المترتّبـة علـى زوال ملـك المعتمـد وتبـدّل الحـال إلـى أولاده، فيشـتكون ويتألّمون؛لسحب بساط السّيادة من تحت أقدامهم، وقيامهم بما لا يليق بمكانتهم التي كانوا عليها أيّام ملكهم ، فهذا ولده شرف الدّولة يعيش بعد محنة أبيه من كتب الوثائق بمراكش، فصار يعمل تحت إمرة الآخرين، الأمر الذي سبّب له الألم والحزن، لا سيّما حينما يُوجّه إليه الأمر ممّن هم أدنى منه شرفا وعلما، ومن ذلك أنّه دعاه يوما المقدّم للحسبة من قبل القاضي أبي محمّد بن عرجون ليكتب له وكان أميّا جاهلا، فكبر عليه ذلك، وعزّت عليه نفسه، فاشتكى من ذلك قائلا: الكامل

عَجَباً لِدهرٍ كلُّ ما فيه عجبْ فَدْمٌ سما ونَبيهُ قومٍ قدْ رَسَبْ
لا تَنْفَعُ الآدابُ فيه وإن غَدَتْ تُعْزى إلى ذي همّة عالي النّسبْ
أَوَلَيْسَ منْ نَكَدِ الزّمانِ بأن أُرى أُدعى لأكْتُبَ صاغراً للمُحْتسبْ؟

واشتكى أيضا ابن المعتمد ذخر الدّولة أبو المكارم فتألّم من تبدّل الحال به بعد زوال ملكهم، وقد جاء ذلك في معرض ردّه على قصيدة مدح قيلت فيه، ومن بعض أبياتها:([1])مجزوء الرّمل

تَتسامى الحِكَمُ مذ وشاها حَكَمُ
فَخَرَ الطِّرْسُ به وَتَباهى القَلَـمُ
وَزَهتْ لخْمٌ به فهْوَ فيهَا عَلَـمُ
مِنْ صناديدِ علاً بالثّريّا خيّموا
إنْ سطا الدّهْرُ بهم فَكَفى مجدُهُمُ

لقد فجّر هذا الثّناء حزن الشّاعر ومعاناته، فذكّره بأمجادهم السّابقة، وما كانت عليه من علو نسب وجاه، وكيف هو في حاضره مفتقد لذلك كلّه، ولم يعد عنده حيلة إلا التّحسّر عليه، ويظهر ثأثير تلك الأبيات فيه من محاولته الرّد على ما جاء فيها بتحسّر وألم، فينفي أن يكون للمجد دوام مع صروف الّدهر، ويعبّر عن ضيقه من مهنة الكتابة ، فيقول: مجزوء الرّمل

ما لِمَجْدٍ عَلَمُ والزّمان حَكَـمُ
وقضاياهُ غدا جورُها يحْتَكِـمُ
رائدُ الشّؤمِ به مِحْبَرٌ أوْ قَلَـمُ
ونبيهٌ فَطِنٌ بيتَ شعرٍ ينظِمُ

[1] . نفسه ، ص ٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشير إلى الأثر الذي أحدثته فيه قصيدة المديح تلك، فيعبّر عن ألمه ووجعه من الدّهر وتقلّبه عليهم فيقول :

عَظُمَتْ إذ نَظَمتْ مجْدَ قوْمٍ عُدموا
صاحِ إنّا عَرَبٌ مَلَكَتْها عَجَـمُ
كلُّ فضلٍ وَنُهىً عَدَمٌ عنْدَهُـمُ
آهِ منْ دهرٍ غدا حُـرّهُ يُهْتَضَـمُ
آلُ عبّادٍ بـه غائرٌ نَجْمُهـمُ
لَعِبَ الدّهرُ بهم ومحا رَسْمَهُـمُ

لقد كانت قصيدة المديح التي قيلت في ذخر الدّولة سببا من أسباب تذكيره بماض عزيز،عاشه وأهله (آل عبّاد)، الأمر الذي حرّك فيه الشّعور بالألم والحسرة للواقع المؤلم الذي يحياه، فاشتكى منه ورثى حاله رثاء بدا فيه الألم واضحا. وقد عانى المعتمد من مثل الموقف الذي تعرّض له ولده، ذلك أن كثيرا ممّن اعتادوا عطاءه أيّام ملكه الآفل كانوا يزورونه في منفاه، فيجدونه ضعيفا يعاني مرارة الأسر وذلّه، فيجعلوه يرتدّ إلى ماضيه المجيد ليزداد ألمه ويتضاعف ؛ فهو في هذا المقام لا يتذكّر الماضي ليستمدّ منه القوّة والعزم فيقوى على التّحمّل ، وإنّما يرتدّ له ليتذكّر ضعفه الذي صار عليه .

ومن المواقف التي تعرّض لها المعتمد في هذا المقام ما ذكره ابن الأبّار ،فقال إنّه " وهو على هذه الحال من الاعتقال كان الشّعراء ينتجعونه ويمتدحونه، فيصل بما لديه من يفد عليه أو يوجّه بشعره إليه ،وتعرض له أبو الحسن الحصري في طريقه إلى أغمات بعد القبض عليه بشعر يمدحه فيه، فوجّه إليه بستة وثلاثين مثقالا لم يكن عنده سواها وأدرج قطعة شعر طيّها معتذرا من قلّتها، وتسامع الشّعراء بذلك فقصدوه من كلّ ناحية "([1])، والشّعراء بفعلهم ذلك كانوا قد وضعوا المعتمد في موقف محرج لا يحسد عليه، إذ أتوا إليه وهو في قمّة ضعفه وذلّه طالبين منه ما لا يقدرعليه، فيتحرّك بذلك ألمه ويشتكي المرارة التي يجدها لعجزه عن القيام بما اعتاد عليه من إكرام لمن يقصده طالبا العون والعطاء.

[1] . ابن الأبّار الحلّة ، ج٢، ص ٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيقول: ([1]) الكامل

شُعراءُ طنجةَ كلّهم وَالمَغربِ ذهبوا من الإغرابِ أبْعَدَ مذهبِ
سَألوا العَسيرَ من الأسيرِ وإنَّه بِسُؤالهم لأحقُّ منهم فاعْـجبِ

لقد أضعف الشّعراء المعتمد وجعلوه يصرّح أمامهم بضعفه وحاجته التي -كما أشار- كانت أكبر من حاجتهم، لكنّه مع ذلك يحاول أن يستجمع قوّته ويعصم نفسه من أن يسلك مسلكهم ، فيذكّر نفسه بنسبها وأيّام قوتها وعزّها علّه يشدّ أزرها ويقويها على الاحتمال، فيقول:

لَوْلا الحياءُ وعِزّةٌ لـخميّة طيّ الحَـشا لـحكاهم في المطلبِ
قَدْ كانَ إنْ سُئِلَ النّدى يجزِلْ وإن نادَى الصّريخ ببابه : ارْكبْ يركَبِ

ومن صور المعاناة التي وجدها المعتمد في الأسر واشتكى منها في شعره، أنّ أصدقاءه من الشّعراء كانوا يقصدونه في أسره محبّة ووفاء، وقد كان ذلك يؤلمه لا لأنّه غير مسرور بهم، وإنّما لأنّهم زاروه وهو في حال غير التي اعتادوا عليها أيّام سلطانه، حيث ألفوه آمرا مُطاعا، عزيزا كريما ، ولكنّه في الأسر على النّقيض من ذلك .

ومن المواقف التي سبّبت زيارتهم له الألم ما ورد في ديوان ابن حمديس، ذلك أنّ ابن حمديس قصد زيارة المعتمد بأغمات فمنعه أحد خدم المعتمد من الدّخول إليه وأخبر المعتمد بعد ذلك بما وقع فعاتب خادمه بعنف "([2]) لقد أشعر هذا الموقف المعتمد بالألم، فأوامره لم تعد مسموعة، ولم يعد يُسْتشار أصلا، فيحجب عنه زائروه دونما معرفة بقدومهم، فلم يكن منه إزاء هذا الموقف إلا أن يشتكي من حاله التي وصل إليها ، ملتمسا العذر من ابن حمديس ، قائلا الطّويل:

حُجِبْتَ فلا والله مَا ذاك عَنْ أمري فأصخ فَدتْك النّفسُ سمْعًا إلى عُذْري
فَمَا صار إخْلالُ المكَارم لي هَوىً وَلا دَارَ إخْجالٌ لِمِثْلكَ في صَـدْري
ولكنّه لما أحَالتْ مَحَاسني يَدُ الدّهرِ شُلّتْ عنْكَ دَأبا يَدُ الدّهـرِ
عُدِمْتُ مِنَ الخُدّامِ كُلّ مُهَذّب أُشيرُ إليه بالخَفيّ مِنَ الأمـرِ
ولم يبق إلا كلُّ أدْكَنَ ألْـكَنٍ فَلا آذنٌ في الإذن يَبْرَأ مِـن عَرِّ

[1] . ديوان المعتمد ، ص ١٥٤.
[2] . ينظر تفصيل هذا الخبر في: ديوان ابن حمديس،ص ٢٧٠.صحّحه وقدّم له إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويزور المعتمد في أسره" أبو بكر بن اللبّانة من أصدق شعرائه المتقدِّم الذكر ملتزما عهد الوفاء، قاضيا ما يجب عليه من شكر النّعمى، فسرّ المعتمد بوروده، فلمّا أزمع ابن اللبّانة على السّفر استنفد المعتمد وسعه، ووجّه إليه بعشرين مثقالا وثوبين "([1]). وقد تسبّبت هذه الزّيارة للمعتمد بالألم، وذلك لأمرين: أوّلهما -كما يبدو من القصيدة التي أرفقها المعتمد مع العطاء – أنّه لم يكن راضيّا عنه، مستّقلا إيّاه، فنجده يعبّر عن ذلك معتذرا عن قلته، فيقول([2]): الوافر

إلَيْكَ النَّزْرَ مِن كفِّ الأسيرِ فإنْ تقنع تكُن عيْنَ الشّكورِ
تقبّلْ مـا يذوبُ لـه حَياءً وإن عَذرَتَه حالاتُ الفقـيرِ
ولا تَعْجَب لِخَطْبٍ غَضَّ منه أليْسَ الخَسْفُ مُلْتَزِمَ البُـدُورِ

ويحاول أن يلتمس لنفسه العذر عن قلّة ذلك العطاء بما كان يقدّمه أيّام سعده وسلطانه من أعطيات له، وهو بهذا كأنّه يريد أن يذكّر نفسه بمفاخره وأياديه البيضاء على النّاس، ويخبر بأنّ ضعفه في الأسر سبقه ماض عزيز، وما ذاك إلا لأنّه يريد أن يخفّف عن نفسه ما تجده من ألم، ومن الأبيات التي ارتدّ فيها إلى ماضيه قوله:

ورجّ بجبره عُقْبى نـداه فكم جَبَرَتْ يداه من كسيرِ؟
وكم أعلتْ عُلاهُ من حَضيض ؟ وكمْ حَطَّت ظُباهُ منْ أَميرِ ؟
وكَمْ أحْظى رِضاه منْ حَظيّ ؟ وَكَمْ شَهرتْ عُلاه منْ شَهيرِ؟
وكَـمْ مـنْ منبرِ حَنتْ إليهِ أعالي مُرْتضاهُ وَمنْ سَريرِ؟

وأمّا ثانيهما فهو: الألم الذي سبّبته زيارة ابن اللبّانة للمعتمد فردّه العطاء الذي قدّمه المعتمد إليه، لا مستقلا له،بل رحمة بالمعتمد ورأفة على حاله التي وصل إليها، وممّا لا شكّ فيه أن لهذا الفعل أثرا بالغا في نفسيّة المعتمد؛ فبعد أن كان عطاؤه غاية يُسعى إليها صار يُردّ إشفاقا عليه، ويعبّر المعتمد عمّا وجده في نفسه من ألم وإشفاق على نفسه أن وصلت إلى هذا المقام، ويبيّن أيضا أنّه مقدّر لابن اللبّانة إشفاقه عليه

[1] . أورده المحقّق عن المعجب ، ص٢١٩.
[2] . الدّيوان ، ص ١٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيقول: (1) الخفيف

رَدَّ برِّي بـغياً علـيّ وبِـرّا وَجَفا فاسْتَحقَّ لوْمـا وَشُكْـرا
حاطَ نَزْري إذ خاف تأكيدَ ضرّي فاسْتَحقّ الجفاءَ أنْ حاطَ نَـزْرا
فإذا ما طويتُ في البعْضِ حمداً عَادَ لوْمي في البعْضِ سرّاً وَجهْرا
يــا أبا بكرِ الغَريبَ وفـــاءً لا عَدمْناكَ في المغـاربِ ذخرا

وفي الوقت الذي وجد فيه المعتمد وفاء من أصدقائه، إذ ظلّوا على تواصل معه في محنته فإن بعض الشّعراء الحكّام وجد من أصدقائه غير ذلك، إذ تفرّقوا من حولهم بعد تبدّل الحال بهم، فهذا ابن المعتمد في القصيدة التي عرضنا بعض أبياتها سابقا يشتكي من عدم دوام ودّ أصدقائه في الملمّات إلا ما ندر، فقال مخاطبا من مدحه : (2)

دَرَسَ الفضلُ به وَتَفانى الكَرَمُ
وغـدا كـلُّ أخٍ ودُّه يُتَّهَـمُ
غيرُ خلّ ماجدٍ فضلهُ منـتَظِمُ

وهذا أبو الوليد محمّد بن المنذر يشتكي إلى أحد أصدقائه جفاء ودّ الأخوان بعد محنته، فيقول: (3) الكامل

عَثَرتْ بيَ الدّنيا فأصبحَ مُعرضا عـنّي كأنّي لـم أدنْ بإخائــهِ
وَمَنـحْتُهُ ودِّي وَصُنْتُ إخاءه مـن نائبات الدّهرِ حالَ بلائـهِ
وَرَعيْتُ ظَهْرَ الغيْبِ حقَّ جواره وَحـفظته من خَلْفه وورائـــهِ
فـعدا عليَّ ولم أظـنَّ بـبغيه وأنــا بحالٍ من أمان عدائــهِ

---

1. الديوان ، ص ١٧٥.
2. ابن الأبّار ، الحلّة ، ص ٧٨.
3. نفسه ،ص ٢٠٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد بدا ضيق الشّعراء من مصائب الدّهر ومتاعبه واضحا في أشعارهم التي اشتكوا فيها من الآلام والأضرار التي أصابتهم، ولكن ذلك لا يعني أنّ صبرهم نفد، وأنّ لا قدرة على الاحتمال عندهم، بل حاولوا في معرض شكواهم أن يتجلّدوا ويصبّروا أنفسهم، ومن ذلك قول أبي الوليد يرجو في مصيبته الله – تعالى – علّه يبدّل الحال عليه، فيقول : (١) الطّويل

رضيتُ بحكم الله فيما أصابني إذا لمْ يَكُن يسْرٌ فيا حبّذا العُسْرُ

ومن ذلك قول سعيد بن جودي يحاول أن يصبّر نفسه على القيد وألمه، ويرجو من الله – تعالى – الفرج، محاولا أن يستجمع قوّته بتذكير نفسه بأنه لم يؤسر من ضعف، وإنّما أُخذ غدرا: (٢) الطّويل

خليليَّ صبْراً راحةُ الحرِّ في الصّبرِ ولا شيءَ مثلُ الصّبرِ في الكَرْبِ للحُرِّ
فكم من أسيرٍ كان في القِدِّ مُوثقاً فأطلقَهُ الرّحمنُ من حَلقِ الأسْـرِ
لـئن كنتُ مـأخوذاً أسيراً وكنتما فليس على حربٍ ولـكنْ على غدْرِ
فـقدْ عَلـِمَ الفـتيانُ أنّي كَمِيُّها وفارسـها المِقدامُ في ساعـةِ الذُّعرِ

ويوصي أبو الوليد بالصّبر والتّجلّد على نائبات الدّهر، مؤمنا أنّها مهما طالت لن تدوم، فيقول: (٣) الطّويل

لئنْ غضَّ منك الدّهرُ يوماً بأزْمةٍ فَحَسبُكَ أن تُلْفى وأنت صبورُ
فليس أسىً يبقى وإن جلَّ مثلُ ما على كلِّ حالٍ لا يدومُ سرورُ

وهذا المعتمد بن عبّاد مع كلّ المعاناة التي ظهرت واضحة في شعره نجده يحاول هو الآخر أن يصبّر نفسه، فيخبرها بأنّ كل حيّ مصيره إلى زوال، فيقول: (٤) الوافر

سَيُسْلي النَّفْسَ عمن فات علمي بأنَّ الكُلَّ يُدْركه الفناءُ

---

١ . نفسه ، ص ٢٠٨
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ١٥٩ .
٣ . نفسه ، ج٢ ، ص ٢١٠.
٤ . الدّيوان ، ص ١٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول : ([1]) البسيط

في اللهِ منْ كلِّ مفقودٍ مضى عِوَضٌ فأشْعر القلْبَ سلْواناً وإيمانا

ويقول :

وطِّنْ على الكُرْه وارْقُبْ إثرَه فرجاً واستغْفِرِ الله تغْنم منه غُفْرانا

ويفتخر يوسف الثّالث بتجلّده أمام نائبات الدّهر، وقدرته على تحمّل صروفه

فيقول الطّويل:

ألا من لقلبٍ لا يبلّ عليله تجَاذِبُهُ نحوَ الهمومِ الجواذبُ

سألزمُ جدّ الصّبرِ في كلِّ حادثٍ على أنَّ صرفَ الدّهْرِ بالحرِّ لاعب

فنفسي على الدّهرِ المسيءِ جليدةٌ ومجدي عن الدّنيا الدّنيّةِ راغبُ

علــى أنّ قلبي لــلخطوبِ دريئةٌ تناضله منهــا ســهامٌ صوائبُ

ويوصي يوسف الثّالث بالاستعانة بالله عند المصائب، فيقول الطّويل:

إذا أزْمَةٌ شدَّت عليكَ خناقها وَضقْتَ فلمْ تلف لنفسكَ مخرجاً

فثِقْ برجاءِ الله وارضَ بحكمه فكمْ أزْمةٍ نجّاك منها وَفَرَّجا

ويشكّل الحنين إلى الوطن – كما تقدّم- لونا من ألوان الشّكوى التي ظهرت عند عدد من الشّعراء الحكّام ، ولقد كان لذلك ارتباط بموقعهم السّياسيّ، إذ لم يشتكوا من البعد عن الوطن والشّوق إليه وهم أرباب الأمر، ولو كان الأمر كذلك لكان طبيعيّا مألوفا، له مبعث فطريّ كما أشار الجاحظ في رسالته الحنين إلى الأوطان، وقد جعل دليله على ذلك ظهوره عند النّاس عامّة، وكي يؤكّد ذلك خصّ بالذكر الحكّام أيّام سلطانهم وعزّهم، فقال :" فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الدّيار والنّزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنّه اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه، ولم يزل عظيم الشأن جليل السّلطان تدين له عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه أو راهب منه ... فكان إذا ذكر التّربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها إذا كانت هذه معاناة الحكّام عند البعد عن أوطانهم وحنينهم إليها وهم في عزّهم و ملكهم، والكلّ مرحب بهم، ومقدّم لهم على الجميع من حولهم، فكيف تكون معاناتهم وشكواهم إذا ما ابتعدوا عن أوطانهم وهم ضعفاء مسلوبو السّيادة؟

[1] . نفسه ، ص ١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أوائل أشعار الحنين التي تطالع الدّارس لشعر الحكّام ما نظمه عبد الرّحمن الدّاخل، يحنّ فيها إلى معاهده التي خلّفها وراءه في الشّام، فلم ينسه الحكم الذي أسّسه في الأندلس وطنه الأم وذكرياته الأولى، أيّام عزّه وملكه الأوّل، فهو مهما ألف بعدها من أماكن فإن حنينه أبدا إليها، ومن الأشعار التي تصوّر ذلك الحنين، وتدلّ على ارتباطه الكبير بدياره الأمّ تلك الدّيار التي سكنها وسكنته حتى صارت جزءا لا يتجزّأ منه ، قوله : (١) الخفيف

أيّها الرّاكبُ الميمّمُ أرْضي ... أقْرِ من بَعْضيَ السّلامَ لبعــضِ
إن جسمي كما علمتَ بأرضٍ ... وفؤادي ومــالكـيه بــأرضِ
قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقْنـــا ... وطـوى البينُ عن جفونيَ غَمضي

بدت عاطفة الشّاعر في هذه المقطوعة " وكأنّها زفرات قلب لم تستطع صروف الدّهر انتزاعه من تلك الأرض على الرّغم من إكراه من حبسه على الخروج النّهائي منها " (٢) . ويبقى الشّاعر مرتبطا بوطنه الأم ارتباطا وثيقا، فلا ينفكّ يتذكّره ويحنّ إليه كلّما شاهد ما يذكّره به من أشياء اعتاد رؤيتها فيه، ومن ذلك أنّه شاهد نخلة في حديقة قصره بالرّصافة " وعلى ما يبدو أنّها كانت أوّل نخلة زرعت في أوروبا " (٣)، فما إن رآها الدّاخل حتّى حرّكت شوقه، وأخذ يشركها معه في تلك المشاعر، وكأنّها تشعر حقيقة بألم عميق، فأراد أن يخفف عنها ذلك فأخبرها بأنّه غريب مثلها، فخاطبها بقوله : (٤) الطّويل

تــبدّتْ لَنَا وَسْطَ الرُّصافةِ نخلةٌ ... تناءتْ بأرْض الغربِ عن بلدِ النّخْلِ
فقلتُ : شَبيهي في التّغرُّبِ والنّوى ... وطول التَّنائي عن بَنِيَّ وعن أهلــي
نَشــأْتِ بــأرْضٍ أنتِ فيها غريبةٌ ... فَمِثْلُكِ في الإقصاءِ والمُنْتأى مِثْلـي
سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبها الذي ... يَسُحُّ ويسْتمري السِّماكيْنِ بالوبــلِ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٣٦.
٢ . بيضون ، إبراهيم ، الأمراء الأمويون الشّعراء ، ص١٥٢.
٣ . بالنثيا ، آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٧٢.
٤ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسقط الشّاعر في مقطوعة أخرى إحساسه بالغربة والمرارة التي يجدها من ذلك على النّخل، الذي يذكّره ببلاده، وتزيده رؤيته شوقا إليها، فيطلب منه أن يشاركه في التّعبير عن ألم البعد عن الوطن والبكاء شوقا إليه، ولكنّه (النخل) لم يستجب له فيبكي كما بكى، ليظلّ الشّاعر وحده من يعاني الحنين، وفي ذلك يقول: (١) الكامل

يا نخْلُ أنت غريبةٌ مثلي في الغربِ نائيةٌ عن الأصْلِ
فابكي وهل تبكي مُكَبَّسةٌ عجماء لم تطبع على خَبْلِ؟
لــو أنّها تبكي إذاً لَبَكَتْ ماء الفراتِ وَمَنْبِتَ النّخْلِ
لكنّها ذَهَلَتْ وأذهَلَني بُغْضي بني العبّاسِ عن أهْلـي

لقد بدا الشّاعر في المقطوعات السّابقة يعاني الشّوق والحنين إلى وطنه، بتحسّر وألم، أجاد في إيصالهما إلى النّفوس باختياره ما يمثّلهما من الألفاظ والمعاني التي كشفت عن عمق ألمه ومرارة إحساسه بالغربة والبعد عن الوطن.

وإذا كان الدّاخل قد اشتكى بمرارة وأسى البعد عن الوطن والحنين إليه وهو صاحب الأمر في الأندلس، فإنّ هناك من الشّعراء الحكّام من اشتكى ألم البعد عن الوطن وهم ضعفاء؛ لزوال ملكهم برمّته، كالمعتمد، أو لظلم ذويهم لهم خوفا منهم على سلطانهم كابن الأحمر ويوسف الثّالث، وفي مثل حال هؤلاء تكون المعاناة مضاعفة وأبوابها متعدّدة ، وهذا ما سنتبيّنه واضحا بعد دراسة أشعارهم التي عبّروا فيها عن ذلك .

يعبّر إسماعيل بن الأحمر عن شوقه إلى وطنه، فيشتكي الحزن الذي يعتريه في غربته، وذلك بعد أن أخرجه منه بنو عمّه ، فيقول : (٢) الوافر

فؤادي يشْتكي داءً دفينا لبعْدي عن مزارِ الظّاعنيــنا
وأكبادي منَ الأشواقِ ذابتْ ووجدي فاقَ وجدَ العاشقــينا
ولي جسمٌ أضرَّ به سقامٌ وقلبي بعدهم أَلِفَ الشّجونــا
وربِّ البيت لا أنْسى هواهم وكيفَ ؟ وهم بقلبي ساكنونــا

١. نفسه.
٢. ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظلّ الشّاعر يعبّر عن شدّة شوقه وحنينه، فيصوّر مرارة البعد عنه، وتذكّره الدّائم له، مؤكّدا ذلك بالقسم والألفاظ المعبّرة، فيقول:

لعمري ما النّوى إلا عذابٌ وإنّي قد بُليتُ به سنينا
يهيّجُ زفرتي تذكارُ أرضي ويفجعني ويسْتَهْمي الجفونا
حنيني ما حييتُ لهم عظيمٌ وما بسوى محبّتها بُلينا

ويبوح الشّاعر بعد قدرته على احتمال البعد، وبأنّ الصّبر عنده قد نفد فيقول:

فما صبرٌ وإن بعدت بباق كذا سنن الكرامِ الماجدينا
وما بمرادِ نفسي كان عنها بعادي لا وربّ العالمينا

وأمّا يوسف الثّالث وبعده عن وطنه، فإنّ المصادر- كما تقدّم في معرض ترجمته- لم تعط تفاصيل واضحة ومفصّلة عن أسبابها، وأنّ ما ورد من معلومات عنها في المراجع كان تحليلا واستنتاجا من الدّارسين، اعتمدوا فيها على بعض الأخبار التّاريخيّة المجملة، تلك التي ذكرت في المصادر، وعلى بعض الإشارت التي وردت في شعر يوسف الثّالث نفسه، لذا فإنّ النّظر في المعاني التي عبّر عنها الشّاعر في شعره الذي اشتكى فيه ألم البعد والغربة عن الوطن سيكون انطلاقا منها ذاتها .

افتتح يوسف الثّالث شكوى غربته بتصوير ألم البعد عن الوطن، وشدّة الشّوق والحنين إلى لقاء أهله، وقد خرج من ذلك إلى الشّكوى ممّن تسبّبوا له في ذلك من أقاربه، ومن تفرّق النّاس من حوله بعد أن كانوا لا يبارحونه، فيقول: ([1]) الطّويل

مَشوق بِأقْصى الغربِ طالَ اغترابهُ وبالشّرْقِ أهليهِ شكى وَصِحابهُ
تحكّم فيه الدّهرُ مُذ شطَ دارُه وجانَبَه مَن كان يَعْشى جَنَابهُ
وذمَّ ذماما طالما قَدْ رَعيْتُهُ وطالبه مَنْ كان يرجو طلابه

[1] . الدّيوان ، ص ١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشتكي من حنينه إلى وطنه، وشدّة حبِّه له، ويصف جمال ما فيه من هواء وماء فيقول: (١) الطّويل

سبيكتنا الغرّاء جادتْكِ أدمعُ وإلا فوكّافٌ من المزنِ ناضحُ
فأنتِ إلى كلِّ النّفوسِ حبيبةٌ كأنَّكِ رُوحٌ والنّفوس جوارح
بمغناكِ أهواءُ النّفوس تجمّعتْ فما أمَلٌ إلا لقصدكِ جانـحُ
هواؤك معطارٌ وتربك منتقى وماؤك سلسالٌ وعيشُكِ صالحُ
أبوح بما حمّلتُ منكِ من الأسى ويا ربّ مغلوبٍ له الوجد بائحُ

ويصوّر حنينه وشوقه إلى أهله الذين فرّق الدّهر شملهم، ويرجو لقاءهم، ولكنّ البعد يحول بينه وبين ما تمنّى، ليزداد ألمه وحزنه وأساه، فيقول معبّرا عن ذلك : (٢) الطّويل

ألا ليتَ شعْري والزّمانُ بخيلُ يُـخيَّبُ راجٍ تـارةً وَيُنيلُ
أيُقْضي لِشَمْل قد تبدّد ألفةٌ وَيُرْجى لوصلٍ قد تَقضّى وصولُ

ولا يجد الشّاعر سبيلا للتّواصل مع أحبابه في غربته إلا أن يوسّط بينهم الرّيح، فكلّما هبّت نسائمها عليه اشتكى لها حاله، وحمّلها أشواقه وسلامه إلى الأحبّة وإلى الحمراء ومن سكنها، فيقول: الطّويل

وهل لِغريبِ الدّارِ والنّفْسِ والهوى إلى نَيْله لقيا الحبيبِ سبيـلُ
يحمّلُ أَنْفاسَ الجنوب رسائلاً تضرّمـها بالشّوقِ وهو بليـلُ
ويشكو لها ما قدْ أكنَّ من الهوى فتفهم ما يشْكو لـها وَيَقُـولُ
فبالله يا ريحَ الجنوبِ تأمّلي أيلقى سلامي من حبـيبٍ قبولُ
وإن جُلْتِ بالحمراءِ فاقري تحيّتي دياراً خَلَتْ منّي فهنّ فلـــول
وهبّي على القَصْرِ الكبيرِ عليلة فإنّ به أهْلُ الحبيبِ حُلـــولُ

ويصوّر الشّاعر المعاناة النّفسيّة التي يجدها في اغترابه، ويعلن عقده العزم على الصّبر والتّحمّل، فيقول:

ولو أنّ مَا بي بالجبالِ لَزُلْزلتْ أهاضب رضوى غير أنّي حَمولُ

---

١ . نفسه ، ص ٢٣.
٢ . الدّيوان.،ص١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول :

لَئِنْ لمْ تعان الصَّبرَ يذهبْ بك الأسى فيشْفى عدوٌّ أو يُساء خليلُ

سأصبرُ للبلوى وإنْ جلَّ وقفها فكم دقَّ عندي الخَطْبُ وهو جليلُ

ويتأثر الشّاعر لسماعه حمامة تغني، فيثور لذلك شوقه وحنينه، فيقول: ([1]) الوافر

ومّما هاجَ أشواقي ووجدي غِناءُ حمامة تشدو بنجدِ

وينفعل مع غنائها ويشاركها الشجو، مشتاقا إلى السّبيكة وأهلها، فيقول:

وذي شَجَنٍ يُطارحها بشجوٍ لأيّامٍ سلفن وَحُسنِ عهْدِ

إذا ذكروا السّبيكة والمصلّى تطيرُ بقلبه الذّكرى لهنْدِ

ويلمُّ بالشّاعر ألم وهو في غربته، فتثور أشجانه ويتذكّر أحبابه، فتتضاعف لذلك معاناته، وفي ذلك يقول:([2]) الوافر

عليكِ القلْبُ ذو جسمٍ عليل لواشٍ أو رقيبٍ أو عَـذولِ

بعيدُ الشَّملِ خانته يداهُ بحبّ أو مَحلّ أو شمـــولِ

تداعى جِسْمُه إلا ذماء لِكَثْبٍ أو جوابٍ أو رســولِ

تفانى شَخْصُه بالرّوحِ منه كَرجْعِ الطّرفِ في الطّللِ المحيلِ

يجيبكَ شاحباً والبثُّ يقضي بما في كلِّ عضوٍ مـن نحولِ

ويعبّر عن شوقه لأحبابه وتمنيه لقاءهم:

لَقدْ أمسيْتُ في روْضٍ أريضٍ أميلُ مع الجنوبِ أو القبول

ولا لي من أنيسٍ أو جليسٍ سوى نجوى الحمامةِ للهَديلِ

شببتُ الأهلَ والجيرانَ حتّى وصالهم ومن لي بالوصـولِ

فهل يا أهْلَ ودّي من طبيبٍ يداوي زفْرَةَ القَلْبِ العـليلِ

---

[1] . الديوان ، ص ٤٤/ ٤٥.

[2] . نفسه ، ص٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول الشّاعر أن يصبّر نفسه ويقويها على تحمّل الألم ، فيلجأ إلى الله – تعالى – علّه يخفّف عنه تلك المعاناة فيقول :

أصبرٌ للخطوبِ ولا معين سوى الرُّجعى إلى الصّبرِ الجميلِ
سأسْتهدي اللطائفَ من إلهي وآوي منه للكـافي الكفــيلِ

وتظهر مرارة الشّكوى من الشّوق للأوطـان وإلـى الماضـي السّعيد فـي شـعر الأسر عند المعتمد، فقد ضمّن أشعاره أشواقا وحنينا ممزوجا بالحزن والألم، للبعد عنها ذليلا أسيرا، مفتقدا رغد العيش ونعيمه الذي كان يحياه أيّام سلطانه، وقد ظهرت هذه المشـاعر مختلطـة مـع شكواه مـن الألـم الـذي عـانـى منـه بعد تبـدّل، وهـذه الآلام كلّهـا مرتبطـة ببعضـها ارتباطـا وثيقـا، ومـن الطّبيعي أن تكون كذلك؛ فالدّافع وراءها مبعثه زوال الملك وسقوطه .

اشتكى المعتمد حاله في الغربة ومـا كـان يعانيـه فيهـا مـن ألـم البعد عن الـوطن ووقوعـه فـي الأسر، وافتقاده أيّام سروره التي عاشها وقت سيادته وحكمه، وكيف تبدّلت بـه الحـال ؛ فاستبدل بذلك كلّه، الضّـعف والهوان، وقد تذكّر المعتمد تلك الأيّام بمرارة وأسى ، فصوّر غربتـه فـي أرض المغرب والمعاناة التي يجدها من ذلك، فقال : ([1]) الطّويل

غريبٌ بأرضِ المغربينِ أسيرُ سَيبكي عليهِ منْبَرٌ وسريرُ
وتندُبُه البيضُ الصّوارمُ والقنا وينهلُّ دمعٌ بيْنَهُنَّ غَزيرُ

ثمّ يأخذ بعد هذا بالتّحسّر علـى مـا افتقده مـن مظـاهر السّيادة والملك، ومـا كـان لـه مـن مفـاخر، فيقول:

سَيبْكيه في زاهيه والزّاهر النّدى وَطُلّابه والعَرْفُ ثمّ نكـيرُ
إذا قيلَ في أغْماتَ قد ماتَ جوده فما يُرْتجى للْجودِ بعْدُ نُشُورُ
مضى زمنٌ والمُلْكُ مُسْتأنسٌ به وأصبحَ منه اليوم وهو نَفُورُ

وتظهر معاناة الشّاعر من الشّعور بالذّل والضّعف في قوله :

أذلَّ بني ماء السَماءِ زمانُهم وذلُّ بَني ماء السّماءِ كبيرُ
فما ماؤها إلا بكاءً عليهم يَفيضُ على الأكبادِ منْه بُحُورُ

[1] . الدّيوان ، ص ١٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللمعتمد قصيدة أخرى قالها في الحنين، وذلك عندما" تذكّر منازله فشاقته، وتصوّر بهجتها، وتخيّل استيحاش أوطانه، وإجهاش قصره إلى قطّانه، وإظلام جوّه من أقماره، وخلوّه من حرّاسه وسمّاره، فقال: ([1]) البسيط

بكى المباركُ في إثْرِ ابن عَبّادِ بَكى عَلى إثْرِ غِزْلانٍ وآسادِ
بكتْ ثرَيّاه لا غُمَّت كَواكبُها بمثلِ نَوْء الثُّريّا الرّائحِ الغَادي
بَكَى الوَحيدُ بكى الزَّاهي وقُبَّته والنَّهْر والتَّاجُ كلُّ ذلُّه بادي
مَاءُ السّماء على أبنائهِ دُرَرٌ يا لُجَّةَ البَحْرِ دُومي ذاتَ إزْبادِ

لقد حاول الشّاعر في الأبيات السّابقة أن يسقط ما في داخله من ألم وتحسّر على قصوره، فجعلها هي التي تحنّ إلى أيّامه فيها، وهي التي تبكي عليه، وتفتقد وجوده فيها ،وهي التي تشعر بالذّلّ لبعده عنها، وما هذه المشاعر في الحقيقة إلا تصوير لما يعانيه من فرط شوقه وحنينه إلى أيّامه الخالية، وتحسّره على زوالها .

ويصوّر الشّاعر في قصيدة أخرى حنينه إلى حرّيّته التي عدمها، وإلى اجتماع شمله بعدما تفرّق، وذلك عندما "مرّ عليه في موضع اعتقاله سرب قطا، لم يعلق لها جناح .. وهي تمرح في الجوّ وتسرح في مواقع النّو، فتنكّد ممّا هو فيه من الوثائق، وما دون أحبّته من الرّقباء والأغلاق، وما يقاسيه من كبله .. " فاشتكى مرارة المشاعر التي داخلته لرؤية ذلك المنظر، فتذكّر معاناته وما يشعر به من ألم بعد زوال ملكه، فصوّر حاله قائلا: ([2]) الطّويل

بكيْتُ إلى سرب القطا إذْ مرَرْنَ بي سوارحَ لا سجْنٌ يعُوق ولا كبْلُ
وَلَمْ تكُ واللهُ المُعيدُ حسادةً ولكنْ حنينا : إنّ شكلي لها شكْلُ
فأسْرَحْ فلا شمْلي صَديعٌ ولا الحشا وجيع ولا عيْنايَ يُبْكيهما ثكلُ
هنيئا لها أن لم يُفرق جميعها ولا ذاق منها البعدَ عن أهلها أهلُ
وأنْ لمْ تَبِتْ مثلي تطيرُ قلوبها إذا اهتزّ بابُ السّجن أو صلصل القُفلُ

[1] . الدّيوان، ص ١٦١، والخبر الذي يسبق الأبيات نقله المحقّق عن القلائد ، ص ٢٦.
[2] . الدّيوان ، ص ١٨٧. والخبر الذي سبق الأبيات أورده المحقّق عن القلائد ، ص ٣١/ ٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشتكي حنينه إلى أيّام سعادته الآفلة فيرتدّ إلى تذكّر أيامه التي عاش فيها فارسا في الحرب يُخشى رمحه، ويتذكّر قصوره بما حوته من متع وملذّات، ذكر منها القيان وما كنّ يتّصفن به من جمال يجلب المتعة لنفسه، فيقول: ([1]) الكامل

غنّتـك أغْماتيّة الألحانِ ثقلتْ على الأرواحِ والأبدانِ
قدْ كان كالثُّعبانِ رمْحُكَ في الوغى فَغدا عليكَ القَيْدُ كالثّعـبانِ
مُتَعَـدّدا يحميك كُلّ تعدّد متعطّفا لا رحـمةَ للعاني
قلْبي إلى الرّحمن يشْكو بثَّه ما خاب من يشكو إلى الرّحمنِ

ويتجلّى حنين المعتمد إلى قصوره وقيانه، وتحسّره عليها من قوله :

يا سائلا عن شأنه ومكانه مـا كانَ أغْنى شأنه عنْ شاني
هاتيكَ قيْنتُه وذلـك قصْرُهُ مِـنْ بـعد أيّ مَقَاصر وقيان!
من بعْدِ كلِّ عزيزةٍ روميّةٍ تحْكي الحمائمَ في ذرى الأغصانِ

ويقترب عزّ الدّولة بن صمادح في تعبيره عن حنينه وشوقه لأيّام عزّه الآفل من تعبير المعتمد، فنجده يصوّر ألمه من الحال التي وصل إليها في غربته، حيث تعطّل عن الفروسيّة، ولم يعد بإمكانه الإصغاء للشّعراء، ولا أن يقدّم للبذل والعطاء يدا، ويظهر ذلك واضحا من قوله الطّويل:

لك الحمدُ بعد الملك أصْبحتُ خاملا بأرضِ اغترابٍ لا أُمرُّ ولا أُحلـــي
وقدْ أصْدأتْ فـيها الجذاذةُ أنْمُلي كما نَسيْت ركـضَ الجيادِ بها رجْلـي
فـلا مَسْمعي يُـصْغي لِنـَغْمَةِ شاعرٍ وكفّيَ لا تـمتدُّ يومـاً إلى بَـذْلِ

وأمّا الشّكوى من الشّيب في شعر الحكّام فقد ظهرت في عدد من المقطوعات، صوّر فيها الشّعراء حزنهم وضيقهم من ظهوره (الشّيب) في مفارقهم، فهذا يوسف الثّالث يصوّر حزنه لظهور الشّيب في رأسه ويعدّه زائرا غير مرغوب فيه، لأنّه يسبّب له الألم، فيقول البسيط:

حـلَّ الـمشيبُ بفوديَّ فألبَسني ثوْبا من الوَجدِ لا يَفْنى على الأَبَدِ
قدْ كُنْتُ للزَّورِ مرتاحاً إذا طَرَقوا إلا الـمشيبَ فـفتت زَوْرُه كَبِدي

[1] . نفسه ، ص ١٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشتكي محمّد بن إسماعيل من الشّيب حزنا على مفارقة أيّام الصّبا أيضا، فيقول: الوافر ([1])

محبٌّ ما يساعده الحبيبُ رَأَى وَجْهَ الإنابةِ لو يُنـيبُ
وَيَبْكي للصِّبا إذْ زالَ عنهُ فيضحَكُ في مفارِقِهِ المَشيبُ
وكم أَحْيَتْ حشاشتهُ أمانٍ يباعدُ بينها الأجَلُ القَريبُ

ويشتكي إبراهيم ابن الأمير محمّد بن عبد الرّحمن بن الحكم من الشّيب، وذلك لأنّ ظهوره يحول بينه وبين المتع والملذّات التي كانت في صباه، فكأن ظهور الشّيب يعني زوالها، ودخوله في مرحلة جديدة من الحياة تفتقر إلى اللهو والمزاح والأنس، فعن ذلك يعبّر الشّاعر، فيقول: ([2]) الخفيف

إنَّ شـَيْباً وَصـَبْوةً لَمُحالُ قد أَنَى أن يكون عنها زوالُ
رَكِـبَ الشّيْبُ لِمَّتي خَلَلَ الشّعرِ لوقتٍ حالتْ به الأحوالُ
فَدَعِ النّفسَ عن مُزاحٍ وَلَهْوٍ تلك حالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حالُ

لعلّ هذه المقطوعات الثّلاث غير كافية للتّعرّف على المضامين التي يعبّر عنها الشّعراء في الشّكوى من الشّيب، ولكن هذه هي الأشعار التي بين أيدينا للحكّام في هذا الموضوع.

وبعد دراسة شعر الشّكوى ومضامينه عند الشّعراء الحكّام يتبيّن أنّ لهذا الموضوع أهميّته البارزة في شعرهم، وذلك من عدّة وجوه، منها أنّه كشف عن نفسيّة الحكّام بعد تعرّضهم لصروف الدّهر ومصائبه التي أفقدتهم سلطانهم، وأخرجتهم من نعيم العيش، وكانت هذه المصيبة (زوال الملك) قد خلّفت وراءها مصائب عدّة،إذ لم تقف معاناتهم عند سحب بساط السّيادة من تحت أقدامهم وإنّما تجاوزت ذلك إلى الإمعان في إذلالهم بالسّجن، أو الأسر، فصاروا مسلوبي الحريّة ضعفاء لا يملكون من أمرهم سوى التّحسّر على ما وقع بهم من مصائب يضاعفها حنينهم إلى حياة الملك والرّخاء التي أخرجوا منها، ومع أنّ تذكّرهم تلك الحياة كان يزيد ألمهم إلا أنّه في بعض الأحيان كان يأتي تخفيفا عنهم، وذلك عندما يرتدّون إليه ليستمدّوا منه القوة، علّهم يخفّفون عنهم ما يجدونه من الألم .

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٣٨.
[2] . نفسه ، ج١، ص ١٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الواضح أنّ ممّا سبّب شهرة بعض الملوك الشّعراء هو أشعارهم التي نظموها في الأسر أو السّجن، ذلك أنّها خلّدت ذكرهم؛ فالمعتمد بن عبّاد – مثلا – كان قد نظم الشّعر في موضوعاته المتعدّدة، ولكنّ أشعاره في الأسر كانت من أكثرها تأثيرا في النّفوس، وقد أشار غير واحد من الدّارسين إلى ذلك ، فيشير – مثلا – هنري بيرس إلى ذلك فيقول : " وإذا كان المعتمد قد احتفظ في التّاريخ بشخصيّة مؤثّرة للغاية، فإنّ ذلك لا يعود إلى قصائد الحبّ أو الخمر التي أبدعها، بقدر ما يعود إلى تأثّر النّاس بتلك الأشعار التي نظمها في المنفى، وتشعر عند قراءتها كم كان قلبه كبيرا " ([1]) .

وثمّة زاوية أخرى تظهر منها أهمّيّة الشّكوى عند الحكّام وذلك لما تتضمّنه أشعار بعضهم من الإشارات والمعلومات التي توضّح بعض الأحداث التّاريخيّة التي لم تفصّل المصادر القول فيها، وقد تبيّن ذلك واضحا من الأشعار التي نظمها يوسف الثّالث، إذ ألقت الضّوء على الصّراع الذي دار بينه وبين أخيه محمّد على السّلطة، وكيف كان ذلك سببا في إبعاده.

وخلاصة القول في موضوع الشّكوى عند الحكّام هي أنّه جاء نابعا من السّلطة ومترتّبا عليها لسبب أو لآخر ، فمصائب الدّهر التي اشتكوا منها تمحّورت حول السّيادة وفقدانها ، وما نتج عن ذلك من آلام قلبت حياتهم رأسا على عقب ، وجعلت أحوالهم تتبدّل من حكّام وأسياد إلى ضعفاء مهزومين ، يشتكون ألم الحاضر المرّ بما فيه من أسر وسجن وبعد عن الأهل ، ويحنّون إلى ماض مجيد عاشوا فيه أعزّة كراما.

خامسا :الرّثاء:

جاء الرّثاء في أشعار الحكّام التي بين أيدينا – وأكثره ليوسف الثّالث- إلا قليلا منه مختصّا بالأقارب: من آباء، وأولاد، وإخوة .. ، عبّر فيه الشّعراء عن معاناة ذاتيّة شعروا فيها بالحزن والأسى الذي أصاب قلوبهم؛ لفقد أعزّاء عليهم، لم يستطيعوا دفع الموت عنهم بالملك أو بالمال، فكيف عبّروا عن عجزهم وضعفهم أمام قضاء الله لمّا طرق بابهم وأخذ أحبّتهم؟ وما هي صفات المرثي التي تحسّروا عليها ، ورثوه بها ؟

[1] . بيرس ، هنري ، الشّعر الأندلسيّ عصر الطّوائف ، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء رثاء الحكّام لذويهم تعبيرا عن إحساس صادق بالألم والتّوجّع لفقدانهم ، غير مدفوع بغاية دنيويّة يتقربون بها من ذوي المتوفى كما لو كان الشّاعر يرثي شخصا تعزية لأهله ومواساة لهم ، أو تقرّبا منهم لمنفعة. ولأنّ رثاءهم جاء تعبيرا صادقا عن معاناة اكتووا بنارها فإن رثاءهم لمن فقدوا تجسّد في محورين رئيسين أوّلهما: التّعبير عن الحزن والأسى الذي ألمّ بالشّاعر لفقدان عزيز عليه، وكدّر صفو حياته وسلبه الرّاحة والطّمأنينة. وثانيهما الحديث عن مكانة المتوفّى عند الشّاعر، ورثائه بما اتّصف به من شمائل وصفات عزّ عليه فقدانها بوفاته.

ومن أقسى أنواع الحرمان والفقد التي يمكن أن يتعرّض لها الإنسان فقد الوالد ولده، ومن هنا قيل: " موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الأمد " (١)، وخير من يعبّر عن ألم الوالد ووجعه لفقدانه ولده الوالد نفسه، فهو بفقده ولده من عايش التّجربة وذاق مرارتها، وكيف لا يكون كذلك وولده مات وهو ما يزال على قيد الحياة يحسّ بألم فقده. وكان المعتمد ممّن عاش هذه المعاناة وظهر صداها واضحا في شعره، إذ فَقَدَ ولديه: المأمون والرّاضي، فعبّر في رثائهما عن لوعته وأساه، وعدم قدرته على التّحمّل والصّبر، فقال يصف فجيعته فيهما: (٢) الطّويل

يقولون صبرا لا سبيلَ إلى الصّبرِ سأبكي وأبكي مَا تطاول منْ عُمْري
نَرى زُهْرهَا في مأتمٍ كلَّ ليْلةٍ يُخمّشْنَ لَهْفاً وَسْطَهُ صَفْحَةَ البدْرِ

ويواصل التّعبير عن حزنه وأساه معلنا عزمه على مواصلة البكاء عليهما مدى الدّهر، ولأنّ حزنه كبير عليهما أراد أن يشرك معه ما يحيط به، فها هو يلتمس من الغمام أن يبكي معه، فيقول:

مدى الدّهرِ فَلْيَبْك الغَمام مُصابه بِصِنْويه يُعْذَرْ في البكاء مدى الدّهرِ
بعينِ سَحابٍ واكفٍ قَطْر دَمْعها على كلِّ قَبْرٍ حلَّ فيه أخو القطـرِ
وَبرْقٍ ذكيّ النّارِ حتّى كأنّما يُسَعّرُ ممّا في فؤادي مِنَ الجَمْـرِ
هوى الكوكبان: الفتحُ ثمّ شقيقهُ يَزيدُ فَهَلْ بعْد الكواكـبِ من صبْرِ؟

١ . ابن عبد ربّه ، العقد الفريد ، (تحقيق أحمد أمين وأخرين) مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ، ١٩٦٩، ج٣، ص ٢٥٨.
٢ . الدّيوان ، ص ١٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصوّر في قصيدة أخرى تعبيره عن شدّة فجيعته لفقدهما، فيقول: ([1]) البسيط

يا غيمُ عيني أقْوى مِنْكَ تَهْتانا أبْكي لِحُزني وما حُمّلتْ أحْزانا
ونــارُ بَرْقكَ تخْبو إثرَ وَقْدتها ونــارُ قلبيَ تبْقى الدّهْرَ بُرْكانا
نارٌ وماءٌ صميمُ القلبِ أصْلُهُما متى حوى القلبُ نيرانا وطوفانا
ضدّانِ ألّفَ صَرْفُ الدّهرِ بيْنَهُما لقدْ تلوّن فـيَّ الدّهرُ ألوانــا

ويعبّر عن عظيم مأساته لفقدهما معا ، ولعدم مقدرته على سلوانهما، فيقول :

بَكيْتُ فَتْحا فإذْ ما رُمْتُ سَلْوَته ثوى يزيدُ فزادَ القلْبَ نـيرانا
يا فَلْذتيْ كَبِدي يأبى تقطّعها من وَجْدها بِكُما ما عِشْتُ سُلوانا

ويعيش يوسف الثّالث المعاناة ذاتها لفقدانه ولده عبد الله، فيعبّر عن وجده وألمه، فيقول : ([2]) السّريع

أضرَمَ عبدُ الله جَمْرَ الأسى في القلْبِ لمّا لم يَلُحْ بالحمـى
كان شهابا في سماءِ العُلى فاسْتَوحَشَتْ حتى نجوم السّما
لفقدهِ القلْبُ غدا مُوجَعاً لما قضـاهُ اللهُ مُسْـتسْلمـا

ويظهر حزنه كبيرا يوم وفاته، إذ صعب عليه رؤيته محمولا فوق الرّؤوس، وفي ذلك يقول : ([3]) مجزوء الرّمل

إنّ لــلهمِّ خميسأ ثارَ في يومِ الخميسِ
ضَحِكَتْ سنُّ الرّدى عنه في يوم عَبوسِ
فَـلَكَمْ لــلدّهْرِ منْ حالتي نُعْمى وبوسِ
والحِمامُ كـمْ لَـهُ منْ مُعاطاةِ كـؤوسِ
قطْعَةُ منْ كبدي جُعِلَتْ فوقِ الرّؤوسِ
مَدر اللّحَد مضى منه بالدِّر النّفيـسِ
والثّرى أفق غدا فيه مغربُ الشّموسِ

[1] . الديوان ، ص ١٦٦.
[2] . الدّيوان ، ص ١٢٤.
[3] . نفسه ، ص ١٥٥.بعض هذه الأبيات جاءت مكسورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعبّر عن بغضه لليوم الذي مات فيه ولده فيقول: ([1]) مجزوء البسيط

بُعْداً ليومِ الخَميسِ من صفرِ لمّا جرى فيه سابقُ القَدَرِ
قدْ أَخَذَ البينُ حذره فرمى أفْئِدةً لـــم تكن على حَذرِ

ويصوّر في القصيدة ذاتها فجيعته لفقده وما خلّفه في قلبه من ألم وأسى، مخاطبا له بقرّة العين فيقول :

يا قطعَة القَلْبِ مذ نأيْت لقد تركتِ قلبي للْوَجدِ والفكرِ
يا قرّةَ العينِ مذ رحلت لقد خلّفت عيني للدّمعِ والسّهرِ
هاذي القلوب التي قدْ التَهَبتْ بواكفٍ للدّموعِ منهَـــمرِ
هاذي العيونُ التي بَكَتْ أسَفاً ما متعتْ في حُلاكَ بالنّظـرِ
هاذي النّفوسُ التي عَفَتْ كَمَدا لم يبقِ منها الهوى ولم يـذرِ

ويواصل الشّاعر تصوير عمق مأساته، فاقدا الأمل في كلّ جميل بعد موت عبد الله، فيقول:

لو أنّ ما بي بالأفق من أسف ما لاحَ نورٌ للأنجُمِ الزُّهْرِ
لو أنّ ما بي بالرّوضِ من كلف ما انتشقتْ منه نفحةُ الزّهرِ
لو أنّ ما بي بالسّحبِ من ألم ما أرْسلتْ واكفاً من المطرِ
أيّامُ أنْسٍ غدا يشانُ بـــها وجْدي بالطّولِ وهي بالقِصَرِ

ربّما تكون المعاناة التي عبّر عنها الشّعراء في رثاء بقيّة الأقارب، ومن رثوا من أصدقاء وأحبّة أقلّ شدّة من المعاناة التي وجدناه في رثاء الأبناء، ولكن مع ذلك فهي موجودة، ويظهر منها الشّعور بالألم والأسى لفقد من رثوا منهم، ومن ذلك تعبير عمر بن أحمد ابن الأمير محمّد عن معاناته لفقد والده، إذ يقول: ([2]) الطّويل

لِفَقْدك تنهلُّ الـعيونُ وَتَدْمَعُ وتنهدُّ أرْكانُ المعالي وتخْشَعُ
وَيُعْولُ مَنْ قد كان بالأمسِ ضاحكاً لغَفْلته في ظلّ نُعْماكَ يرتَـعُ

[1] . الديوان ، ص٧٧.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ١، ص ٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعبّر يوسف الثّالث عن معاناته وحزنه لفقد والده فيقول: ([1]) الخفيف

منْ بكى منْ فقدِ واحدهِ فبكائي لِجملةٍ فُقـدوا
بان صَبْري وَبَعْده بصري فـأنا من دونهما أحـد
كلَّفوا مهجتي العزاءَ وَقَدْ طَلبوا سَلوتي فما أجِـدُ
فقدتْ نفسي الحياةَ وَهَلْ بعْد فقد الحياةِ لي جـلَدُ

ومن ألوان الأسى والتّفجّع التي ظهرت عند بعضهم لا في رثاء أقاربهم وإنّما في رثاء الغلمان، ومن ذلك رثاء ابن هود غلامه وتصوير ألمه وحزنه لذلك، الأمر الذي يدلّل على أنه كان مغرما به حقّا، وإلا لما كان حزن عليه بعد وفاته، ورثاه بأبيات تدلّ على فرط حبّه له، فقال ([2]): المجتث

يا صـــارماً أغْمَدتْهُ عن ناظـــريَّ الصَّوارمْ
وزهـــرةً غيّبـــتها مـن الطّيورِ كمـائمْ
يا كـوكباً خرَّ من أنْـ جمي وأنفـيَ راغـمْ
بَكَـــتْ عليَّ وَشَقّتْ جـيوبـهنّ الـغمائمْ
وأنثُرُ الدّمعَ مهـما رَأيْـــتُ للزَّهرِ باسمْ

ويقسم أنّه من فرط أساه عليه ما لذّ عيشه المترف بعده، فيقول:

تالله لا لَذَّ عيشٌ لِمُتْرَفٍ لَكَ عادمْ

ومن الأعزّاء على يوسف الثّالث زوجته ذلك أنّه توجّع لفقدها وأظهر حزنه وأساه عليها، فقد رثاها في غير قصيدة من شعره، الأمر الذي يدلّ على مكانة المرأة في الأندلس حتى بعد وفاتها، فشيوع هذا اللون من الرّثاء " يكشف شعور الأندلسيّ بقيمة المرأة وتقديره لدورها "([3])، وفي هذا اللون من الرّثاء " يحسّ الشّاعر بالضّياع ويعاني الشّعور بالحرمان .. ويتحسّر بلوعة أشدّ لضياع السّكن الذي يأوي إليه "

[1] . الدّيوان ، ص ٥٦.
[2] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣، ص ٥٦٢.
[3] . عبّاس ، إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسيّ عصر الطّوائف والمرابطين ، ص ٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما تجلّى بالفعل عند يوسف الثّالث في رثاء زوجته، إذ كان يصدّر بعض مقطوعاته التي رثاها بها بقوله " سكن عزّ علينا فقده "*، ومن ذلك قوله: ([1]) الوافر

نأتْ سلمى وشطّ بها المزارُ فأوحَشَتْ المنازلُ والدّيارُ
وَرامَ الصّبْرَ عنها مَنْ شكاها بـقـلبٍ لا يقرُّ له قرارُ

ويتحسّر على غيابها الذي لا عودة بعده، وما خلّفه ذلك في نفسه من أسى فيقول: ([2]) الوافر

أما وركابها إذ حثَّ سيرا لقدْ ظَفِر الحداةُ بما أرادوا
توادعنا فَعَزَّ بها لقاءٌ وأحكمَ عقدُ فرقتنا البِعادُ
فوا أسفا على سكنٍ صفيٍّ سجيّتُهُ خُلُوصٌ واعتقادُ

وممّـا يزيـده ألمـا علـى فقدانها إشـفاقه علـى طفل خلّفتـه وراءهـا، ليـزداد شـعوره بـالقلق وعـدم الاستقرار، فيقول : ([3])

وأكْبرُ حادثٍ من خلَّفَتْه ومن حجر العلاءِ له مهادُ
صغيرُ السّنِّ تكبرهُ المعالي وطوعَ مداه تستَبقُ الجيادُ

ويزداد حزنه عليها كلّما تذكّرها، ويتضاعف كلّما رأى طفلها الرّضيع، وفي ذلك يقول: ([4]) الطّويل

أعيذُ الحمى من أن يُخيِّبَ راجياً تذكّر من سلمى حبـيباً مناجـيا
بخافقِ قلْبٍ مُنْجدٍ سبقَ دَمْعِهُ لإبعاده في الخافقـينِ المراميـا
لقدْ جدَّ سيرا ركْبُها حين ودّعتْ وخلّفت القـلبَ المُقلّبَ عانيـا
سـما النّظرُ المُغْرى بها مُتلمحا معـالمَ مـن أطلالها ومـعاليا
فأيأسني أن ضلّتْ العينُ قصدها على ثقةٍ أن لا تـرى النّـجمَ هاديا
وجدّد لي الذّكرى رضيعٌ مكانه بإنسانِ عيني لا أقـولُ فـؤاديـا

* ينظر مثلا الدّوان ص ٥٥، ٧٣، ٩٤.
[1] . الدّيوان ، ص ٧٣.
[2] .نفسه ، ص ٥٥
[3] . الدّيوان ، ص ٥٦.
[4] . نفسه ، ص ١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرثي محمّد بن صمادح إحدى كرائمه ببيتين من الشّعر لم يبلغ فيهما مبلغ يوسف الثّالث في تعبيره عن شدّة معاناته وأساه لفقد زوجته، فيقول بعد "أن ركب من قصره وأمر بمواراتها " (١): البسيط

لمّا غدا القلْبُ مَفْجوعاً بأسْودِهِ وَفُضَّ كلّ ختام من عزائِمهِ
رَكِبْتُ ظهرَ جوادي كيّ أُسلِّيهِ وقلت للسّيفِ: كُنْ لي من تمائمهِ

ويحاول المعتمد ويوسف الثّالث في رثائهما من أحبّا مواساة نفسهما وتصبيرها بأحد أمرين أوّلهما : أنّ الموت حتم واقع لا مفرّ منه، وأنّه لا يمكن دفعه بسلطان ولا مال، فهذا يوسف الثّالث يشير إلى أنّه لو كان غير الموت من أفقده أحبّته لتمكّن منه وغلبه ، كيف لا وهذا دأبه، فطالما انتصر في معاركه على أعدائه، ولكنّه أمام الموت يستسلم، إذ لا قاهر له، فيقول معزيّا نفسه بفقد ولده: (٢) مجزوء الرّمل

لو أتى غيرُ الرّدى لحمتْ نارُ الوطيسِ
بجيادٍ ضمّرٍ نظر الأعين شُوس
في قتالِ الرّومِ قد أضرمت نار المجوس

ويواصل تصبيره لنفسه ومواساتها بتذكيرها بأنّه مقتدر على الأعداء وهزمهم، وأنّه لو كان الموت منهم لكان غلبه، ولكان له قاهرا، ولكن الكلّ أمام الموت ضعاف لا حيلة لهم، فيقول:

خَضَعتْ لِملكنا آلُ هودٍ وحَبوس
كم سَرَتْ بذكره من ظعائن وعيس
وتركنا للرّدى من رهينٍ وحَبيس
عزَّ في أندلسٍ وعراقين وسُوس
غيرَ أنّ الموتَ إذ يتلاقى بالنّفوس
كلُّ مَرءوس يُرى في يديهِ ورئيس

١ . ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص٨٤.
٢ . الدّيوان ، ص ١٥٦. بعض أبيات هذه القصيدة جاءت مكسورة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول في قصيدة أخرى أن يسلي نفسه بتعداد مفاخره ووجوه اقتداره، ويذكّرها بأنّ الملوك والأبطال تخشاه، وبأنّه قد أوتي قوّة تمكّنه من قهر من لا يمكن قهره إلا بالموت، فيقول : (١) الطّويل

وإنّيَ من يُرْدي الكماةَ ثباته وقد هدّ ركن الصّبرِ في وثباته
وإنّي من يخشى الملوكُ نزاله ولم يخشَ صرف الدّهر من عزماته
ومن ترهبُ الأبطالُ سطوة بأسهِ ويرتاحُ منه الليثُ في أجماته
ومن يتّقي في بطْشه بعُداته ويُلفى الرّضا في حلْمه وأناته

ويقرّ أنّه مع كلّ هذه المفاخر التي عدّدها أنّه إذا صادف الموت لا يقدر دفعه:

ولكنّني لم أُلفِ للموت مَدفعا يردُّ الذي قد خيفَ من سَطواته

وكما عجز بملكه وسلطانه عن دفع الموت عمّن يحبّ، يقرّ بأنّ المال أيضا عاجز عن دفعه عنهم، ولو أنّه كان بإمكانه افتداؤهم بالمال لفعل، ولكن لا حيلة له، لا بمال ولا بسلطان، وفي ذلك يقول: (٢) البسيط

لوْ كنتَ تفدى بالمال لابْتَدرتْ أَكفُّنا بالهباتِ للبِدَرِ
لكنّه من يردُّ صرْفَ ردى صرّف في آمرٍ وَمؤتَمرِ
لو ردّه الملك لانثنى وجِلا مقتدرا خوفَ بطشِ مُقْتَدرِ
لو دَفَعَتْه الكتائبُ اندفعت إليه بالبيض والقنا السّمرِ

ويقدّم اعتذاره لزوجته لعدم قدرته على حمايتها من الموت، مع أنّه حافظ لذمامها، لكنّ الموت أعجزه، وتغلّب عليه، وفي ذلك يقول: (٣) الكامل

أفلا نفي بعهودكم ومقامُنا مّتقبّل الحسنات من أعمالهِ
أنا من علمتم حافظٌ لذمامكم حِفظا أجِلُّ الملك عن إغفالهِ
والملك ملكي لو يُتاحُ فداؤكم لمنحتمُ المذخور من أموالهِ
ما كنتُ ممّن للوفاء بعهده يُتَعرّفُ الإعراضُ من إقبالهِ

---

١ . الدّيوان ، ص ١٦/ ١٧.
٢ . نفسه ، ص٧٨.
٣ . نفسه ، ص ٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا الصّورة الثانية من صور تصبيرهم لأنفسهم ومواساتها لما تجده من لوعة الألم والأسى لفقدان أحبّتها، فكان بتذكيرها بالأجر والثّواب المترتبيّن على ذلك، فهذا المعتمد يحاول أن يصبّر نفسه على فقدان ولديه متأمّلا أن يرحمه الله بهما، وأن يضاعف له الأجر، فيقول : ([1]) الطّويل

أَفَتْحٌ لقدْ فَتَّحْتَ لي باب رَحمةٍ   كما بيزيد اللهُ قدْ زادَ في أجري

ويقول : ([2]) البسيط

مُـخفّفٌ عن فؤادي أنْ ثُكلتُكما   مُثقّلٌ ليَ يومَ الحَشْرِ ميزانا
يا فَتْحُ قدْ فَتَحتْ تلك الشّهادةُ لي   بابَ الطّماعةِ في لُقْياكَ جَذْلانا
ويــا زيْدُ لقدْ زادَ الرّجا بكما   أن يشْفَعَ اللهُ بالإحْسانِ إحسانا
لمّــا شَفَعْتَ أخاكَ الفتحَ تتبعُهُ   لقّاكُما الله غُفْرانا وَرضْوانـا*

ويلتمس يوسف الثّالث من الصّبر على فقدان أخيه وولديه الأجر من الله في الدّنيا والآخرة فيقول : ([3])البسيط

هذي القوافي دَعَتْ للصّبر ناظِمها   ومـا له بمرامِ الصّبرِ من قِبلِ
لكنّه اللطفُ لطـفُ اللهِ يُـورِدُنا   مـوارداً صَفوها بُرءٌ من العِللِ
وَيَمْنَح الأجـرَ في دنيـا وآخرةٍ   بحرمةِ المجتبى المختارِ في الرّسلِ

ويسلّم يوسف الثّالث بحتميّة الموت راجيا من الله الأجر والثّواب على فجيعته بولده عبد الله فيقول : ([4]) الطّويل

رَجَوْنا لعبْدِ الله ما يبلغُ الأملْ   وما يقتضيه صالح القولِ والعملْ
فوافاهُ حكمُ اللهِ والقدرُ الذي   إذا كانَ منه الحكمُ فالأمر مُمْتثلْ
رُجوعاً إلى الحقّ اليقينِ فإنّنا   نُسلّمُ تسليمَ الأواخـرِ والأولْ
فُجعنا به والله يكتبُ أجرنا   كما فُجعتْ قبلُ الخلائف والدُّولْ

---

[1] . الدّيوان ، ص ١٦٣.
[2] . نفسه ، ص ١٦٦.
* البيت مكسور في الأصل .
[3] . الدّيوان ، ص١٠٦.
[4] . نفسه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا المحور الثّاني الذي دارت حوله مراثي الحكّام لمن فقدوهم فيتمثّل – كما سبق- بمدح المتوفى وذكر ما اتّصف به من صفات حميدة، جعلتهم يتحسّرون عليها بعد فقده ، وهذا الأمر مألوف في موضوع الرّثاء، فالرّثاء في حقيقته مدح، ولا فرق بينه وبين المدح إلا أنّه يتضمّن ما يدلّ على أنّه موجّه لميت ([1])، ومن ذلك قول الأمير محمّد بن عبد الرّحمن مخاطبا قبر والده، داعيا له بالسّقيا، ومعدّدا بعض مآثره كالكرم والتّقوى والورع : ([2]) الطّويل

ألا أيّها القبرُ الذي ضمَّ جسمَه سقاكَ من الأنواءِ هتّانُ ممرِعُ
ولقّى كريماً فيكَ روْحاً ورحْمةً مليكٌ إذا ما شاءَ يُعْطي ويَمْنَعُ
وكانت له كفٌّ يفيضُ نَوالها مدى الدّهرِ عن تَسْكابها ليس تُقْلع
وكانتْ لهُ جفنٌ تَجافى عن الكَرى ونفْسٌ تُناجي اللهَ والنّاسُ هُجّعُ
وصومٌ وتسبيحٌ وذكرٌ وخشيةٌ وطول صلاةٍ أجرها لا يُضيّعُ

ويقول سعيد بن جودي في رثاء أحد القادة متحسّرا على محامده التي فقدت بموته : ([3]) الطّويل

فيا عَجَباً للقَبْرِ منْهُ يضمُّهُ وقد كان سهلُ الأرضِ يخشاهُ والوعْرُ
وما مات ذاك الماجدُ القَرْمُ وحدهُ بل الجودُ والإقدامُ والباسُ والصّبرُ

ويتحسّر يوسف الثّالث على فقد والده، مشيرا إلى شجاعته ومكانته وهيبته في النّفوس، فيقول:([4])البسيط

أوْدى الزّمانُ بمن كنّا نلوذُ به في حالتيْه معا في العُسْرِ واليسرِ
فلا تقِ بجفون بانَ ناظرُها ولا بملك فقيد السّمعِ والبصرِ
غمّض جفونك لا تنْظُرْ إلى أحد فليْس بعدَ أفول البدرِ من نظرِ
واعْجَبْ من الدّهر والأيّامِ إذ طَمَسَتْ مطالعَ الزّهر أو أخْفَتْ شذا الزّهرِ
هل كان إلا حيا يحيى العبادُ به هل كان إلا قذىً في عينِ ذي عَوَرِ
إن قالَ قولاً ترى الأبصارَ خاشعةً لما يُحبرُ منْ وحي ومن خَبَرِ
أو قامَ في مُنْتدى أو حلَّ فيه حبا أراكَ حِلْم ابن قيس في تقى عمرِ

[1] . ينظر تفصيل ذلك في نقد الشّعر ، ص ١٠٠، وفي العمدة ، ج٢، ص ١٦٦.
[2] . ابن الأبّار ،الحلّة ، ج١، ص ٢١٤.
[3] . نفسه ، ص ١٥٩.
[4] . الدّيوان ، ص ٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتحسّر على فقد أخيه مصوّرا مكانته الكبيرة عنده، وأنّه افتقد بفقده أشياء كثيرة كان يكفيه فيها، فيقول: مجزوء الخفيف:

كنتَ ذُخْري وعدّتي خَلَفاً لي مـمن سَلَـف
كنتَ أنْسي وراحتي ساعدا في الـوغى وكف
كنتَ سمعي وناظري فمحتْ نورك السّــدف
كنــتَ درّا أصونه فَتشظّى عـن الـصّدف
كنتَ شمسي فنورها في ضحاها قدْ انخَسـف

ويرثي المعتمد نفسه قبل وفاته بأبيات أمر أن تكتب على قبره، افتخر فيها بنفسه، ودعا لقبره بالسّقيا؛ أن ضمّ أشلاءه بما اتّصفت فيه من مفاخر ومحامد ذكر منها: الحلم والعلم والقوّة والبأس والكرم، فقال: ([1]) البسيط

قَبْرَ الغريبِ سَقاكَ الرّائِحُ الغادي حقّـا ظفرتَ بأشـلاء ابنِ عـــبّادِ
بالحِلْمِ بالعلْمِ بالنّعمى إذ اتّصلتْ بالخصْبِ إن جدبوا بالرّي للصّادي
بالطّاعنِ الضّاربِ الرّامي إذا اقتتلوا بالــموت أحْمرَ بالضّرغامةِ العّادي

ويقرّ في آخر أبيات هذه القصيدة بحتميّة الموت، ويتحسّر على نفسه حيث سيُحمل فوق أعواد، فيقول :

نَـعَم هو الحقُّ وافاني به قَدَرٌ مِنَ السّماءِ فَوافاني لِميعـادِ
وَلَمْ أكُنْ قَبْلَ ذاك النّعْشِ أعْلَمُهُ أنّ الجبال تَهَادى فَوْقَ أعوادِ

ومن صور الرّثاء قبل وقوع الموت وإظهار التّحسّر على المحامد التي اتّصف بها المرثي، قول يوسف الثّالث في مقطوعة صدّرها بقوله نثرا :" ومن إثارات الفكر حالُ مرض،والله حافظُ جوهرِ المجد من كلّ عرض الطّويل:

إذا أحمد ولّى فلا مطر الحيا ولا زال ملتزّا على الزّمنِ القحْـطِ
إذا ما أبو العبّاس أُنزلَ حفرةً ووارَاهُ صَلْدٌ من صفا الصّخرِ مشتط
فقد ذهَبَ المجْدُ الصّريحُ بفقْدِهِ وقد فُقد المعروفُ والخـلقُ السّبط

[1] . الدّيوان ، ص ١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا كانت "الصّفات التي ترثى فيها المرأة قليلة" ([1])، فلم يظهر في رثاء الثّالث – أكثرهم نظما في الرّثاء ورثاء المرأة خاصّة- ذكر لما اتّصفت به من محاسن خَلقية وخُلقية، سوى في بعض المواطن التي ذكر فيها بعض أخلاقها، ووصفها بالنّجم الذي غيّب في الثّرى

فقال ([2]) الوافر

فوا أسفا على سَكَنٍ صفيّ سجيّته خُلوصٌ واعتقادُ

ويقول:

فغُيّبَ في الثّرى نجمُ الثّريّا وأقفرتِ الرّوابي والوِهادُ

ويشبهها بالأشعّة عند أفولها، وبالبدر، فيقول: ([3]) الكامل

أفلتْ أشعّتُكُم وكانت مطلعا يُلقي لِدنيا النّور بَدْرُ كماله

يتبيّن من دراسة أشعار الرّثاء التي نظمها عدد من حكّام الأندلس أنّ هذه الفئة من الشّعراء كادت أن تحصر رثاءها في الأقارب، ولم تتجاوزهم إلى غيرهم إلا قليلا. وقد عبّر الحكّام في رثائهم عن حزنهم وتألّمهم لفقدان الأحبّة من ذويهم، فصوّروا الألم الذي ألمّ بهم لفقدهم، ولعجزهم عن دفع الموت عنهم، وهم من يقهرون الأعداء في ساحات القتال، وهم أيضا من عندهم من المال ما يبلغون به ما يريدون، ولكنّهم مع ما أوتوا من قوّة في الملك والمال لم يجدوا دافعا للموت إذا ما طرق بابهم، لذا لم يكن أمامهم إلا أن يسلّموا له بالرّضا والقبول، طلبا للأجر والثّواب من الله- تبارك وتعالى -. وتناول الحكّام في رثائهم مدح المرثيّ وذكر مفاخره ومحامده التي كان عليها، متحسّرين على ذهابها بوفاتهم ، وهذا المعنى في الرّثاء كثير ومطروق .

[1] . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة ، ج ٢، ص ١٧٢.
[2] . الدّيوان ، ص٥٥.
[3] . الديوان ، ص ٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا :الشّعر الدّيني:

يأتي هذا الموضوع الشّعري قياسا بما تقدّم من الموضوعات التي نظم فيه الشّعراء الحكّام الأقلّ حضورا في شعرهم، وقد كان حضوره عند قليل منهم، كابن الأحمر ويوسف الثّالث والمعتمد وابن أحلى، حتّى هؤلاء الشّعراء لم يكثروا من النّظم فيه، إذ اقتصر نظمهم على مقطوعة أو مقطوعتين قصيرتين، باستثناء ما نظمه ابن الأحمر الذي كان قد نظم فيه مطوّلتين في المديح النّبويّ .

دارت مضامين الشّعر الدّينيّ عند هؤلاء الشّعراء حول: المديح النّبويّ، والتّشوّق لزيارة الحجاز، والزّهد، وهناك معانٍ أخرى تضمّنتها موضوعاتهم الشّعريّة الأخرى يأتي ذكرها في موضعه .

ظهر المديح النّبويّ في شعر إسماعيل بن الأحمر، حيث نظم فيه – كما أسلفت – مطوّلتين ، تدخلان تحت باب من أبواب المديح النّبويّ يسمّى المولديات، ويعرّفها ابن الخطيب بأنّها " القصائد المنظومة في مدح رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- والإشادة بميلاده، وذكر معجزاته ثمّ التّخلّص إلى مدح السّلطان، وذكر خلاله وإطراء تخفّيه بهذه الدّعوة " (١) ومن تعريف المولدية هذا يبدو أنّها تتألّف من مجموعة من العناصر التي " يغلب حضورها في معظم المولديات وهي: المقدّمة، ومدح الرّسول –عليه السّلام-، ومدح السّلطان، والتّوسّل أو المناجاة، والخاتمة، وقد تستفتح المولدية بمدح الرّسول –عليه السّلام- مباشرة فتستغني بذلك عن أنواع التّقديم الذي يكون في حال وجوده وقوفا على الأطلال، أو نسيبا يلزم حدود اللياقة والاحتشام"(٢).

وفي مولدية ابن الأحمر التي نظمها ورفعها إلى مقام السّلطان أبي عامر عبد الله بالمدينة البيضاء بحضرة فاس، توفرت عناصر المولدية التي ذكرت سابقا ، فافتتحها بمقدّمة طلليّة، ثمّ خرج منها إلى مدح الرّسول –عليه السّلام- ، ثمّ ختمها بمدح السّلطان. أمّا المقدّمة فقد تناول فيها الحديث عن ديار المحبوبة وترائيها أمامه، ثمّ وصف ما هيّجه ذلك عنده من الشّعور باللوعة والشّوق للقائها، فقال: (٣) الطّويل

تراءَتْ بباب السّرْحتينِ ديارُها فروّض روضُ الودّ حيث ازديارها

ديارٌ بها أرسَلَتْ دمعتي هوى غداة بها نفسي أطيل اعتبارها

وقفتُ بها مُسْتوقدا نار لوعتي وقد أُجِّجتْ في ساحة الشّوقِ نارُها

---

١ . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، نفاضة الجراب ، ج٣، ص ٢٧٩.عن القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن ، ج٢، ص ٣٤٨.

٢ . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن الهجريّ، ص ٣٤٨.

٣ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويواصل الشّاعر في هذه المقدّمة تصوير شوقه إلى لقاء المحبوبة ، وشدّة تهيامه بها، وما يلقاه من الوجد، إلى أن يخلص من ذلك إلى الموضوع الرّئيس في مولديته مدح الرّسول – عليه السّلام -، وذلك بتصوير طول ليله وما يعانيه فيه من وجد وحرقة حاول أن يخفّف من شدّة وطأتهما عليه بتسلية نفسه وإشغالها بمدح الرّسول – عليه السّلام -، وذكر فضائله التي جاء بها، ويصوّر كيف كان سببا في هداية النّاس، فيقول :

تطاولَ ليلي في قصيرِ منامه فعيني أُنيلت بالسّهادِ غرارها
وأشغلتُ نفسي في امتداحِ محمّدٍ وتلك معالٍ قد أقيمَ منارها
قَرأْتُ بها منه الهدايةَ بدأةً بمرشدةٍ راضتْ وطاب ادّكارها
أتى ومُحيّا الدّينِ يبسم ثغْرُه بآيات صدقٍ مستطاب صدارها
وجاءَ وبرهان الرّسالةِ واضحٌ كما وضحت شمسٌ أضاء نهارها
وأبدى من الآياتِ ما بَهَرَتْ وما تردّد منها في البرايا اشتهارها

ثمّ يعرض الشّاعر للحديث عن معجزات الرّسول – عليه السّلام - ، وأشهر الأحداث التي مرّت في حياته، فيذكر منها –مثلا- انشقاق القمر، ونطق الحجر بين يديه عليه السّلام، ونجاته من التآمر على قتله، وكيف افتداه عليّ – كرّم الله وجهه -، وقصّته مع الصّديق في الغار ...، ومن ذلك قوله :

وحنّ له جذعٌ من النّخلِ يابسٌ كما حنّ في نوقِ الفراقِ عِشارها
أنامله أمـواهها قدْ تفجّرت فروّت عِطاشا قدْ أتاها انفجارهـا
كأنّ عجاج الأعوجيّات فوقه دياجٍ على بـدر أمدّ إزارهـا
ألَيْسَ عجيبا بين لحم ومن دمٍ تسـيلُ مياهٌ لا يُـرامُ انهمارها

ثمّ يعبّر الشّاعر عن شوقه للرّسول عليه السّلام، ويسأله الشّفاعة، ثمّ يخرج بعد ذلك إلى آخر عناصر المولدية، مادحا السّلطان، ذاكرا فضائله ومناقبه الحميدة، وقد أجاد الشّاعر في التّخلّص من الموضوع السّابق إلى هذا الجزء، وذلك بقوله:

نعمنا بميلادِ النّبيّ لأنّـــه به النّفسُ في عفْو يقالُ عثارها
لدى حضرةٍ للمُلْكِ فيها خلافةٌ أقرَّ على تقوى القويّ قرارهـا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويطنب الشّاعر في الخاتمة في ذكر محامد السّلطان ومفاخره، ويمدح معه أيضا قومه ، فيذكر ما اتّصفوا به من فضائل جادوا بها على النّاس، ومن ذلك قوله:

هم جالدوا قرنا فمادَ لدى الوغى فأُجْري من تلك الدّماء ممارهـا
من القومِ قد فضّوا ببيضِ سيوفهم سوادَ صفوفٍ قدْ أُقيمَ مغارهـا
مطاعينُ والصّبحُ استضاء اتّضاحه مطاعيم والجُلّى أجيل اعتكارهـا
طِوال القنا شُمُّ الأنوفِ وإنّهم أباحوا العطايا حين تحْمى ذمارها

وفي مليكهم يقول :

وملكهم السّامي الذّؤابة فخره به رصَّ في بيتِ الملوكِ افتخارها
أبو عامر فخر الملوكِ أقيم في مراقي عُلاهم حيث حلَّ كبارهـا

ويستمر الشّاعر في مدح السّلطان وقومه إلى أن يصل إلى القول: إنّهم هم من كانوا أهلا لتولّي زمام الخلافة، وبذلك يختم مدحه له ولقومه فيقول:

أبوكَ الرّضا بالملك وصّاه فيهم فأنجمَ ذاك السّؤل ضاء ازدهارها
ومن بينهم من قادَ خيرَ خلافةٍ إليكَ على طوعٍ فأردي نفارهـا
حبوت برفع لا بخفض عواملا نصبت بها لما أقيـم اختيارها

ويسير ابن الأحمر في مولديته الثّانية على نهج هذه المولدية، فيفتتحها بمقدّمة طلليّة، ثمّ ينتقل إلى مدح الرّسول -عليه السّلام – وذكر معجزاته، ثمّ يختمها بمدح صاحب الأشغال السّلطانية أبي الحسن علي بن علي القبائلي. ويجد الدّارس لهذه القصيدة تقاربا كبيرا بينها وبين القصيدة السّابقة في النّهج الذي سار عليه الشّاعر في الأجزاء، والمعاني التي تناولها، وقد أخذ محمّد رضوان الدّاية عليه في هاتين المولديتين أنّ الشّعر كاد " يستحيل إلى نثر أو يغدو من النّظم التّاريخي " (١)، كما أخذ عليه أيضا أنّه كان يتكلّف أكثر ممّا يتعاطف، وأنّه قصر في هذا الموضوع عن كثير ممّن تعرّضوا فيه بسهم وقد اتّفق عبد الحميد الهرّامة مع الدّاية في رأيه ذلك، فرأى أن هاتين القصيدتين تقلان في مستواهما عن مستوى المديح عند ابن زمرك، ورأى أنّ سرد المعجزات قد زادهما نثريّة أثّرت في الأسلوب وأحالت العملين إلى ما يشبه النّظم التّاريخيّ.

١ . الدّاية ، محمّد رضوان ، نثير فرائد الجمان ، القسم الأوّل ، ص ١٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليوسف الثّالث مساجلة غينيّة *، جعل موضوعها أعلق بالمديح النّبويّ، وقد أشار الهرّامة إلى أنّنا لا نجد فيها ما هو معهود في المساجلات الأخرى من ثنائيّة الصّحّة والفراغ ([1])، وفي هذه المساجلة يعبّر يوسف الثّالث عن شوقه لزيارة قبر الرّسول – عليه السّلام - ، فيتمنّى زيارته وتقبيل ترابه، كما يصوّر حبّه الشّديد للنّبيّ عليه السّلام ، فيقول : ([2]) الطّويل

ألا ليتَ شِعْري هل أفوزنَّ بالمنى ... وهل لي إلى قبرِ الرّسول بلاغُ
وهل أصبحنْ يوماً أقبّل تربةً ... تُحَطّ ذنوب عندها وتراغ
فما لي سوى حبّي إليه وسيلةٌ ... وحسْبي زادَ حبُّه وبلاغُ

وليوسف الثّالث مقطوعة حجازيّة يصوّر فيها شوقه لزيارة الحجاز، ويذكّر فيها زيارات مضت، فيقول مشتاقا ومتذكّرا : ([3]) الطّويل

يقولون هذا العيدُ قلتُ وبالحرى ... تعودُ ليالٍ بالمصلّى عهدناها
ليالٍ هدتْ منّا القلوبَ إلى الهوى ... وضلّتْ بنا الأحلامُ حتّى نشدناها

ويقول أيضا البسيط:

تألّق البرقُ مجتازا فقلتُ له ... يا برقُ تُذكِرُنا من لسْتُ أنساه
منازلَ الأنسِ من قلبي ذَهبْتَ بها ... فكيفَ أترُكه والقلبُ يرعاه

وله أيضا مقطوعة كتبها – كما قال في مفتتحها – ضراعة وتوسّلا، لا بالنّبيّ عليه السّلام وإنّما بسبطيْه: الحسن والحسين، وقد بدأ هذه المقطوعة بالتّعبير عن مكابدة الشّوق والحنين، فقال: المتقارب:

تطاول ليلي بالأبرقَيْن ... ونامَ الخليُّ عن العاذلَيْنِ
وبتُّ أساجلُ شهبَ الدّجى ... بمحضِ النّضارِ وذوب اللجَيْنِ
وأسْتوقف البرقَ مُسْتفهما ... أكابدُ من خفقه جمرتَيْنِ
فأحرق قلبي بذات الغضا ... وأهمل عينيَّ بالملزبَيْن

---

* عرّف الهرّامة فن المساجلات بأنّه : المجاراة بين الشّعراء في معارضة قصيدة كانت مثار إعجابهم بقصد التّباري في إدراك شأوها ، ومسابقة الآخرين في ذلك . وذكر الهرّامة أنّ هذا اللون من الشّعر كثير في المائة الثّامنة . ينظر القصيدة الأندلسيّة ، ص ٣٤٥.

[1] . نفسه ، ص ٣١٨.
[2] . الدّيوان ، ص ١٤١.
[3] . نفسه ، ص ١٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان شوق الشّاعر للعراق ومن سكنها من آل بيت الرّسول عليه السّلام : الحسن والحسين، وبهما يتوسّل ويطلب الشّفاعة، ويبدو من حبّه الشّديد لهما أنّه كان شيعيّ المذهب، ففي آخر هذه المقطوعة يصرّح بذلك ، فيقول :

وخصّ العراق من دونهم سلام مشوقٍ إلى الرّافديـــن
وقولا غريبا عدته الذنوب فأهدى هواه لقبرِ الحسيـــنِ
لئن حلّ جسمي بالمغربينِ فقد صار قلبي بالمشرقيـــنِ
بِسبْطيْ نبي الهدى أبتغي وأرجو الشّفاعة من دون مَينِ

ويظهر تشيّعه من قوله :

تَخـذْتُ مـحبّتهم عـــدّةً لأخذ النّواصي وَعضِّ اليدينِ
وحسبي الشّفيعُ إذا ما الذّنوبُ أحاطتْ بنفسيَ في الموقفينِ
جـعـلتُ التّشيّعَ فـي آله وسـائلَ أرجو بـها الحُسْنيينِ

و كان الزّهد من موضوعات الشّعر الدّيني التي ظهرت في شعرهم، فقد تضمّن شعرهم عددا من المقطوعات، تجلّى منها يقينهم بأنّ الدّنيا نعيم زائل لا محالة، وأنّ سعادتها لا تدوم، فلا يغترر بها أحد، ومن ذلك ما نظمه الأمير عبد الله بن محمّد مخاطبا من يمنّي نفسه بطول البقاء ولا يحسب للموت حسابا، فيقول : (١) مجزوء الكامل

يا من يراوغه الأجلْ حـتَّامَ يُلْهيكَ الأملْ
حتّامَ لا تخشى الرّدى وكأنّه بكَ قـدْ نَزَلْ
أغْفَلْتَ عن طلبِ النّجا ةِ ولا نجاة لمن غَفَلْ
هيهات يَشغلُكَ الرّجا ءُ ولا يدوم لك الشُّغُلْ

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وله أيضا يصوّر زهده في الدّنيا وهوانها عنده، لعلمه أنّ الموت نهايتها، ويوصي بالرّجوع والإنابة إلى الله، فيقول:([1]) الوافر

أرى الدّنيا تصيرُ إلى فناءِ وما فيها لشيءٍ من بقاءِ
فبادرْ بالإنابةِ غيْرَ لاوٍ على شيءٍ يصيرُ إلى فناءِ
كأنّك قد حُملْتَ على سريرٍ وصارَ جديدُ حُسْنك للبلاءِ
فنفسكَ فابكها أو نُحْ عليها فرُبّتما رُحِمْتَ على البكاءِ

لا يخفى ما في المقطوعتين السّابقتين من إدبار الشّاعر عن الدّنيا وزهده ما فيها من متع وملذّات، ولعلّ مردّ ذلك إلى عدم استقرار ملكه وتنغّصه عليه؛ إذ جعله ذلك يرى من الدّنيا جانبها الآخر، فلو كان ملكه مستقرّا آمنا لما كانت هذه هي نظرته للدّنيا ، بل لكان أكثر إقبالا عليها، ومثل هذا الموقف نجده واضحا عند المعتمد بن عبّاد، ففي ظلال السّلطة والملك كان مثالا للإقبال على الدّنيا بكل ما فيها من متع وملذّات، ولكنه بعد محنته وإدبارها عرف منها وجهها الآخر، فأدرك عندها أن نعيمها لا بدّ زائل، الأمر الذي جعله يزهد فيها، وعن ذلك يعبّر فيقول : ([2]) الوافر

أرى الدّنيا الدّنيّةَ لا تُواني فأجْملْ في التّصرُّفِ والطّلابِ
ولا يَغْرُرْكَ منها حُسْنُ بُرْدٍ لهُ عَلَمانِ مِنْ ذهبِ الذّهــابِ
فأوّلها رجـاءٌ مـِنْ سرابٍ وآخـرها رِداءٌ مــن تُرابِ

ويصوّر محمّد بن طاهر القيسيّ زهده في الدّنيا، لمعرفته بزوال نعيمها، في أبيات قالها كما يبدو في شهر الصّوم، فعبّر عن حاله فيه مع الله – تعالى - وقد أخلص له النّيّة، لترتقي منزلته عنده –تعالى -، فيقول: ([3]) الطّويل

هجرتَ من الدّنيا لذيذ نعيمها لأنّك لا ترضــاه إلا مُخلّدا
وقضّيْتَ شهرَ الصّومِ بالنّيّة التي رقيتَ بها في رتبةِ القُدس مُصْعِدا
وودَّعَ عن شوقٍ إليكَ مبرّح فلو كان ذا جفنٍ لبــات مسهَّدا

[1] . نفسه
[2] . الدّيوان ، ص ١٥٢.
[3] . نفسه ، ج٢، ص ٢٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى ما يبدو أنّ محمّد بن أحلى قد عرف حقيقة الدّنيا مبكّرا من حياته، فعرف يقينا أنّ نعيمها زائل، وأنّ الموت قادم، الأمر الذي جعله يشيب قبل أوانه، ويزهد فيها،

وفي ذلك يقول: ([1]) الطّويل

خليليَّ قدْ ضاقتْ عليَّ مذاهبي ... وكَفكفتُ نفسي عن جميع مطالبي
وضاقتْ جفون العينِ عنْ عبراتها ... لأمرٍ يراه الخُبْرُ ضربةَ لازبِ
وَشبْتُ ولم أبلُغْ ثلاثين حِجّةً ... لِحُجّةِ جبّارٍ على الخلقِ غالبِ
دعاني وشجوي والأسى وبلابلي ... فلا تَعْذلاني في الدّموعِ السّواكبِ
أألتذُّ بالدّنيا وأرنو لحسْنها ... ولستُ إليها بعد موتي بآيبِ

ولمحمّد بن أحلى بعض الأشعار التي بدا فيها منقطعا إلى الله – تعالى – عارفا به، ومسلّما إليه، ومقرّا له بالوحدانيّة والتّفرّد، منها قوله: ([2]) الكامل

المرءُ يعلمُ بالضّرورة نفسَهُ ... والثّابتُ الموجودُ حيٌّ واحدُ
والخلقُ بينَ حقيقةٍ ومُقدَّرٍ ... تقضي عليه بالافتقارِ شواهدُ
فانْظُرْ بعقلكَ إن بدا لكَ شرحُ ذا ... كَ فأنْتَ حَبْرٌ مستقيمٌ راشِدُ

ويتجلّى حسن يقينه بالله وتعلّقه بأسبابه من قوله: ([3]) الطّويل

تقطّعتِ الأسبابُ ثمَّ بقيتَ لي ... فهل أشتكي يوماً من الذّلِّ والفقرِ ؟
لئن لم يكن منك البعادُ فإنّني ... سَيَغْبِطُني أهْلُ الملامةِ في أمري
فلو عرفوا منك الذي قد عرفْتُهُ ... للاحَ لهم تفريطُهم وبدا عُذري
سواءٌ لعمري ذمُّهم وثناؤهمْ ... إذا كنتَ تدْري من عبيدكَ ما تدري

---

[1] . نفسه ، ص ٣١٦.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة، ج٢ ، ص ٣١٦.
[3] . نفسه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعاني الدّينيّة التي ظهرت في شعرهم اللجوء إلى الله –تعالى – والاستعانة به وقت الشّدائد؛ إذ لم يجدوا معينا ومصبّرا سواه على ما أحاط بهم من مصائب ومتاعب ألمّت بهم، وقد تجلّى هذا المعنى في عدد من الموضوعات التي درسناها سابقا: كالرّثاء والشّكوى ، وقد مثّلنا على أشعارهم التي تبيّن فيها ذلك وبه نكتفي .

سابعاً :المديح:

جرت عادة الشّعراء أن يتوجّهوا بالمدح إلى ذوي المكانة من أصحاب السّيادة والمنزلة الرّفيعة :كالملوك والأمراء وغيرهم من ذوي السّلطة، ويأتي مدحهم لهم في كثير من الأحيان طمعا في الوصول إليهم ونيل عطائهم وصلاتهم الماديّة والمعنويّة . وبما أنّ الحكّام قد نظموا في هذا الموضوع وهم – في الأعم الأغلب – من يُتَوجّه إليهم بالمدح، فمن الذين وجدوهم أهلا لمدحهم والثّناء عليهم؟ وهل كانت ثمّة غاية عندهم هدفوا إلى تحقيقها من مدحهم ؟ وما هي المعاني التي مدحوا بها ؟

توجّه الشّعراء الحكّام من خلفاء وأمراء بمدحهم إلى ذوي المكانة الكبيرة عندهم سياسيّا واجتماعيّا، كأن يمدح الواحد منهم أباه أو أحد الأصدقاء المقرّبين أو ذوي المكانة السّياسيّة ممّن يتساوون معهم في المنزلة من الملوك أو الأمراء، وقد يكون الدّافع من وراء مدحهم محاولتهم توطيد العلاقة معهم من النّاحية السّياسيّة والاجتماعيّة في بعض الأحيان، وهذا ما سنحاول تبيّنه من دراسة مدائحهم .

دارت أكثر المعاني التي امتدح بها الحكّام غيرهم حول فضيلتي: الكرم والشّجاعة، هاتين الفضيلتين اللتين كانتا المحور الرّئيس الذي دارت حوله مفاخرهم ومدحهم لأنفسهم. ومن الأمثلة على ذلك في شعرهم مدح المعتمد بن عبّاد لأبيه المعتضد، إذ ركّز في مدحه له على تأكيد اتّصافه بالكرم والشّجاعة، لا سيّما حينما كان يمدحه بين يدي حاجة كان يتقدّم إليه بطلبها ،فكأنّه كان يتوسّل بامتداحه بهما (الكرم والشّجاعة) ليؤثّر فيه، فيذكّره بأنّهما من شمائله التي لم يفتأ يردّدها في فخره، فيتأثّر بذلك ولا يردّه خائبا، ومن أشعاره التي ظهر فيها تركيزه على ذلك المعنى تلك القصيدة التي ذكرها الشّقندي في رسالته ، مفاخرا بالمعتمد ملكا شاعرا([1]).

[1] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣ ، ص ١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعلّ تفضيل الشّقندي لتلك الأبيات نابع من جمال التّعبير والتّصوير فيهما، إذ مدح المعتمد والده بالكرم والقوّة ، وبيّن أثر اتّصافه بهما في تعامل النّاس معه، إذ كانوا يتعاملون معه بصورتين: إمّا مقبلين على كرمه وعطائه ، أو خائفين من قوّته التي أضعفت الجبابرة . وتظهر هذه المعاني في قول المعتمد (١) : البسيط

سَمَيْدعٌ يَهَبُ الآلاف مُقْتدرا ويستقلُّ عطاياهُ وَيحْتقِرُ
لهُ يدٌ كلُّ جبَّارٍ يقبّلها لولا نداها لَقُلْنا إنّها الحَجَرُ

ويلحّ المعتمد على مدح أبيه بهاتين الفضيلتين، فيتحدّث عن كرمه وجوده، ويرى أنّه بلغ من ذلك حدّا جعله ظالما للأموال، ويصوّر شجاعته وإقدامه، وهو باتّصافه بهاتين الخلّتين يجمع بين ما يجعل النّاس يقبلون عليه طمعا ورغبة في عطائه، وما يجعل النّاس - لاسيّما الأعداء -يهابونه ويخافون منه، وفي ذلك يقول: (٢) السّريع

يَا مُتْبعَ الإكرامِ إنعاما وَمُتْبع الإنعامِ إتمامـا
وعادلاً في النّاسِ لكنّه أصْبَحَ للأموال ظلامـا
قَرَنْتَ في كفِّكَ بحْرَ النّدى بِصارمٍ أسْكَنْتَهُ الهامـا
وَجُمِّعَتْ فيكَ خِصالُ الورى وَحُزْتَ آراءً وإقْدامـا
فالموتُ والعيْشُ بيمناكَ قَدْ صرّفتَ أسيافاً وأقلامـا

ويثني على جمعه بين الجود والإقدام والشّجاعة فيقول:(٣) السّريع

يا أيُّها الملِكُ الذي لمْ يَزَلْ يَسْري إلى غرّته السّاري
وَجـامِعاً في كفّه بالنّدى والـبأسِ بيْنَ الماءِ والنَّارِ
اهنأ فقدْ نِلْتَ الذي تشتهي نَفْسُكَ واشْكُرْ نِـعَمَ الباري

ويمدح المعتضد أباه أيضا بالقوّة والشّجاعة والكرم فيقول :(٤) الطّويل

ألا يَا مليكاً يُرْتجى وَيُهَابُ وَبَحْراً له في المكرُماتِ* عُبابُ

---

١ . الديوان ، ص ١٠٠
٢ . الديوان ، ص٩٢.
٣ . نفسه ، ص ٩٣.
٤ . ديوان المعتضد، ص ٢١٥.
* في الدّيوان المكرومات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمدح الأمير يعقوب بن عبد الرّحمن ابن أخيه أبا أميّة العاصي ويثني على طيب أصله، وسعيه للمكارم، وقوّة بأسه وكرمه فيقول:([1]) الوافر

تُنادي ماجداً من عبدِ شمسٍ زكيَّ الفَرْعِ مفضالَ اليدينِ
سما للمكرمات فقدْ حواها بـهنديّ وخطّارٍ رديْنـي
وغيثاً حينَ يَسْكُبُ لا الثُّريّا به جادتْ ولا نَوْءُ البُطَيْنِ

ويمدح محمّد بن طاهر القيسي أحدهم ويثني عليه باتّصافه بالعدل وسعيه لقتال الأعداء، فيقول: ([2]) الرّجز

لمّا وجدتَ العالمينَ تقسّموا قسمينِ: من حزبٍ ومن أعداءِ
قسّمْتَ عدلك فيهمو قسمينِ قد شملاهُمُ : من نعمـةٍ وشقاءِ
للأجرِ جاهدتم عُداةَ الدّينِ لا أنّ العُداةَ لكم من الأكفـاءِ

ويمدح إسماعيل بن الأحمر ابن عمّه أمير المسلمين الغنيّ بالله محمّد، فيثني على دوره في حماية الدّين ونصرته، وعلى سيرته الحسنة التي شابهت سيرة الفاروق – رضي الله عنه- ، فيقول: ([3]) الطّويل

أبى الله إلا أن يُملِّكَكَ الدّنيا ويحمي بكَ الإسلامَ إذ حُطته رعـا
حميتَ جنابَ اللهِ فضلاً ولم تَزَلْ تراقبُ فيه أمْرَ ربّـكَ والنّـهْيـا
وأعْزَزْتَ دينَ الله لـما نَصرته فقد نسختْ معنى السّماعِ به الرّؤيـا
وسِرْتَ لعمري سـيرةً عمريّةً بها قرَّ عينُ الدّينِ واعـتزّتْ العُلْـيا
وقد خَضَعَتْ صيدُ الملوكِ لأمركم وليسَ لـها إلا اتّباعُكُم رأيـا
ومن حادَ منهم عن مراميك كلِّها يلاقي الرّدى من بعدِ أن يوسع الخزيا

[1] .ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ١٢٥.
[2] . نفسه ، ج٢ ، ص ٢٣٤.
[3] . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ٨٥/، ٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمدحه أيضا بالجود والكرم، فيصوّر جوده في غزارته بالغيث الذي يحيي الأرض الموات، ويدعو عفاة النّاس ليقصدوه فينالوا من عطائه، فيقول :

سَقَيْتَ بغيثِ الجودِ ما كان ماحلاً حناناً وإحساناً فيا حبّذا السُّقيا
ألا يا عُفاة الأرضِ طُرّاً تبادروا إلى جودِ ملكٍ فضلُهُ غَمَرَ الدّنيا

ويعود الشّاعر في القصيدة ذاتها ليؤكّد اتّصاف ممدوحه بالقوّة والشّجاعة فيقول :

ولاحَتْ بروقُ الهند وامتلأ الفضا بصلصالِ رعدِ الطّبلِ أعْظِمْ به شيَّا
وَطأطأتْ الأرماحُ تدمي أُنوفها وأحْكَمَ طيرَ النّبلِ مرْسِلُهُ الرّميـــا
أراكَ مُحيّا تالياً سورة الضُّحى وقلْباً على الأعداءِ قد رَكِبَ البغيا

ولأنّ صفة الكرم – كما تبيّنا سابقا – من الصّفات التي يحبّ الحكّام الاتّصاف بها، وبذلك يفتخرون فإن الشّاعر أكّد في غير موضع من هذه القصيدة اتّصاف الممدوح بها، فهاهو ذا يعود ليمدحه بالكرم ويذكر فضله على النّاس ودوره في سدّ حاجاتهم، فيقول:

على فضْله قدْ أصْفَقَ النّاسُ مثلما على مُلْكه حتماً تطابقه الفُتيا
بنى حرماً للمكرمات تحجّهُ عفاةُ الورَى أكْرِمْ بمورده ريَّا

ويقول أيضا:

كفيلٌ بتيسيرِ الأماني وضامنٌ عن الدّهرِ ألا يمْنَعَ السّائلَ الرّعْيا
غدا المدْحُ صعباً في سواهُ وإنّهُ غدا فيه سهلاً إذْ لداثرِهِ أحيى
أفاضَ على العافينَ طرّا مواهباً بأفضاله وَعْداً لهم منــه مأْتيّا

وهذه القصيدة طويلة ظلّ الشّاعر يلحّ فيها على مدح السّلطان باتّصافه بفضيلتي: الكرم والشّجاعة، يذكرهما متنقّلا بينهما إلى أن ختم القصيدة بتوجيه الخطاب إلى قوم الممدوح، فهنّأهم به، وأشار إلى أنّهم حازوا به فخرا وعزّا لولاه لم يظفروا به، فقال :

أأبناء نصرٍ حُزْتُم بمليككُم فَخاراً بما يُلْفى مدى الدّهْرِ مخْفيّا
أشادَ لكمْ مُلْكاً وعزّاً مؤبّداً فلا زالَ مأثوراً مدى الدّهْرِ مرويّا
لنا اللهُ كمْ حُزْنا بِهِ منْ مفَاخر تنافى بها عنَّا العَنا في الورى نَفْيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمدح الشّاعر صاحب الأشغال السّلطانيّة أبا العبّاس، بالكرم والجود، وذلك في خاتمة إحدى قصائده المولديّة، فيقول :([1]) الطّويل

أقلُّ عطاياهُ متى جئتَ زائراً وأنْزرها ألا يروعكَ إقلالُ
له إن تشأ جودٌ خضمٌ غطامطُ* ولكنه عذب المشاربِ سلسال
تودُّ الغمار الطّاميات لو أنّها تمادُ لما ينسابُ منه وأوشالُ

لعلّ إلحاح ابن الأحمر على فضيلة الكرم عند الممدوح نابع من حاجته، فهو بعيد عن وطنه، يعيش تحت رعاية الممدوح وفي كنفه، لذا كان لزاما عليه أن يثني على جوده ويلحّ في ذلك، شكرا له من جهة، وحرصا على دوام العطاء من جهة ثانية .

وحال ابن هود شبيهة بحال ابن الأحمر، فقد ظلمه هو الآخر بنو عمّه، فتوجّه إلى الملوك يعيش في كنفهم وينال من عطائهم، لذا نجده يمدح المتوكّل أيّام سلطانه ببابرة، لما وجده عنده من مكارم نالها بنفسه، فيقول البسيط:

يا خائفَ الدّهرِ يمّم أرضَ بابرةٍ تأمنْ وتكفى الذي تخشى من الحَذَرِ
وواصفَ البحرِ في شتّى عجائبه حدّث بلا حَرَجٍ عنه وعنْ عُمَرِ
وكــمْ سَمِعْنا قديماً عن مكارمِهِ حتّى رَأَيْنا فأزْرى الخُبْرُ بالخبرِ

ويتوجّه يوسف الثّالث إلى أبي عثمان فيمدحه بمجموعة من المكارم والفضائل، فهو كما يصفه أهل للسّيادة والزّعامة، وفيّ صافي الودّ، مطيع للرّحمن ساع في رضاه، فيقول البسيط:

فتى سما في سماءِ العزِّ منزلةً لوْ رامها زُحَلٌ من عُلْوه سقطا
يُصْفي الوداد ويولي الخلَّ صفوته إذا الوِدادُ بمذْقٍ شيبَ أو خلطا
نعمَ الفتى أن تركتَ الأمرَ في يده أرضى الإله ولم يحفل بمنْ سَخَطا
جُزيتَ عنّي أبا الرّحمن أفضلَ ما يُجْزى الكريمُ وعشْتَ الدّهرَ مغتبطا
سعيْتَ للدّين والدّنيا محلّأةٌ لو شئتَ كنت بها فوق النّجومِ تطا
تلكَ المكارمُ تعيي الضّابطين لها إنّ النّجومَ لتعيي ضبط من ضبطا

[1] . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٩١.
* بحر غطامط ، عظيم الموج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمدح المعتضد صهره مجاهد العامريّ في معرض قصيدة وجّهها إليه يصوّر فيها حبّه له، ويعبّر عن شوقه للقائه، ويمدحه بما اتّصف به من مكارم ومفاخر تزيّن بها الزّمن وتباهى، فيقول: ([1]) الكامل

أفدي أبَا الجيشِ المُوَفَّقَ أنّهُ لِلْمكرمات مُيسَّرٌ ومُوَفَّقُ
بَاهى بهِ الزّمنُ البَهِيُّ كَأنّهُ نَشْرٌ على وَجْهِ الزّمانِ وَرَوْنَقُ
مَلكٌ إذا فُهنا بطيبِ ثنائهِ ظلَّتْ به أفواهنا تتمطّقُ
حَسْبُ الرّياسة أنْ غَدَتْ مُزْدانةً بِسناه فهْوَ التّاجُ وهْيَ المِفْرقُ

تبدو مكانة مجاهد العامريّ عن المعتضد كبيرة، من ثنائه في الأبيات عليه، فهو علاوة على أنّه صهره كان ملكا يستعين به إن لزم الأمر، لذا عدّه ذخرا، فمدحه بالقوّة والشّجاعة، ووصفه بالتّفرّد وسداد الرّأي، وعلوّ الرّايات إذا ما وقعت الوقائع، كما أثنى على كرمه، وبذلك مدحه في قصيدة أخرى فقال:([2]) البسيط

للهِ ما خَلَدُ الأمحاضِ في خَلَدي لِمَنْ غدا والنّدى كالرّوحِ والجَسَدِ
الأوْحديِّ أبي الجيْشِ الذي ظَفَرتْ منهُ بأنْفَسِ عِلْقٍ في الأنام يَدي
مُوَفَّقُ الرّأي في الرّاياتِ لَذّتهُ في الجِدِّ والجودِ لا في العَيْشةِ الرَّغَدِ
إذا رأتْه العلا نادته مُفْصِحةً: يا قرّةَ العَيْنِ بلْ يا فلْذةَ الكَبِدِ

ويتّضح أنّه يتّخذه ذخرا له يعتمد عليه ويستعين به، وذلك من مدحه له ومخاطبته إيّاه بـ"ذخري"، وذلك في معرض أبيات نظمها متشوّقا إليه وآملا في لقائه، وفيها يقول : ([3]) البسيط

ذُخْري أبا الجيشِ هلْ يُقْضى اللقاءُ لنا ؟ فيشْتفي منك جفْنٌ أنتَ ناظره
قُصارُهُ قيْصَرٌ إنْ قامَ مُفْتَخراً للهِ أوّلُهُ مَجْدٌ وآخرهُ

[1] . الدّيوان ، ص ٢٢٠.
[2] . نفسه ، ص ٢١٨.
[3] . نفسه ، ص ٢١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثمّة صفات أخرى غير فضيلتي الكرم والشّجاعة ظهرت في مدح الحكّام، منها ما يتّصل بالحسن وجمال الهيئة، ومن ذلك مدح المعتمد لأبيه بجمال الهيئة وإشراقة الوجه، وقد كان هذا إلى جانب مدحه بالكرم والجود إذ يقول:([1]) الكامل

الشّمسُ تخْجلُ من جمالكْ فتغيبُ مسرعةً لذلكْ
والغيثُ يحيا أنْ يَصو ب لما يَرَاه منْ نوالكْ
والبدْرُ يَطلُعُ ناقصاً حتّى يُتَمّمَ منْ كَمالكْ

ويمدح وزيره ابن زيدون بما يتناسب ومقامه عنده، فيثني عليه بما أوتي من حسن تدبير وسداد رأي، وجمال منطق، وذلك في إحدى المراسلات التي كانا يتبادلانها معا، فيقول: ([2]) الرّمل

أيّها الفائِقُ أهلَ الـ عَصْرِ في مرأى وَمَخْبَرِ
لَكَ آراءٌ متى تَنْـ هَدْ إلى الأعداءِ تَظْفَرِ

ومدحه بذلك أيضا في قوله: ([3]) السّريع

يَا خيْرَ منْ يلْحَظُه ناظري شهادةٌ ما شابها زُورُ
ومنْ إذا ما ليلُ خَطْبٍ دجا لاحَ به منْ رأيه نُورُ
رَأيكَ إمّا شِمتُهُ صارمٌ عَضْبٌ على الأعداء مَشْهورُ

ويمدحه في قصيدة أخرى فيثني على علمه وفضله، ويشير إلى أنّه قد تفرّد باجتماع المآثر فيه والشّمائل التي أشقت الأعداء، فيقول: ([4]) المتقارب

لَكَ العلمُ مهما أردْ بحْرَه لأرْوى به أحْمَدُ المـوْردا
وفيكَ تجمّعتْ المأثُرا تُ طُرّا فصرْتَ بها مُفْردا
شمائلُ تَنْثُرُ شملَ الهُمو مِ نثْرَكَ بالرّأي شمْلَ العِد

[1] . الدّيوان ، ص ٩٤.
[2] . نفسه ، ص ١١١.
[3] . نفسه ، ص ١١٣.
[4] . نفسه ، ص ١٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمدح يوسف الثّالث أحد خطباء حضرته، ويثني عليه بما يتناسب وطبيعة وظيفته ، فيصوّر براعته وتفرّده إذا ما ارتقى المنبر خطيبا، فلا يقع منه خطأ ولا خطل ، وأفعاله كانت تطابق أقواله ، كما يثني عليه بما أوتي من قدرة على التأثير في الآخرين وإرشادهم إلى طريق الهداية، ففيه يقول: ([1]) المتقارب

إذا ما ارتقى ذروة المنبرينِ ترفّع عن خطأ أو خطلْ
وأنّى يضاهى يراعٌ له إذا جال جولةَ شهْمٍ بطلْ
ومن ذا سواه لوصفي حلاهُ وقدْ طابقَ القولُ منه العملْ
أفادَ الكثيرَ وأهدى الخطير فلم يُبق للغير إلا الأقلْ

ويثني على حسن كلامه فيقول إنّه لا يُملّ، ويمتدح دعاءه ويعدّه من النّفائس، فيقول:

فيا منْ أعادَ وأبدى الجميل حديثُك ترْداده لا يُملْ
دعاؤكَ أنْفسُ ما يُقْتنى لحزب أقام وركب رحلْ

لقد جاءت مدائح الحكّام موجّهة لأشخاص لهم مكانتهم، فكانوا إمّا من ذوي الأرحام : كالآباء والأقارب، وإمّا ملوك مثلهم، وإمّا أصدقاء مقرّبين يشاركونهم الرّأي والمشورة، أو عمال (الخطباء) يؤدّون رسالة للنّاس. ولقد جاءت مضامين مدحهم لمن مدحوا مناسبة لمقامهم، فكان تركيزهم في مدح أهل السّلطة على فضيلتيّ: الكرم والشّجاعة، بالإضافة إلى حسن تدبير الملك والقيام عليه خير مقام. وقد مدحوا أصدقاءهم ممّن كانوا يعملون في خدمتهم بالإخلاص وسداد الرّأي. وممّا تقدّم نجد أن مدح الشّعراء الحكّام جاء موجّها لطبقة من المجتمع لها مكانتها السّياسيّة والاجتماعيّة، تربطهم بها صلة قرابة ومودّة، أو منفعة متبادلة حينا آخر.

[1] . الدّيوان ، ص ١٠٣/ ١٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامناً:الوصف:

لا ينفصل موضوع الوصف عن موضوعات الشّعر الأخرى عامّة ؛" فالشّعر إلا أقلّه راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"([1]) ، وهو " في حقيقة الأمر عمود الشّعر وعماده، بل إن كل أغراض الشّعر وصف، فالمدح وصف نبل الرّجل وفضله، والنّسيب وصف النّساء والحنين إليهن والشّوق إلى لقائهن، والرّثاء هو وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف سوءات المهجوّ وتصوير نقائصه ومعايبه، وهكذا نستطيع أن ندخل فنون الشّعر تحت الوصف، فهو على هذا الوضع كالدّوحة الملتفّة الأغصان الفارعة الأفنان المترامية الظّلال، لكنّنا نريده مستقلا بذاته " ([2]).

والشّعراء الحكّام مثل غيرهم من الشّعراء ظهر الوصف في موضوعاتهم الشّعريّة واضحا، كما نظموا فيه موضوعا مستقلا بذاته، فوصفوا ما أحاط بهم من مظاهر طبيعيّة: من رياض وأنهار وأزهار، ووصفوا بعض المظاهر الحضاريّة: كالقصور والقباب والشّموع، وبعض أدوات القتال، كما وصفوا الخمر ومجالسها .

تكشف الأشعار التي نظمها الشّعراء في وصف الخمر عن صورة جديدة لهم في إطار حياتهم الخاصّة، ظهر منها انقيادهم وراء المتع والملذّات، بإقامة مجالس الخمر والدّعوة إليها، وتصف الأثر الذي تحدثه الخمر في نفوسهم، وهم في ذلك لم يبتدعوا؛ فهو مألوف في الشّعر الأندلسيّ إذ" كثر في الشّعر الدّعوة إلى الشّراب، ووصف ما يدور في مجالس اللهو، ثمّ الحديث عن لذائذ ومتع قد يصل إلى حدّ الأدب المكشوف "، بما أن شرب الخمر وإقامة مجالسها واقع مألوف في الأندلس ، فإنّنا قد نقبل هذا السّلوك من الشّعراء غير الحكّام ، بحكم ما يترتّب عليه من آثار سلبيّة دينيّا وأخلاقيّا واجتماعيّا تمسّ حياتهم وحدهم، ولكن الحال فيما يتّصل بالحكّام مختلفة؛ ذلك أنّ آثار سلوكهم لا سيّما السّلبي منه لا ينعكس عليهم وحدهم، وإنّما يمتدّ أثره إلى من حولهم ممّن يقومون على أمرهم، فهم إن كانوا منغمسين في المتع والملذّات ضاعت هيبة حكمهم وضَعُف سلطانهم، الأمر الذي يؤدّي إلى زعزعة أمن النّاس واستقرارهم، وهذا ما حدث بالفعل في عهد ملوك الطّوائف، إذ كانوا مغالين في انغماسهم في الملذّات، حتّى كانت " المثلبة الأساسيّة التي وجّهها المرابطون ضد الأندلسيين لإزاحة ملوك الطّوائف عن عروشهم كانت بالضّبط حبّهم البالغ للملذّات والاستمتاع " ، ولا أظنّ أنّ الملك هيّن عند أهله حتّى إنّهم يتنازلون عنه من أجل متع وملذّات آنية تزول بزوال تأثيرها، ولكن ما الذي دفعهم لذلك؟

---

[1] . القيرواني ، ابن رشيق، العمدة ، ج ٢، ص ٢٩٤.
[2] . قناوي ، عبد العظيم علي ، الوصف في الشّعر العربي القديم ، ص ٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لعلّه الهروب من واقعهم السّياسيّ – لا سيّما في عصر الطّوائف- وعجزهم عن تثبيت أركان ملكهم وتأمين رعيّتهم، فما كان " تعدّد مجالس الشّراب واللهو إلا نتيجة لشيوع القلق النّفسي بين النّاس، ذلك القلق الملازم دائما للاضطرابات النّفسيّة السّياسيّة، فليس للنّاس قرار، خاصّة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسيّا واجتماعيّا فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشّراب، يقيمونها ويدعون النّاس إليها، إنّهم يطلبون شيئا عزيزا فقدوه، وما فقدوا – لو نعلم – سوى ذلك الاستقرار النّفسيّ الذي يحجبه ستار كثيف، صخب المدن وعنف الأزمات "([1])، ويردّ أحمد هيكل شيوع هذا اللون من المجالس إلى آخر، فيرى أن هذا الموضوع الشّعري نشط " نتيجة لشيوع التّحلل في المجتمع الأندلسيّ وميله إلى اللهو وإقباله على المتع الحسيّة من شراب ورقص واقتناء لحسان الجوراي ممّن كثر سبيهن ضمن ما كان يسبى في الانتصارات الحربيّة الكثيرة"([2]) .

لعلّ الأشعار التي وصف فيها الحكّام الخمر تكشف عن الدّوافع التي جعلتهم يتعاطونها، فنتبيّن ما إذا كانوا يتعاطونها استمتاعا، أو هروبا من الواقع السّياسيّ بما فيه من توتّرات، أو ربّما جاء وصفهم لها من باب التّقليد الفنّي دون التّعبير عن واقع حقيقيّ معيش .

لم يتورّع بعض الحكّام في وصفهم الخمر عن التّصريح بأنّهم مدمنون على شربها ، ولم يكتفوا بذلك بل شجّعوا غيرهم على معاقرتها، وقد تجاوز المعتضد إلى " أن أودع شعره ما يمسّ العقيدة " ([3])، فنجده يحثّ على شرب الخمر ويصف من لم يقل ذلك بالجهل ، فيقول: ([4]) مجزوء الكامل

اشْـربْ عَلَى وَجْه الصّباحِ وَانْظُرْ إلـى نوْرِ الأقـاحِ
واعْلَمْ بأنّكَ جـاهِـلٌ إنْ لـمْ تَقُل؟ بالاصطباحِ

[1] . شلبي ، سعد ، البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشّعر ، ص ٤٢٩.
[2] . هيكل ، أحمد الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص ٢٧٤.
[3] . بالنثيا ، آنخل ، تاريخ الفكر الأندلسيّ ، ص ١١٢.
[4] . الدّيوان ، ص ٢٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجهر الأمير المطرّف بن عبد الرّحمن بفجوره وفساده، فيقول إنّه أفنى حياته منغمسا و منساقا وراء اللذّات من النّساء والشّرب، حتّى بلغ من ذلك مبلغا جعله يصمّ أذنه عن سماع الحق، ويمتنع عن أداء الواجبات الدّينيّة، وغدا غير واع لما يقول من شعر فيه مجاهرة بالمعاصي واجتراء على الدّين، فيقول([1]): المجتث

أفنَيْتُ عمريَ في الشّرْ   بِ والوجوهِ المِــلاح
ولمْ أُضيّعْ أصيلاً   ولا اطّلاعَ صــباحِ
أُحيي الليالِيَ سُهْداً   في نَشْوةٍ ومــراحِ
وَلَسْتُ أسْمَعُ ماذا   يقولُ داعي الفــلاحِ

وذكر المقّري أنّ أحد إخوان الشّاعر عاتبه على هذا الكلام، فقال له: إنّي قلته وأنا لا أعي، ولا أعلم أنّه يُحفظ عنّي، وأنّا أستغفر الله- تعالى- منه، والذي يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول .

ويذكر الأمير أبو عبد الله الصّبوح، مستشعرا بنشوته ومنغمسا فيها، ويشير أنّ تعاطيه الخمر كان يستمرّ حتى وقت الضّحى، فيقول: ([2]) الكامل

ذَكَرَ الصَّبوحَ فظلَّ مُصْطَبِحا   يستعملُ الإبريقَ والقَدَحا
ما زالَ حيّاً وَهْوَ يشْرَبُها   حتّى أماتته الكؤوسُ ضحى

وأكثر المعتمد بن عبّاد من وصف الخمر في شعره، فصوّر إدمانه عليها وإقامته مجالسها ودعوة الندمان لحضورها ومشاركته معاقرة الخمر فيها، فبدا – كما يظهر من شعره – مدمنا على شربها، وممّا يظهر ذلك محاولته أنسنة الكرمة في شعره، فأجرى حوارا بينه وبينها تعاتبه فيه على أنّه مرّ بها ولم يسلّم عليها، وهي التي طالما روت عظامه،فيقول: ([3])الوافر

مَرَرْتُ بكَرْمَةٍ جَذَبَتْ ردائي   فقلْتُ لها : عَزَمتِ على أذائي
فقالتْ: لِمَ مَرَرْتَ ولم تُسلّم   وَقدْ رَوِيَتْ عظامُكَ من دمائي

---

[1] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣ ، ص ٥٧٨.
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ١٢٠.
[3] . الدّيوان ، ص ٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان المعتمد يحثُّ في شعره على شرب الخمر قولا وعملا، أمّا قولا فيدعو إلى اغتنام كلّ ما من شأنه أن يجلب السّعادة والمتعة للإنسان في حياته، والكأس بإذهابها العقل تفعل هذا، ذلك أن الهموم تزول بزواله، وفي هذا يقول المعتمد: ([1]) الكامل

علّلْ فُؤادكَ قدْ أَبَلَّ عَليـلُ　　وَاغْنَمْ حَياتَكَ فالبقاءُ قَليْلُ
لَوْ أنَّ عُمْرَكَ ألْفُ عامٍ كامِلٍ　　ما كانَ حقّاً أنْ يُقالُ:طَويلُ
أَكذا يَقُودُ بِكَ الأسى نحْوَ الرّدى　　والعَوْدُ عُودٌ والشَّمول شَمُولُ
لا يسْتَبيكَ الهمُّ نَفْسَكَ عَنْوةً　　والكأسُ سيْفٌ في يَديْكَ صَقيلُ
بالعَقْلِ تزدَحمُ الهُمومُ على الحَشا　　فالْعَقْلُ عنْدي أنْ تَزولَ عُقُولُ

وأمّا حثّه على شربها عملا وقولا معا فيتجلّى من إقامة مجالسها والاستدعاء النّدمان إليها، وإغرائهم بعدم تضييع الفرصة عليهم، فمن ذلك مخاطبته للوزير الكاتب أبي الوليد بن المعلّم:السّريع

وَها هوَ المجْلس المُعَدُّ لكم　　فادْخُلْ إليْهِ وَلْيَدْخُل القَوْمُ
إلى كؤوس شاء شاربها　　يعُومُ فيها لأمكنَ العومُ

ويستدعي ابن عمّار ليشاركه مجلسه وقد أدخلت عليه باكورة نرجس، فيقول متمنّيا حضوره ومشاركته أنسه: ([2])

قَدْ زارنا النَّرْجسُ الذَّكيُّ　　وآنَ من يومنا العَشيُّ
وعندنا مَجْلسٌ أنيقٌ　　وقدْ ظَمئْنا وثمّ رِيُّ
ولِيَ خَليلٌ غدا سميّي　　يا ليْتهُ سَاعَدَ السَّميُّ

وكتب يستدعي الطّبيب الأديب أبا محمّد المصري إلى مجلس خمر وغناء، فقال: الخفيف

أيّها الصّاحبُ الذي فارَقَتْ عَيْـ　　ـني وَنَفْسي منْهُ السّنا والسَّناءَ
نحْنُ في المَجْلسِ الذي يَهَب الرّا　　حَةَ والمَسْمَعَ الغَنى والغناءَ
نتَعاطى الـتي تُنْسيكَ في اللّذ　　ةَ والرّقةِ الهوى والهَـواءَ
فَأتِـهِ تُلْفِ رَاحـةً وَمُحَيًّا　　قـدْ أعدّا لَكَ الحَيَا والحَياءَ

[1] . الدّيوان ، ص ٦٦.
[2] . نفسه ، ص٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشجّع يوسف الثّالث أيضا على شرب الخمر، فيستعجل إحضارها له، ويحذّر من يتحاشى شربها بالنّدامة، ويصف المتعة التي يجدها عند شربها، فيقول: ([1]) الطّويل

بعَيْشك عجّلها سُلافاً مُدامه وَدَع منْ يحاشيها يموتُ ندامه
فإن أكُ نشوانا فذلك جنّة وإن أكُ سكراناً فذاكَ قيامه

ومن صور التَّشجيع على شربها وحضور مجالسها في شعرهم وصف جمال منظرها في الكؤوس، ووصف اللّذّة التي يشعرون بها من شربها، ومن ذلك قول ابن رزين يصف حسنها ويشبّهها بالغزالة، ويصوّر جمال منظرها في الكأس وكأنّها لآلئ مشعّة، كما يتحدّث عن أثرها النّفسيّ فيه، فهي كأنّها وُكّلت بالهموم تزيلها وتخلّصه منها، فيقول: ([2]) الطّويل

أدرْها مُداماً كالغزالةِ مـرَّةً تَبينُ لرائيها وتأبى على اللمسِ
وتبدو إلى الأبصارِ دونَ تَجسُّمٍ على أنّها تَخْفى على الذّهنِ والحسِّ
إذا شعشعتْ في الكأسِ خِلْتَ حَبَابها لآلئَ قدْ رُفِّعن في لَبَّةِ الشّمسِ
موكّلة بالهمِّ تـهْزِمُ جيْشَهُ بجيشِ الأماني والمسرّةِ والأنسِ
فإن شئتَ قُلْ فيها أرقُّ من الهوى وإن شئتَ قُلْ فيها أرقُّ من النّفْسِ

ويحاول المعتمد إغراء ندمانه وجذبهم إلى مجالس الخمر بوصفها وصفا يجذب ويشوّق فيه من يدعوهم إليها، فيصوّرها بالفضّة المذابة في سائل من الذّهب، تجمّلها فقاعات تطفو على سطحها، فيقول: ([3]) الكامل

لَوْ زُرْتنا لَرَأيْتَ مَا لَمْ تَعْهُد ذّوْبَ اللجيْنِ خليطَ ذَوْبَ العَسْجَد
نُطَفٌ يُجَملُها فقاقعُ منْهُ مـا جَمَدتْ لتحْفظ جسمَ مَا لمْ يَجْمُد

[1]. نفسه ، ص ١٧/ ١٨.
[2]. ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١١٢.
[3]. الدّيوان ، ص ٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعتمد في وصفه السّابق للخمر يسير على نهج غيره من الشّعراء، إذ أكثروا من وصفها" بذوب الجامد ووصف كأسها بجامد الذّائب "([1])، ومن وصفه لها بذلك أيضا قوله : ([2])المنسرح

لاحَ وَفَاحَتْ روائحُ النَّدِّ مُهْتَصرُ الخصْرِ أهْيَفُ القدِّ
وكَمْ سَقَاني والليلُ مُعْتكرٌ في جامدِ الماءِ ذائِبَ الوَرْدِ

وكان للطّبيعة حضور في وصف الخمر ومجالسها، ومن الطّبيعيّ أن يظهر هذا واضحا، ذلك أنّه " كان للطّبيعة بجمالها وبدائعها وأزهارها وجداولها أثر كبير في إقبالهم على الشّرب واللهو، ممّا يؤدّي إلى التّمازج والتّلازم بين وصف الطّبيعة والحديث عن العقار "([3])، ومن الأمثلة على ذلك وصف رفيع الدّولة بن المعتصم بن صمادح مجلس خمر أقيم في حضن الطّبيعة، حيث الكؤوس مترعة، والغصون تتمايل مع الندمان طربا، والحمائم تسجع من حولهم، وهم يشربون على ضفاف النّهر مستمتعين بلذّتها، فيقول: ([4]) البسيط

أبا العلاء كؤوس الرّاحِ مُتْرَعةٌ وللنّدامى سرور في تعاطيها
وللغصونِ تثنٍ فوقَها طَرباً وللحمائمِ سجْعٌ في أعاليها
فاشْرَبْ على النّهر منْ صهباءَ صافيةٍ كأنّما عُصِرتْ من خدّ ساقيها

ويصف المعتضد والمعتمد استمتاعهما بمعاقرة الخمر ليلا حتى طلوع الفجر، فيصوّرا السّماء بما فيها من نجوم تنير مجالس الخمر من بدايتها حتّى بزوغ شمس الصّباح، عندها تولّي النّجوم هاربة، فهذا ما صوّره المعتضد في غير مقطوعة من شعره، أورد منها قوله: ([5]) الطّويل

وَليْلٍ أدَمْنا فيه شُرْبَ مُدامةٍ إلى أنْ بَدا للصُّبحِ في الليلِ تأثيرُ
وَجَاءتْ نُجُومُ الصُّبْحِ تَضْرب في الدُّجى فَوَلَّتْ نُجُومُ اللّيْلِ والليلُ مَقْهورُ
فَحُزْنا مِنَ اللّذات أطْيَبَ طِيبِها وَلَمْ يعْدنا همٌّ ولا عَاقَ تكْديرُ
خَلا أنّه لوْ طّالَ دَامتْ مَسَرّةٌ وَلَكنْ لَيَالي الوَصْلِ فيهنَّ تَقْصيرُ

[1] . ابن دحية ، المطرب ، ص ١٩ .
[2] . الدّيوان ، ص ٧١.
[3] . السّعيد ، محمّد مجيد ، الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين ، ص ٢٠٤.
[4] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢،ص ٩٤.
[5] . الدّيوان ، ص ٢٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويردّد الشّاعر المعنى ذاته في قوله: ([1]) الطّويل

وليلٍ ظَلَلْنا فيه نُعْـمِل كَأْسَنا إلى أنْ بَدَتْ للصّبحِ في الليلِ أعمالُ
وولّتْ نُجُومُ الليلِ تجري هزيمةً وَجاءَ مَعَ الإصباحِ نَصْرٌ وإقــبالُ
فَقَضَّيْتُ مــن هــذا وذاكَ لُبانةً وتمَّ لـنا فَتـحٌ مُبيـنٌ وآمـالُ

يبدو أنّ المعتضد كان شغوفا بمعاقرة الخمر من الليل حتّى الصّباح، فهو في مقطوعة أخرى يصف جمال لحظات الشّرب حتّى الفجر، وقد أخذ الصّبح يجلي الليل والنّسيم حوله رقيق، والخمرة التي كان يشربها معتّقة بخارها كثيف، فيقول: ([2]) الطّويل

شَرِبْنا وَجَفْنُ الليلِ يَغْسِلُ كُحْلَهُ بِماءِ الصّباحِ والنّسيمُ رقيــقُ
مُعتَّقةً كالتِّبْرِ أمّــا بُـخارها فَضَخْمٌ وأمّا جِـسْمُها فدقيقُ

ويصوّر المعتمد شربه الخمر ليلا، فيصف السّماء وقد أضاءت ببدرها، الذي بدا كأنّه ملك أحاطت به الكواكب في موكب ملكي، وفي معرض هذا الوصف المستمدّ من واقع حياة المعتمد التي يحياها في ظلال السّلطة يشير إلى نفسه ملكا على الأرض بين مواكب وكواكب جمعت السّنا والسّناء، فيقول: ([3]) الكامل

وَلَقَدْ شَربتُ الرّاحَ يسْطَعُ نُورها واللّيلَ قدْ مدَّ الظّــلامَ رِداءَ
حتّى تبدّى الـبدرُ في جَوْزائه مَـلِكا تناهى بَهْجةً وَبَهـاءَ
لَمَّا أرادَ تنزُّها في غَـرْبِهِ جَـعَلَ المظلّة فوقهُ الجوزاءَ
وتناهضتْ زُهْرُ النّجومِ يَـحُفُّه لألاؤها فاسـتكملَ اللألاءَ
وترى الكواكبَ كالمواكبِ حَوْلهُ رُفِعَتْ ثُـريّاهـا عليهِ لِواءَ
وَحَكَيْتُهُ في الأرضِ بيْنَ مواكبٍ وكواعبٍ جَمَعَتْ سنا وسناءَ

[1] . نفسه ، ص ٢١١.
[2] .نفسه ، ص٢١٠
[3] . الدّيوان ، ص ٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمّا كانت الطّبيعة إحدى العوامل التي ساعدت على شاعريّة أهل الأندلس وجعلتهم – كما نقل المقّري عن الحجاري –أشعر النّاس لما " كثّره الله في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيار والكؤوس لا ينازعهم أحد في هذا الشّأن "([1]) فإنّه من الطّبيعيّ أن يظهر انفعال الشّعراء عامّة مع جمالها لا في توظيفها في موضوعاتهم الشّعريّة فحسب وإنّما بالنّظم فيها غرضا مستقلا عن بقيّة الموضوعات، فوصفوا الحدائق والرّياض والزّهور ، كما وصفوا بعض المظاهر الحضاريّة كالقصور والبرك .

ومن الأمثلة على نظمهم في وصف الطّبيعة مقطوعة نظمها يوسف الثّالث، صوّر فيها جمال حديقة استمتع بالنّظر إليها في الصّباح الباكر، فصوّر ما حوته من أشجار وأزهار، وأغصان متمايلة بفعل الرّيح، فعبّر يوسف الثّالث عن افتتانه بذلك المشهد الطّبيعيّ قائلا الكامل:

وحديقةٍ باكرْتُ صفوَ نعيمها والفَجْرُ يبصِرُ من خلالِ سحابِ
كمتيّمٍ جحد الغرام وإنّما دلتْ عليهِ دلائلُ الأوصابِ
والطّلُّ ينظمُ في الغصونِ لآلئاً فيملن طوعَ الحسنِ والإعجابِ
والغصنُ ريّانُ المعاطفِ مُنْتَشٍ يُومي إليَّ بزهره ويحابي

ويصف جمال الرّوض بما فيه من أزهار وعبير، وما يبعثه حسن منظره من جمال وبهجة للنّفوس، فيقول:

والرّوضُ مُبتسم الأسرّةِ ضاحكٌ كزمانِ وصْلٍ بعد طولِ عتابِ
تحكي بطائحه نمارق سندسٍ وتلاعُه قد ألحفت بملاب
مرّتْ تصافحنا أناملُ سَوْسنٍ وَرَنتْ تغازلنا مع الإعجابِ
والرّيحُ تسحبُ ذيْلَ كلِّ خميلةٍ تهدي الأنوفَ روائح الأحبابِ

[1] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج٣، ص١٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر انفعال ابن رزين مع جمال الطّبيعة، فيتجلّى من تصويره لجمال روض كساه الطّلّ وشيا، وحرّكت الرّياح أغصانه فجعلتها تتمايل وكأنّها ترقص، ويصف انسياب الماء المار فيه، وصوت غناء الحمائم فيه فيقول: ([1]) الطّويل

وروضٍ كساه الطّلُّ وشياً مجدّدا فأضحى مُقيماً للنّفوسِ ومُقْعدا
إذا صافحته الرّيحُ ظلّتْ غصونُهُ رواقصَ في خُضْرٍ من العَصْبِ مُيِّدا
وإنْ سَكَنَتْ عنه حسِبتَ صفاءَهُ حُساماً صقيلاً صافيَ المتنِ جُـرِّدا
وغَنّتْ بـه وُرْقُ الحـمائمِ حـوْلَنا غِناءً يُنَسّينا الـغَريضَ وَمَعْبدا

ويروق لابن رزين جمال الطّبيعة وقد كان عائدا –على ما يبدو من الأبيات –من قتال، فيصوّره ويصف ما فيه من الجمال قائلا: ([2]) الخفيف

قد خرَجْنا من ازدحامِ القَتامِ كشموسٍ خَرَجْنَ تحتَ الغمامِ
وَحَصلنا في نُزهتينِ وفي حُسْـ ـنْينِ بين المياهِ والآكـامِ
بـينَ روضٍ مُدَبَّجٍ وغصونٍ تتثـنَّى كشاربـاتِ المـُدامِ
غرّدتْ فوقنا الـبلابلُ والوُرْ قُ فأرَّقْنَني وِهـجْنَ غـرامي
ذاكَ طـيْرٌ أطارَ قـلْبيَ شوقاً وحـمامٌ مـغرّدٌ بحمـامِ

ولقد وصف الشّعراء جمال الأزهار بأنواعها المختلفة ، وخصّوا منها أنواعا بعينها: كالياسمين، والبهار، والظّيان (الياسمين البرّي)، والنّيلوفر ...، ولقد وصف محمّد بن إسماعيل في شعره كلّ نوع من هذه الأنواع منفردا، فصوّر جمال منظرها وشغفه بها، فقال في الياسمين ([3]): السّريع

وياسمين حسنِ المنظرِ يفوقُ في المرأى وفي المخْبَرِ
كأنّهُ من فوقِ أغصانه دراهم في مطْرَفٍ أخضـرِ

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢،ص ١١١.

[2] . الشّنتريني ،ابن بسّام ، الذّخيرة ، ق٣، ج١، ص ١٢٠ .
[3] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وله يصف حسنه حين يزهر: ([1]) المنسرح

يــا حبّذا الياسمينُ إذ يــزْهرْ فوق غصونٍ رطيبةٍ نُضَّرْ
قد امتطى للجمالِ ذروتَها فوقَ بساطٍ من سندس أخضرْ
كأنّهُ والعـيون ترمُـقهُ زمرّد في خلالهِ جــوْهرْ

وله يصف حسن النّيلوفر منظرا ورائحة([2]): البسيط

يا حُسْنَ منظرِ ذا النّيلوفر الأرِجِ وَحُسنَ مَخْبَرِهِ في الفَوْحِ والأرَجِ
كـأنّهُ جـامُ درٍّ في تألّـقه قد أحْكموا وَسْطَهُ فصًّا من السَّبجِ

ويصف ولده المعتضد الياسمين فيقول: ([3])مجزوء البسيط

كَأنّـما ياسـمينُنَا الغَـضُّ كواكبٌ في السّماءِ تَبْيَضُّ
والـطُّرق الحُمْرُ في جوانبهِ كَخدِّ عَذراءَ نَالهُ العَضُّ

ويصف عبد العزيز بن المنذر البهار وصفا أثنى عليه ابن الأبّار وعدّه من التّشبيهات العقم، فيقول : ([4]) الطّويل

كأنَّ الثّرى سِتْرٌ تَمدُّ خلاله بأكؤسِ راحٍ راحَهنَّ الكواعبُ
يُسَتّرْنَ من فرْطِ الحياءِ معاصماً بأكمامهنَّ الخُضْرِ عمّن يُراقبُ

ويصف المعتصم بن صمادح جدولا ينساب فيه الماء كأنّه ثعبان جدّ في الهرب فيقول: ([5])البسيط

انظرْ إلى حسْنِ هذا الماءِ في صَبَبهْ كَأنّهُ أرقمٌ قدْ جدَّ في طَلَبِهْ

ومن مظاهر الطّبيعة التي وصفها الشّعراء في شعرهم الليل، لا سيّما حينما كانوا يتعاطون الخمر تحت جنحه، ولقد تمّ عرض بعض أشعارهم في وصفه في سياق الحديث عن وصفهم الخمر ومجالسها التي كانوا يقيمونها ليلا في حضن الطّبيعة .

---

[1] . نفسه ، ص٣٩.
[2] . نفسه .
[3] . الديوان ، ص ٢٢٤.
[4] . ابن الأبأر ، الحلّة ، ج١،ص٢١١.
[5] .نفسه ، ج٢ ، ص٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصف الشّعراء الحكّام بعض المظاهر الحضاريّة كالأبنية التي كانوا يشيّدونها، ومن ذلك وصف يوسف الثّالث لمبنى افتتحه بأبيات يفتخر فيها بنفسه على لسان ذلك المبنى، فقال : (١) مجزوء الكامل

أنا مطلعُ السّعودِ أنا قبلةُ الوفـــود
يوسف شرّفنـي حيثُ جدّد العـــهود
ناصريٌّ لم تزل رحماته تـــجودُ

ثمّ يأخذ بوصف جمال هذا المبنى، ودقّة بنائه، وجمال الطّبيعة المحيطة به، فيقول:

فَتَأمّل مَصْنعي تلفه روضاً مجود
والظّلال حوْلَهُ كخوافق البنـود
وأمـامي وَقَفتْ ربّة الثّغرِ البرود
خصّـة* معجبة أخذت أوج الصّعود
كلّما تبصرني تترامـى للسّجود
حجلتْ في مشيها حينَ ريعتْ بالأسـود
لا تراعُ إنّها في حمى مولى الوجود

وليوسف الثّالث قصيدة أخرى يصف فيها مبنى مشيدا، بدا من وصفه له أنّه مبنيّ في أحضان روضة من رياض الطّبيعة السّاحرة، حيث النّسيم والأزهار والأغصان التي تبعث للنّفس الرّاحة، وقد زيّن ذلك المبنى بالأنوار التي غدت في نورها كالأقمار والأنجم، ويصف يوسف الثّالث أيضا قبّة ذلك المبنى وجمال صنعها وإحكامها، وقد افتتح هذه القصيدة بشكر نفسه والثّناء عليها على لسان المبنى، ففي ذلك قال : (٢) الكامل

يا دارُ شكراً للخليفةِ يوسف فهوَ الذي والى الجميلَ وأنعما
وحَباكِ من روض العريفِ بنسمةٍ تُروي الجوانحَ من تباريح الظّما
وجلابكِ الأقمارَ في هالاتها وأقامَ بينَ يَدَيْ عُلاكِ الأنجما
لتكونَ للسّاري طَليعةَ قصده وتبين من سبل الهدى ما أبهما
حيّا صباحُك بالقبولِ وبالصّبا فأتاح للأرواحِ أن تتنعـما
وأرتك أزهارَ الكمامِ ثغورَها فقضى عليها الحسْنُ أن تتبسّما
حيثُ السّواجعُ والبدائعُ شأنُها تَدَعُ الخليَّ بها مشوقاً مُغرما

---

١ . الديوان ، ص٥٣.
* ذكر المحقّق أن الخصّة في عرف المغاربة ما يعبّر عنه المشارقة بالفسقيّة .
٢ . الدّيوان ، ص ١١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصوّر حسن ذلك البناء، ويجعل قبّته شاهدا على ذلك، فيقول :

أزرى بمُطَّلِعِ الكواكب مصنعٌ جَمَع البديعَ مرتّبا ومقسّما
والقبّة الغراءُ أصْدقُ حجّة حيث البيانُ أبانَ عنها مفهما
دعَتِ المحاسنَ من أقاصيها ولم يَعزب عن العجماء أنْ تتكلّما
قالت أترضى أيّه الملكُ الرّضا باللؤلؤ المكنون أن يتنظّما
فأجَلَّ من مِثواكَ هالة بدره لا زال بدراً في العلاءِ متمّما

ويصف الرّشيد بن المعتمد القبّة المسمّاة بسعد السّعود – قبة القصر الزّاهي -، فيصوّر تفرّدها وتفرّد من أقام فيها (والده) فيقول: ([1]) الكامل

سعدُ السّعودِ يتيهُ فوقَ الزّاهي وكلاهما في حسنه متنــاهِ
ومن اغتدى وطناً لمثْلِ محمّدٍ قد جلَّ في عُلياه عن أشباهِ
لا زالَ يخلُد فيهما ما شاءهُ ودهتْ عِداه من الخطوب دواهِ

ويصوّر المقتدر بن هود اعتزازه بأحد مبانيه، فيشير إلى أنّه باعث من بواعث السّيادة والفخر عنده، فيقول ([2]): الكامل

قَصْرَ السّرورِ ومجلسَ الذّهبِ بكما بَلَغتُ نهايةَ الأربِ
لوْ لَمْ يَحزْ ملكي خلافكما كانتْ لديَّ كفايةُ الطّلبِ

ويصف المعتمد فوّارة يتصاعد منها الماء ، فيشبهها بالسّيوف التي تسلّ من الأغماد ، فيقول ([3]): الكامل

ولربّما سَلَّتْ لنَا منْ مائــها سَيْفاً وكانَ عن النّواظرِ مُغْمدا
طَبعتهُ لُجيّاً فَذَابَتْ صَفْحَةٌ منهُ وَلَوْ جَمَدَتْ لكــانَ مُهنّدا

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٦٩.
[2] . المقّري ، نفح الطّيب ، ج١، ص ٤٤٢.
[3] . الدّيوان ، ص ٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف المعتمد شمعة فيصوّر دورها في إنارة ظلمة الدّجى من حوله، ويتّخذ من وصفه لها سبيلا لمدح نفسه من جهة، والتّغزّل بجمال ساقيه من جهة ثانية، ومن شدّة افتتانه بذلك السّاقي جعل نور تلك الشّمعة مستمدّا من وجه ساقيه، وحرارتها من حرارة أنفاسه، فقال السّريع:

وَشَمْعةٍ تَنْفي ظلامَ الدُّجَى نَفْيَ يَديَ العْدمَ عن النّــاسِ*&
قدْ جعل الرّحمانُ من لطْفهِ حَياتها في القطعِ لــلرّأسِ
ضيَاؤُها لا شكَّ منْ وَجْهه وَحرُّها مــن حَرَّ أنْفاسي

ويصف ابن رزين هو الآخر شمعة ويحاول أن يقارن بين حالها وحال العاشقين، فهي صفراء كلونهم، وهم يذوبون من العشق كما تذيبها النّار، فيقول مجزوء الرّمل:

رُبَّ صفراءَ تردّتْ بِرداءِ العاشقينا
مثلَ فِعْل النّار فيها تفْعَلُ الآجال فينا

ويصف المعتمد ترسا لازورديّ اللون مطوّقا بالذّهب في وسطه مسامير مذهبة، قيل إن أباه أمره بوصفه، فقال فيه المتقارب

مِجَنٌّ حَكَى صانعُوهُ السّماءَ لتقْصُرَ عَنْه طِوالُ الرّماحِ
وَصَاغوهُ مِثالَ الثُّريّا عَلَيْه كواكبُ تَقْضي لَهُ بالنَّجاحِ
وتزدانُ أطْواقُهُ بالنّجوم كَمَا لَبِسَ الأفقُ ثَوْبَ الصّباحِ

يتجلّى واضحا من الأبيات الحضور اللافت للطّبيعة، حيث وصف الشّاعر المجن (التّرس) بالسّماء حينما تزيّنها الثّريّا والكواكب والنّوم فتضيء صفحتها كما يضيء الصّباح الأفق .

يتبيّن بعد دراسة موضوع الوصف في شعر الحكّام الأندلسيين أنّه جاء متداخلا مع موضوعاتهم الشّعريّة الأخرى، وجاء أيضا غرضا مستقلا بذاته تناول فيه الشّعراء جانبين من جوانب حياتهم الخاصّة والبيئة المحيطة بهم، فوصفوا الخمر ومجالسها، وصوّروا استمتاعهم بشربها وسط أحضان الطّبيعة ليلا حتى طلوع الفجر، كما وصفوا الطّبيعة بما فيها من أزهار ورياض وأنهار، ووصفوا بعض المظاهر الحضاريّة كالقصور والأبنية والقباب، وقد بدا الشّعراء في وصفهم منفعلين مع جمال موصوفاتهم بكل حواسهم، معبّرين فيه عن بعض جوانب حياتهم الخاصّة، لا سيّما في حديثهم عن الخمر.

*البيت مكسور في الأصل ، وذكر المحقّق رواية ثانية هي: وشمعة تنفي ظلام الدّجى نفي للعدم عن النّاس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد دراسة الموضوعات الشّعريّة التي نظم فيها الشّعراء الحكّام نجد أنّها قدّمت صورة واضحة لحياتهم في ظلال السّيادة والحكم، سواء أكانوا حكّاما وزمام الأمر في أيديهم، وإليهم يرجع الأمر كلّه، أم في حال ضعفهم وانهزامهم، وإبعادهم عن السّلطة بالسّجن أو الأسر. أمّا حالهم وهم أصحاب السّلطة والأمر فأظهرت أشعارهم أنّهم كانوا مقبلين على الدّنيا آخذين منها ما يشاؤون من متع وملذّات، ولهم مكانتهم الاجتماعيّة والسّياسيّة، ففي موضوع الفخر نجدهم قد عبّروا عن ذلك واضحا، فتباهوا بقوّتهم وشجاعتهم، وبما كانوا يقدّمونه للنّاس من عطايا وصلات، وقد كانت هاتان الصّفتان (الشّجاعة والكرم) المحور الرّئيس الذي دارت حوله مفاخرهم، وقد جاء إكثار الشّعراء الحكّام من الفخر بهاتين الخُلّتين –كما تبيّن- نابعا من طبيعة موقعهم السّياسيّ والاجتماعي، ذلك أنّ علاقتهم بالرّعية مبنيّة على المنفعة المتبادلة، فهم يؤمّنون للرّعية الأمن والاستقرار، فيخوضون من أجل ذلك الحروب، وفيها تبرز شجاعتهم التي بها يتباهون، ويقدّمون أيضا للرّعيّة العطاء الماديّ والمعنويّ ، وهنا يظهر كرمهم وجودهم. وإذا ما تحقّق للرّعيّة الأمن الماديّ والمعنوي فإنها تصبح مدينة للحكّام بالولاء والطّاعة، ولا تقصد بابا غير بابهم، ولا تيمّم قبلة سواهم. وإلى جانب افتخار الحكّام بالقوّة والكرم افتخروا أيضا بمجموعة من الفضائل الأخرى: كالوفاء والحلم والصّدق....

ولم يكتف الشّعراء الحكّام بالفخر بأنفسهم وتعداد مناقبهم في موضوع الفخر وحده ، وإنّما كان الفخر حاضرا في موضوعاتهم الشعريّة الأخرى : كالغزل ، والرّثاء ، والشّكوى .. وقد كان لذلك دوافعه النّفسيّة التي أدّت إليه بحكم المواقف والتّجارب التي تعرّضوا لها .

وكشفت أشعار الحكّام عن بعض الجوانب الخفيّة من حياتهم، تلك التي تتصل بعلاقاتهم الخاصّة مع المرأة، وكيف كانوا يتعاملون معها، فبيّنت أنّهم أمامها حاولوا أن يظهروا الضّعف والاستسلام، فتنازلوا عن ملكهم وسلطانهم، بغية رضاها ونيل وصالها، وقد كان ذلك كما تبيّن ليتمكّنوا من الوصول إلى الاستمتاع في علاقتهم معها، فكأنّهم بتنازلهم لها عن الملك وإظهار ضعفهم أمامها يحاولون أن يمنحوها الأمان، فلا تتعامل معهم بتهيّب وخوف من مكانتهم، بل تكون على طبيعتها وسجيّتها، فيصلوا بذلك إلى السّعادة والمتعة، ويشبعوا ما عندهم من حاجات ما كان إليها سبيل لو أن المرأة عاملتهم بتحفّظ وتهيّب، خوفا من سلطانهم ومكانتهم ملوكا وحكاما .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتظهر في بقيّة الموضوعات الشّعريّة : كالوصف والإخوانيّات والمدح جوانب أخرى من حياتهم، إذ بيّنت طبيعة علاقتهم مع آبائهم وأبنائهم وأصدقائهم ورعيّتهم ، فوجدناهم في علاقتهم مع أصدقائهم خارج نطاق السّلطة متجرّدين منها(السّلطة)، فيتبادلون معهم الأنس والسّمر، ويتعاملون معهم تعاملا لا فوارق طبقيّة فيه، فهم أصدقاء يعتبون بعضهم على بعض، ويتقدّمون بالاعتذار إن أخطأوا، حتّى إنّهم بدوا في بعض الأحيان متساوين معهم، لا بل كانوا يقدّمونهم على أنفسهم في القول والفعل، دون أن يفكّروا بالمكانة السّياسيّة والاجتماعيّة التي كانت تميّز بينهم، فهم في مقام الصّداقة أصدقاء لا حضور للملك وقيوده في التّعامل بينهم.

وكما أظهرت أشعارهم طبيعة حياتهم في رخاء العيش وسعته وقت سلطانهم ، أظهرت حالهم بعد خروجهم من السّلطة، ضعفاء مهزومين، أو مبعدين عن أوطانهم بالنّفي، أو بالسّجن أو الأسر، مكبّلين بالقيود، ففي موضوع الشّكوى تبيّن ذلك واضحا، ذلك أنّ الصّورة التي رسمها الحكّام فيه لأنفسهم في الفخر والغزل وبقيّة الموضوعات التي صوّرت حالهم نعيم السّلطة ورخائها، وجدناها (صورتهم) قد تغيّرت، فهم وهم يشتكون ممّا حلّ بهم من معاناة وألم تسبّب بها زوال ملكهم وإبعادهم عنه وعن ديارهم، كانوا كأنّهم ليسوا هم من افتخروا بقوّتهم وشجاعتهم، وبكرمهم وفضلهم على النّاس، وكأنّهم أيضا لم ينعموا بنعيم قط، فلم يلهوا بالنّساء، ويتمتّعوا بشرب الخمر في مجالسها التي كانوا يقيمونها في قصورهم أو بين أحضان الطّبيعة السّاحرة، وإنّما وجدناهم مهزومين ضعفاء، مسلوبي الحرّيّة والإرادة، يتحسّرون على ملك زائل كلّ ما حولهم يذكّرهم به، فلا يجدون سبيلا للرّاحة والفرار من ذلك الواقع الأليم إلا بالفرار إلى الماضي السّعيد حينا، متذكّرين ما كان منه علّهم يستّمدّون القوّة والصّبر، أو باللجوء إلى الله – تعالى-حينا آخر، أو بتمنّي الموت في بعض الأحيان .

ولم يأت حضور الموضوعات الشّعريّة عندهم بدرجة واحدة، فقد قلّت بعض الموضوعات، واختفى بعضها الآخر، فالمدح والشّعر الدّيني –مثلا- لم ينظم فيهما كلّ الشّعراء الحكّام، وإنّما عدد قليل منهم، وكان موضوع الهجاء من الموضوعات التي لم يكن لها حضور عندهم جمعيا؛ إذ لم نجد في شعرهم هجاء بالمعنى المعروف للهجاء، أي الهجاء الفاحش الذي يظهر فيه تتبّع للعورات وذكر للمناقص والمعايب، فقد كانوا إذا ما غضبوا من أحد الأقارب والأصدقاء توجّهوا إليه إمّا: بالشّكوى وذلك في إطار ظلم ذوي القربى كما ظهر في شعر إسماعيل بن الأحمر ويوسف الثّالث، وابن هود، وإمّا أنّهم يتوجّهون إلى من أساء إليهم بما لا من قول أو فعل بالمعاتبة، كمعاتبة الآباء لأبنائهم ولأصدقائهم، ومثالها في شعرهم معاتبة المعتضد لولده للمعتمد، ومعاتبة المعتمد لولده ذخر الدّولة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعلّ لموقعهم السّياسيّ والاجتماعي دورا في غياب الهجاء من شعره، فهم ليسوا من الضّعف بمكان حتّى يبادروا بمعاقبة من يسيء إليهم قولا يعدّدون فيه المعايب والمناقص، فلديهم من القدرة على الدّفاع عن أنفسهم ما يمكّنهم من معاقبة المسيء فعلا، فيقتلون أو يسجنون أو يعزلون إن كان المسيء من أصحاب المناصب، أو ينفون من الدّيار، ولا يستطيع أحد يمنعهم من ذلك، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ موضوع الهجاء لا يليق بمكانة الحكّام السّياسيّة والاجتماعيّة ، لما فيه من فحش وإقذاع جعل ابن بسّام يعدّه ميدانا للسّفهاء ([1])، لذا فإنّهم يترفّعون بأنفسهم عن طرق هذا الباب؛ حفاظا على مكانتهم وهيبتهم، ومن جهة أخرى فإنّ سلطة الحكم حالت بينهم وبين وجود البواعث الأخرى التي تدفع كثيراً من الشّعراء إلى النّظم في هذا الموضوع ، وهذه البواعث تتمثّل في اتّخاذ الهجاء بابا من أبواب التّكسّب والارتزاق ([2])، والحكّام الشّعراء في غنى عن هذا، فهم ليسوا مثل غيرهم ممّن سلك هذا المسلك من الشّعراء، بل هم من يُهْجون ليُنالَ عطاؤهم .

وخلاصة القول في موضوعات الحكّام الشّعريّة، أنّنا نجد أنّها شكّلت مرآة عكست صورة واضحة للواقع الذي كان الحكّام يعيشونه في حياتهم على اختلاف جوانبها: السّياسيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، وفي طبيعة علاقتهم مع نفسهم ومع من حولهم من الأقارب والأصدقاء، كما عكست صورتهم وهم في السّلطة أقوياء أصحاب عزّ ومنعة، والأمر بيدهم، وبعد خروجهم من السّلطة،وتبدّل الحال بهم .

[1] .الشّنتريني ، ابن بسّام ، الذّخيرة ، ق١، ج٢، ص ٦١ .
[2] . عيسى ، فوزي ، الهجاء في الأدب الأندلسيّ ، ط١، دار الوفاء لدنيا الطّباعة ، الإسكندريّة ، ٢٠٠٧، ص ١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفـــصل الثّالـــث

الدّراســـة الفـــنيّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كشفت موضوعات الشّعر التي نظم فيها الحكّام جوانب من حياتهم التي عاشوها في ظلال السّلطة، سواء ما كان من نعيم وسعادة، أو تعب وشقاء ترتّب على خروجهم منها، فهل نجد للسّلطة أثرا في أساليبهم الفنيّة كذلك ؟ وإن كان ثمّة أثر لموقعهم السّياسيّ والاجتماعيّ في أساليبهم، فهل ظهر واضحا فيها كلّها أم أنّه ظهر في جوانب منها دون الأخرى ؟ لعلّنا نتوصّل للإجابة عن هذه الأسئلة بدراسة النّواحي الفنيّة الآتية :

- بنية النّص الشّعريّ
- الصّورة الفنيّة
- التأثّر
- البنية الإيقاعيّة

أوّلا : بنية النّص الشّعريّ:

توزّعت أشعار الحكّام في إطارها العام بين مقطوعات وقصائد، وقد كانت المقطوعات هي الغالبة على نظمهم، حيث زاد عددها كما في الجدول الآتي* على عدد القصائد التي نظموها في الموضوعات المختلفة :

الغرض	عدد المقطوعات	عدد القصائد
الفخر	٢٦	١٣
الإخوانيّات	٩٩	٢٤
الغزل	١٧٤	٨٣
الشّكوى	٦٢	٣٤
الرّثاء	١٦	١٩
الشّعر الديني	١١	٤
المدح	٧	٦
الوصف	٤٧	٦
المجموع	٤٤٢	١٨٩

* أحصيت القصائد والمقطوعات الواردة في الجدول من المصادر الرّئيسة التي وردت فيها أكثر أشعارهم وهي : الحلّة ، وديوان المعتضد ، وديوان المعتمد ، وديوان يوسف الثّالث ، ونثير الجمان ، ونثير فرائد الجمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو من الجدول السّابق أنّ عدد المقطوعات قد غلب على عدد القصائد، ولعلّ ذلك قد جاء انسجاما مع طبيعة المواقف التي نظم فيها الحكّام تلك المقطوعات، إذ جاء نظمها في كثير من الأحيان وليد مواقف معيّنة ، دفعتهم للنّظم ارتجالا ودون استعداد مسبق منهم، أو حتى تهيئة نفوسهم لذلك، فنجدهم يعبّرون عن مواقفهم وردود أفعالهم النّفسيّة والعاطفيّة بأبيات شعريّة قليلة لا تتجاوز في أكثرها الأبيات السّتة .

ولمّا كان عدد أبيات المقطوعات الشّعريّة –في بعضها – قليلا من جهة، وكانت في الأحيان وليدة لحظتها من جهة أخرى فقد اتّسمت بالوحدة الموضوعيّة، وهذا أمر طبيعيّ ؛ فعدد أبيات المقطوعات قليل لا يتجاوز السّتة كما حددّها الدّارسون([1])، فلا يوجد فيها سعة لتعدّد أو تشعّب الموضوعات، فلو نظرنا إلى المقطوعات التي نظمت في الغزل نجد أنّ أكثر معانيها كانت تدور حول شدّة حبّهم وشوقهم للمحبوبة ولقائها، أو حول جمال المحبوبة ومحاسنها. و نجد أيضا أنّ المقطوعات التي نظموها في موضوع الشّكوى كانت في أكثرها تدور حول المعاناة التي وجدوها من ظلم ذوي القربى، أو التي وجدوها حين أُبعدوا عن الحكم وديارهم غرباء مأسورين، فيعانون الغربة وألمها. كما أنّ إخوانيّاتهم –كما تبيّن سابقا- كانت مترتّبة على مواقف ومناسبات دفعتهم لذلك، أي أنّها كانت ردّة فعل عن فعل سابق من الآخرين دفعهم إلى نظمها فيما بعد، فنظموا مقطوعات ردّوا فيها على طَلب طُلبَ منهم، أو اعتذار عن معاتبة وجّهت إليهم، كما جاءت في بعض الأحيان في صورة مراسلات شعريّة دارت حول موضوع بعينه لم تتجاوزه إلى غيره.

فمن الأمثلة على أشعارهم التي جاءت وليدة لحظتها: ما أورده إسماعيل بن الأحمر لأخيه الرّئيس محمّد وذلك أنّه " لقي يوما امرأة بارعة الجمال، وقد لبست ثياب حزن زرق، وهي سافرة عن وجه كالقمر، وهي تلطمه بيديها، والنّساء يرمن أن يبرقعنه فتمنعهن، فقال بديهة ([2]) الخفيف

ألبسوها ليحجب الحسن فيها ثوب حزنٍ فزادَ حُسْناً ومعنى

عَجَبا للسّحاب تسْتُرُ شمساً فَتَقَتْ غيمه شمالاً وَيُمنى !

[1] . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن ، ص ٥٣.
[2] . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك أيضا ما قاله المعتمد بن عبّاد، حين " كانت جارية من كرمائه على رأسه تسقيه والكأس في يدها، إذ لمع البرق فارتاعت، فقال بديها (١) السّريع

ريعتْ مِنَ البَرْقِ وفي كَفِّها بَرقٌ من القـهْوةِ لمّـاعُ
يا ليتَ شعْري وهْي شَمْسُ الضّحى كيف من الأنوار ترتـاعُ

ومن الأمثلة على ذلك في شعر المعتمد أيضا قوله وقد كان "في قبّة له يكتب شيئا أو يطالع وعنده بعض كرمائه، فدخلت عليه الشّمس فقال بديها (٢): البسيط

قامتْ لِتَحجُبَ قُرْصَ الشّمسِ قَامتها عَنْ ناظري حُجبتْ عن أعين الغيّرِ
عِلْما لَعَمْرُك منها أنّهـا قَمَرُ هَلْ تَحْجُبُ الشّمْسَ إلا صفْحَةُ القَمرِ

ومن الأمثلة على المقطوعات التي جاءت معارضة لأشعار آخرين ما نظمه سعيد بن جودي حينما سمع يوما منشدا ينشد قول أبي قيس بن الأسْلت (٣) : السّريع

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسي فما أطعَمُ نوما غيرَ تهجاعِ
أسْعى على جُلِّ بني مالكٍ كلُّ امرئ في شأنه ساع

فقال ابن جودي معارضا له على البديهة :

الدِّرْعُ قدْ صارتْ شعاري فما أبسُطُ حاشاها لِتَهْجاعِ
والسّيْفُ إن قصَّره صانعٌ طوّله يومَ الوغى باعي
وما كُمَيتي لي بمُسْتَقْصِرٍ إذا دعـاني للّـقا داعِ
هذا الذي أسعى له جاهدا كلُّ امرئ في شأنه سـاع

١ . الدّيوان ، ص ٢٦.
٢ . الدّيوان ، ص ٢٣.
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ١، ص١٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على المقطوعات التي نظمها الحكّام- استجابة لمواقف تعرّضوا لها، استوجبت منهم الرّد عليها - ما نظموه ردّا على المراسلات الشّعريّة التي كانت تصل إليهم من ذوي الحاجات الذين كانوا يقصدونهم طالبين عطاءهم، فمن ذلك أن أحد الشّعراء ممّن هنّأ الخليفة عبد الرّحمن بن هشام بالخلافة رفع إليه يوم بيعته في رقّ مبشور واعتذر عن ذلك بقوله (١):الكامل

الرَّقُّ مبشورٌ وفيه بِشارةٌ بِبَقا الإمامِ الفاضلِ المستظْهرِ
ملِكاً أعاد العيْشَ غضَّا شخصُهُ وكذا يكون به طوالَ الأدهُرِ

فأجزل الخليفة صلته، ووقّع على ظهر رقعته بهذه الأبيات (٢): الوافر

قبلنا العُذرَ في بَشْرِ الكتابِ لِما أحكمتَ من فَصْلِ الخطابِ
وَجدُنا بالجزا ممّا لدينا على قدْرِ الوجودِ بلا حسابِ
فنحنُ المنعمونَ إذا قدرنا ونحنُ الغافرون أذى الذّنابِ
ونحنُ المطلعون بلا امتراءٍ شموسَ المجدِ من فلكِ التّرابِ

وأمّا القصائد التي نظمها الحكّام فقد تفاوتت بين المطوّلات التي يزيد عددها على أربعين بيتا، والمتوسّطات التي تقع دون هذا القدر إلى عشرين بيتا، والقصار وهي ما كانت أقلّ من عشرين بيتا (٣). وقد كانت القصائد القصار هي الأكثر حضورا في شعر الحكّام من المطوّلات والمتوسّطات، وفي الجدول الآتي بيان ذلك:

المطوّلات	المتوسّطات	القصار
٨	٣٢	١٥٣

١ . نفسه ، ج٢، ص١٦.
٢ . نفسه ، ص١٧.
٣ . ينظر تفصيل الكلام حول القصائد والعدد الذي حدّده الدّارسون لكلّ قسم منها في : القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن ، ج٢، ص٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا القصائد المطوّلة والمتوسّطة فقد كانت من نظم شاعرين من الشّعراء الحكّام هما: إسماعيل بن الأحمر ويوسف الثّالث، وأمّا القصائد القصار فتوزّعت بين بقيّة الشّعراء، وكان العدد الأكبر منها لهذين الشّاعرين أيضا.

وفيما يتّصل بالنّهج الذي اتّبعه الشّعراء في قصائدهم فلم يلتزموا بنهج ثابت في تناول موضوعاتهم الشّعريّة، وذلك من حيث الأقسام المعروفة للقصيدة وهي : المطلع و المقدّمة ، والموضوع، والخاتمة، "هذه الأجزاء التي اعتنى الأندلسيون بها"وإنّما تفاوتوا في طريقة تناولهم لموضوعاتهم الشّعريّة، فكانوا حينا يدخلون في موضوع القصيدة دخولا مباشرا دون أن يقدّموا له، ملتزمين بالوحدة الموضوعيّة غير متجاوزين موضوع القصيدة إلى غيره إلا بما يتناسب والأفكار التي يعبّرون عنها، وغالبا ما يكون خروجهم إلى موضوع الفخر؛ ذلك لأنّ ذواتهم وما يتّصل بها هي المحور الرّئيس الذي دارت حوله أكثر أشعارهم، لا سيّما في الغزل والشّكوى والرّثاء والإخوانيّات، لذا كان فخرهم بأنفسهم حاضرا في هذه الموضوعات، وملازما لها في أكثر أشعارهم. فمن الأمثلة على القصائد التي خلت من المقدّمات تلك القصيدة التي نظمها عبد الرّحمن الحكم، معبّرا عن شدّة شوقه وحبّه لجاريته طروب، وتمنّيه لقاءها حين غاب عنها في إحدى غزواته، فافتتحها بالتّعبير عن مشاعره تلك فقال (١): المتقارب

فقدتُ الهوى مذ فقدتُ الحبيبا ... فما أقطعُ الليلَ إلا نحيبا
وإمّا بدتْ ليَ شمسُ النّهار ... طالعةً ذكّرتني "طَرُوبا"
فيا طولَ شوْقي إلى وجهها ... ويا كبداً أوْرَثتْها نُدوبا
ويا أحْسَنَ الخلقِ في مُقْلتيّ ... وأوفرهم في فؤادي نصيبا
لقد أورثَ الشّوقُ جسمي الضّنى ... وأضرمَ في القلْبِ منّي لهيبا

ثمّ يحاول أن يبرّر لها سبب غيابه عنها، فيبيّن أنّه لم يكن ليفارقها لولا خروجه لملاقاة الأعداء، طلبا للثّواب من الإله، وتخليصا للنّاس من ظلمهم ، ويأخذ الشّاعر في سياق تسويغه لها مفتخرا بنفسه وامتداحها، فيقول:

عَداني عنكِ مزارُ العِدا ... وقَوْدي إليهم لُهَاماً لهيبا
أريدُ بذاكَ ثوابَ الإله ... ومَن غيره أبتغيه مُثيبا
أنا ابن الهشاميْنِ منْ غالبٍ ... أَشُبُّ حروبا وأُطفي حروبا
بيَ ادّارك اللهُ دينَ الهُدى ... فأحْيَيْتُه واصْطَلَمْتُ الصّليبا
سموْتُ إلى الشّركِ في جحْفَلٍ ... ملأتُ الحُزونَ بهِ والسُّهُوبا

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ١١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن القصائد التي ظهرت فيها وحدة الموضوع، وخلت من المقدّمات قصيدة للحكم بن هشام، افتتحها بالفخر بنفسه، وصوّر حبّه للقتال وشوقه إليه، وتبريزه في ميادينه، وتحمّله ما فيه من مصاعب. وقد ظلّ الشّاعر في هذه القصيدة يدور حول هذه المعاني المتركّزة حول ذاته وامتداحها، ولم يجاوزها إلى غيرها، فيقول(١):الطّويل

غناءُ صَليلِ البيضِ أشْهى إلى الأذن من اللحنِ في الأوتارِ واللهوِ والرَّدنِ
إذا اختلفتْ زُرْقُ الأسنّةِ والقَنا أَرَتْكَ نجوماً يطَّلعْنَ من الطّعْنِ
بها يهتدي السّاري وتنكشفُ الدُّجى وتَسْتشْعِرُ الدّنيا لباساً من الأمْنِ
شققتُ غمارَ الموْتِ تُخْطئُ مُهْجَتي سهامُ ردىً قبلي أصابتْ ذوي الجُبنِ
إذا لَفَحَتْ ريحُ الظّهائِرِ لمْ يكنْ لِفاعي فيها غيرَ فَيء القنا اللّدنِ

ويواصل الشّاعر في هذه القصيدة فخره بنفسه حتّى آخر أبياتها، فيصوّر شجاعته في الحرب وتنكيله بالأعداء، فيقول:

قذفتُ بهم من فوقِ بَهَماءَ فاستوت له الأرضُ واستولى على السّهلِ والحَزْنِ
فسار يروِّي كلَّ صديانَ حائمٍ وسحَّ كما سحّتْ عَزالِ من المزنِ
وإن عَنَّ للتّيّار مِنْ سَيَلانهِ ذُرَى شاهقٍ أضحى كَمُنْتَفشِ العِهْنِ
هَنَأتُ به حَرباً تقشَّعَ بَحْرُها بحملِ هناءٍ ليسَ يَصْلُحُ لِلْبُدْنِ

ومن القصائد الخالية من المقدّمات تلك القصائد التي نظمت في الرّثاء، إذ اكتفى الشّعراء فيها بالتّعبير عن المعاني المألوفة في هذا الموضوع نحو: تصوير الحزن والتّحسّر على فقدان المتوفى، ومدحه وذكر محاسنه التي كان عليه في حياته، ومن ذلك قول عمر ابن الأمير محمّد بن عبد الرّحمن يرثي أباه، مفتتحا رثاءه بتصوير ألمه ولوعته فيقول (٢) :الطّويل

لفقدكَ تَنهلُّ العيونُ وَتَدْمَعُ وتنهدُّ أركانُ المعالي وتخْشَعُ
وَيُعْوِلُ من كانَ بالأمسِ ضاحكاً لغَفْلتهِ في ظلِّ نُعْماكَ يرتَعُ

١ . نفسه ، ج ١،ص ٤٩

٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمّ ينتقل لمدحه وذكر محاسنه فيقول :

ألا أيُّها القبْرُ الذي ضمَّ جسمهُ سقاكَ من الأنواءِ هَتّانُ مُمْرِعُ
ولقَّى كريما فيكَ روْحا ورحمةً مليكٌ إذا ما شاءَ يعطي وَيمنَعُ
وكانتْ له كفٌّ يفيضُ نَوالُها مدى الدّهْرِ عن تَسْكابها ليسَ تُقْلِعُ

ويعود الشّاعر في نهاية القصيدة ليؤكّد حزنه وألمه فيقول :

فلسْتُ لشيء بعدَ فقْدكَ فارحاً ولا لمصابٍ بعدَ فقدكَ أجزعُ
عليكَ سلامُ اللهِ من ذي مُصيبةٍ له مُهْجَةٌ نحو المنايا تَطَلَّعُ

ومن الأمثلة على القصائد الإخوانيّة التي خلت من المقدّمات والتزم فيها الشّاعر موضوعا واحدا لم يتجاوزه إلى غيره، قصيدة في الاعتذار، نظمها الرّاضي بن المعتمد، وافتتحها معتذرا من أبيه، فقال (١): الوافر

أعيذكَ أن يكونَ بنا خُمولُ ويطلَعُ غيْرُنا ولنا أُفــولُ
حنانكَ إنْ يكنْ جُرْمي قبيحاً فإنّ الصّفْحَ عن جـرمي جميلُ
وإن عَثَرَتْ بنا قدَمٌ سَفَاهاً فإنّي من عِـثاري مُسْتقيـلُ
وأحسنُ ما سمعتُ به عزيزٌ يـناديهِ فيرحَمهُ ذلــيلُ
وهـأنذا أناديكم فهــلْ لي إلى قربٍ مـن الرّحمى سبيلُ؟

ومن الأمثلة على القصائد التي خلت من المقدّمات في موضوع الغزل، قصيدة نظمها يوسف الثّالث، صوّر فيها شوقه للقاء المحبوبة، والمعاناة التي يجدها في البعد عنها، فافتتحها بقوله (٢): البسيط

هلْ عندَ منْ هجرتْ شوقي وتسهيدي ممّا جناهُ الهوى من أعينِ الغيدِ
أبيتُ ليلي مطويّاً على حُرَقٍ ولم تعودي ولم تُسْعف بمـوعـودِ
أغالبُ الوَجْدَ فيها وهو يغلبني وأردُدُ* الدّمعَ لو يثنيه ترديــدي

---

١ . نفسه ، ج٢ ، ص ٧٢.
٢ . الدّيوان ، ص ٣٧.
* أشار المحقّق أن الإدغام فُك للضّرورة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسترسل الشّاعر في تصوير المشاعر ذاتها حتّى آخر القصيدة دون أن يخرج إلى موضوع آخر، فختمها بقوله:

هذا الضّميرُ إليكم والفؤادُ لكم أنْ تقبلوه فذاكَ جهد مجهودِ
إنْ كانَ ساءكم أنّي بكم كلفٌ فذاكَ عيدي إن أدركته عيدي

ومن القصائد التي خلت من المقدّمات ودعت طبيعة موضوعها إلى الفخر، قصيدة عبد الرّحمن بن هشام التي عاتب فيها زوجة عمّه على مماطلته لمّا طلب ابنتها للزّواج، حيث افتتحها بلومها دون أن يقدّم لذلك فقال(١): الطّويل

وجالبةٍ عذراً لتصرِفَ رغبتي وتأبى المعالي أن تُجيزَ لها عُذرا
يكلّفها الأهلون ردّي جهالةً وهل حَسَنٌ بالشّمْسِ أن تمنعَ البدرا ؟
وماذا على أمّ الحبيبة إذ رأتْ جلالة قدري أنْ أكونَ لها صِهْرا؟

ثمّ يأخذ الشّاعر بمدح نفسه ليبيّن لزوج عمّه أنّ عنده من المكارم ما يحول بينه وبين ردّها له، فيقول:

فإن تصرفيني يا ابنةَ العمِّ تصرفي وعيشِكِ كفوا مدّ رغبته سترا
وإنّي لأرجو أنْ أطوِّقَ مَفْخري بملْكي لها وهي التي عَظُمتْ فخرا
وإنّي لطعّانٌ إذا الخيلُ أقْبَلتْ جرائدها حتّى تُرى جونها شُقْرا
وإنّي لأولى النّاسِ من قومها بها وأنبههُم ذكراً وأرفعَهم قدرا

وجاء عدد من القصائد لا سيّما في شعر يوسف الثّالث متعدّد الموضوعات، دون أن يتّبع الشّاعر نهجا محدّدا في ذلك، فكان يشير إلى ذلك قبل افتتاح تلك القصائد بقوله مثلا: ومن المطوّلات التي نظمناها ومن شاء أن يفصّلها إلى مقطوعات فله ذلك، و قوله :" ومن النّسيب وما معناه قولنا إلى أن اطّرد النّظم وتشعّب لموجب آخر و قوله :" ومن أوّليات منظومنا في هذا الحرف والمقاصد متعدّدة ، وقوله:" ومن أوّليات المقاصد التي نظمناها، وهي تشتمل على أغراض متعدّدة ومن أراد أن يفصّلها إلى مقطوعات فله أن يفعل.

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على القصائد المتعدّدة الموضوعات في شعر يوسف الثّالث إحدى القصائد افتتحها بالغزل، فوصف محاسن المحبوبة، وأفاض في ذلك، فقال(١): الطّويل

تردّتْ رداء الفخرِ وهو محبّر لها من ظلامِ الليلِ فَرْعٌ ومَحجر
فتاةٌ تُريكَ الشَّمْسَ عندَ طلوعها ولكنّها أبهى جمالا وأبهـــر

ويواصل الشّاعر وصف محاسن تلك المحبوبة، ويعبّر عن شدّة إعجابه بها وحبّه لها، ثمّ ينتقل إلى تصوير الصّعوبة التي وجدها للوصول إلى خدرها، وفي ذلك يقول:

وخاطرتُ بالنّفْسِ الشّعاعِ بمأزقٍ يُرى لوشيج الخطّ فيه تخطّر
إلى أن ولجتُ الخدرَ والشّوق غالبٌ وكلُّ عسيرٍ في الهوى متيسّر

ويعود بعد هذا ليصف محاسن المحبوبة وجمالها، وكيف استمتع بها إلى أن حانت لحظة الفراق بينهما، فيحزن الشّاعر لذلك، فيقول:

لكَ اللهُ لا تبعدْ فحبّكَ قاتلي وقلبيَ من أجلِ النّوى يتفطّرُ
لئنْ غبتَ عن عيني ولم يسعد اللقا فشخْصكَ في طيّ الفؤاد مصوّرُ
غريبان لا تلفى لنا الدّهر سلوةٌ نجدّد من شأنِ الهوى ونقرّرُ
فقيسٌ ولبنى عن هوانا تقاصرا ومجنون ليلى في مدانا مقصّرُ

ويدخل الشّاعر بعد ذلك في موضوع آخر يختم به القصيدة، فيصوّر شوقه وحنينه لمنازله التي فارقها، فيتذكّر أيّامه فيها، ويتمنّى الرّجوع إليها، فيقول:

عليلاتُ أنفاس الرّياحِ تشوقنا ولا غرو أن النّار بالرّيحِ تسْعرُ
ونُوقٍ براها الشّوقُ حتّى كأنّها أنابيب أقلام براها المحبّـــرُ
فإن ترد الزّوراء يوما فلحمها حرامٌ وذاك الظّهر منها محـرّرُ
فبي من هواها للمنازلِ حُرقةٌ تذوب لها الأكبادُ والعينُ تزهـرُ

١ . نفسه ، ص ٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي تذكّر أيّامه السّالفة، وحنينه إليها يقول :

وفي ملتقى الوادي وحَوْر مؤمّل ليال مضت إلا البكا والتّفكر
وفي الهضبة الشّماء من جانب الحمى مَعاهدُ عنها لا يُطاقُ التّصبّرُ
فجودي أيا عيني وبكّي عهودها ففي مثلها تهمي الدّموع فتعذرُ
ألا نفحةٌ منها أعاني بها الأسى ألا موردٌ من مائها يتــحدّرُ
ألا وقـفةٌ بالتّاج يـوما لهائم ألا خطرةٌ من ذلك الرَّبع تخطرُ
ألا حيّ هاتيك الأباطحِ عن فتى له في حصاة القلبِ سِرٌّ مستّرُ

وأمّـا بقيّـة القصـائد التـي تعـدّدت فيهـا مقاصـد الشّـاعر فكـان قـد جمـع فيهـا بـين: الوصـف والغزل(١)، والغزل والحنين (٢)، والغزل والشّكوى والفخر (٣).

وأمّا مطوّلات ابن الأحمر التي نظمها فقد التزم في بعضها بأجزاء القصيدة المعروفة: المطلع، والموضوع، والخاتمة، وقد تجلّى ذلك في قصائده المولّديّة التي نظمها في مدح الرّسول –عليه السّلام- ،فاشتملت كما تبيّنا في معرض دراستها في الفصل السّابق على: المقدّمة وكانت عبارة عن مطلع غزلي، انتقل منه الشّاعر إلى مدح الرّسول –عليه السّلام-وذكر فيه مناقبه ومعجزاته، وختمها بمدح السّلطان. وثمّة قصائد أخرى نظمها الشّاعر في موضوع المدح التزم فيها بالمقدّمة الطّلليّة، ثمّ انتقل بعدها للفخر بنفسه وتعداد مآثره، وصوّر بعدها كيف تبدّلت به الأحوال، الأمر الذي جعله يلتجئ إلى ذوي الكرم والمروءة أمثال الممدوح، وخلص بعد هذا إلى موضوع المدح . فمن أبيات المقدّمة التي افتتحها بالنّسيب و الأطلال، قوله (٤): الطّويل

له في لبانات التّتميم آمــال بأسما وأثواب التّصبّر أسمال
وإن سجعت ورقاء في فنن بكى وحنَّ لأطلال بها الدّمعُ هطّالُ
رسومٌ بها رسم الغرامِ مقيّدٌ به قيد من قاضي المحبّةِ أعمالُ

١ . الدّيوان ، ص ١٠/٨.
٢ . نفسه ، ص ٣٢/٣١.
٣ . نفسه ، ص ٦٥/ ٦٩.
٤ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٨٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأبيات التي افتخر فيها بنفسه، قوله:

فإن كنتُ قد أُنسيتُ عهدي سأعتري ببالكِ لا يألوك عنيَ تسآلُ
أنا ابن الوغى إن كنتِ جاهلة فما وعيشكِ أهلوك الجماهير جهالُ
نَمتني مـن قحطانَ أزكى عصابة إذا عدّ أبطال وأسقط بطّال

ومن الأبيات التي صوّر فيها معاناته من تبدّل الأيّام عليه قوله:

لئن طوّحت بي في البلادِ طوائح وأودى بسربي في المهامه إجفال
وألقت بي الأيّامُ كلّ عظيمة فجاءت كأمثال المواكب تنثال
فعن قدرٍ لا يستطاعُ دفاعه وقد يعجز الحول الفتى وهو محتالُ

وفي الأبيات التي خلص فيها الشّاعر من الحديث عن نفسه إلى مدح صاحب الأشغال السّلطانيّة أبي العبّاس أحمد بن الفقيه، بيّن فضله عليه، وكيف أنّه كفاه وأعانه ورفع قدره ، وأشار إلى أنّه يبتغي ردّ فضله عليه بأن جعل مدحه مقصورا عليه وحده، فقال فيها:

ولم أتعلّل بالأماني أحوزها بذلّ ولو علَّ الجوانح إعلالُ
كفتني هذا كلّه أيّ همّة لها غرر في المعلوات وأحجالُ
تلفّعتُ من ظلّ المعلّى بسابغٍ فلي فوق عُلويّ الكواكب أذيالُ
وحسبي متى رُمتُ المزيدَ جنابُه علاً أزدهي تيها لديه وأختالُ
يسربله الأمداح منّيَ مقول عليه له من كلّ نعماء سربالُ
صرفتُ عنان المدحِ عن غيره له فلم يلقني إلا نجاحٌ وإقبالُ

و يمضي الشّاعر بعد هذه الأبيات بتعداد مفاخر الممدوح وتفصيل القول فيها، وبهذا يختم هذه القصيدة المطوّلة، فيقول في الخاتمة:

وسُحبُ نداه ليسَ يخلفُ قطرها بها المزنُ وكّافٌ همى ساقه خال
يخالون من مرآهُ حسن وسامةٍ لقد صدقوا فيما بمرآه قد خالوا
ألا يا أبا العبّاس ضحاك من حبا جدا الجود حلت منك إذ ليس إقفالُ
بقيت على الأيّامِ يهنا بك العلا ويلقى احتفاء ما تروم وإحفال
وعُمّرت حتى تحتوي الأمرَ كلّه وتشغل حجّاب الدّنى لك أشغالُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومّما تقدّم من حديث حول بنية النّص الشّعري عند الشّعراء الحكّام يتبيّن أن أشعارهم في إطارها جاءت على صورتين: أولاهما المقطوعات القصيرة التي لا تتجاوز ستة أبيات، وكانت تتّسم بالوحدة الموضوعيّة، فجاءت مضامينها تدور حول موضوع واحد لم تتجاوزه إلى غيره، وثانيتهما القصائد، جاءت على صور ثلاث: المطوّلات، والمتوّسطات، والقصار، ولم يلتزم فيها الشّعراء بنهج محدّد في بناء موضوعاتها ، فجاء بعضها في موضوع واحد دارت حوله القصيدة دون مقدّمات، وجاء بعضها متشّعبا إلى موضوعات عدّة، حيث تضمّنت القصيدة الواحدة غير موضوع، فجمعت بين الغزل والشّكوى حينا، والرّثاء والفخر حينا آخر ..، وقد تجلّى هذا اللون من القصائد في شعر يوسف الثّالث، ومن الأساليب الأخرى التي اتّبعوها في بناء قصائدهم المطوّلة التزامهم بالأقسام المعروفة للقصيدة: المقدّمة والموضوع والخاتمة، وفي قسم من هذه الأقسام يتناول الشّاعر موضوعا مختلفا، وقد ظهر هذا الأسلوب عند ابن الأحمر في مطوّلاته، حيث افتتحها بمقدّمة غزلية يذكر فيها الأطلال والمحبوبة.

الألـفاظ:

جاءت الألفاظ التي وظّفها الشّعراء الحكّام في شعرهم على وجه العموم واضحة بسيطة، لا غموض فيها، مؤدّية للمعاني التي أرادوا التّعبير عنها؛ ولعلّ هذا جاء منسجما مع طبيعة المواقف التي كانوا قد نظموها، إذ جاء نظمهم لأكثر أشعارهم -كما تبيّنا سابقا - استجابة لمواقف استلزمت منهم الرّد عليها شعرا، كما جاءت أيضا لحمل رسالة كانوا يريدون إيصالها للنّاس من حولهم، فهم في أشعارهم التي افتخروا فيها بأنفسهم سعوا إلى أن يتقرّبوا من النّاس ويقرّبوهم منهم، فبيّنوا أن أبوابهم مفتوحة أمامهم ، وأنّهم هم (الحكّام) مصدر الأمن المادّي والنّفسيّ لهم، وحتّى يتمكّن الحكّام من إيصال هذه الرّسالة واضحة للرّعية، فيحظوا بولائهم وطاعتهم، فإنّه لا بدّ من أن تكون ألفاظهم واضحة ومؤدّية للمعنى المراد إيصاله بوضوح .

وربّما يكون لطبيعة الحياة التي يحياها الحكّام أثر في توظيفهم الألفاظ الواضحة السّهلة المأنوسة في الاستعمال، فهم بحكم مسؤوليّتهم منشغلون في معظم الأوقات بتدبير أمور الملك و سياسة شؤون الرّعيّة، فلا يوجد لديهم وقت للإغراق في الغموض وتوظيف الألفاظ الصّعبة المتوعّرة، فيوظّفون الألفاظ الواضحة قريبة المأخذ التي لا تحتاج إلى طول تأمل فيها للوصول إلى مراد الشّاعر. وقد تكون ألفاظهم قد جاءت واضحة سهلة لأن أشعارهم في كثير منها جاءت إمّا تعبيرا عن مشاعرهم الذّاتيّة من: حبّ أو حزن أو عتاب أو لوم ..، وإمّا استجابة لمواقف أثّرت فيهم وحرّكت مشاعرهم، فاستحثّت قرائحهم على النّظم لحظة تعرّضهم لتلك المواقف، فيوظّفون الألفاظ السّهلة المعبّرة عمّا يختلج في نفوسهم، ويدور في أذهانهم من أفكار ومعان جاءت وليدة لحظتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستنادا لما تقدّم نجد أنّ الشّعر عند الحكّام يشكّل وسيلة إعلاميّة من جهة، ووسيلة للتّعبير عن عواطفهم وانفعالاتهم وأفكارهم من جهة أخرى، لذا فإنّ توظيفهم الألفاظ السّهلة في شعرهم أمر مقصود؛ فهي وسيلتهم التي بها يصلون إلى مقاصدهم.

ومن الأمثلة على الأشعار التي توسّل فيها الشّعراء بالألفاظ السّهلة والمؤدّية للمعاني المعبّرة عمّا في نفوسهم ما نظمه عبد الرّحمن الدّاخل معبّرا عن حنينه وشوقه للمشرق، حيث وظّف من الألفاظ ما يدلّل على ذلك بوضوح بيّن، نحو: البين، والفرقة، والأرض، وغيرها ممّا يدور في فلكها، ومن ذلك قوله (١): الخفيف

أيّها الرّاكبُ الميمّم أرضي أقْرِ من بعضي السّلامَ لبعضِ
إن جسمي كما علمتَ بأرضٍ وفؤادي ومالكيهِ بـأرضِ
قُدِّر البينُ بيْنَنا فافترقنا وطوى البينُ عن جفونيَ غَمضي
قد قضى اللهُ بالفراقِ علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

ونجد مرارة إحساسه بالغربة والبعد عن الوطن تتجلّى في الألفاظ التي وظّفها للتّعبير عن تلك المشاعر، فوظّف في مقطوعة أخرى كلمات كلّها تنطق بتلك المشاعر نحو: تناءت، التّغرّب،الاغتراب، غريبة، المنتأى ... وقد كان الشّاعر قد جمع بينها كلّها في أبيات قليلة، علّه يفرّغ فيها ما يشعر به من ألم البعد والاغتراب، وفيها يقول(٢): الطّويل

تبدّت لنا وسطَ الرُّصافةِ نخلةٌ تناءتْ بأرضِ الغربِ عن بلدِ النّخلِ
فقلتُ: شَبيهي في التّغرُّبِ والنّوى وطولِ التّنائي عن بنيَّ وعن أهلي
نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ فمثلُكِ في الإقصاءِ والمُنْتأى مثلي

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٣٦.
٢ . نفسه ، ص ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولأنّ حياة الحكّام متّصلة اتّصالا وثيقا بأمور الحرب والقتال، فقد كان حضور الألفاظ الخاصّة بهذا الميدان لافتا في شعرهم، على اختلاف موضوعاته ومضامينه، لا سيّما الفخر منها،ومن الأمثلة على تلك الألفاظ: القتل، الطّعان، السّيف، الرّمح، الأسل، البيض، البنود .... إلخ ذلك، ومن الطّبيعي ألا يخلو معجمهم اللغويّ من توظيف بعض الألفاظ المستمدّة من واقعهم السّلطوي؛ كالألفاظ التي تشير إلى المُلك والسّيادة، و ما يتّصل بهذا الجانب من مظاهر دالّة عليه، ومن الأمثلة على تلك الألفاظ: الملك، والتمليك، والسّيادة،والحكم، والتّاج، والمواكب.. . ويأتي توظيف الحكّام لهذه الألفاظ لأنّ" لكلّ فرد معجمه اللغوي المتميّز فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وهناك كلمات لا يستعملها على الإطلاق وإن كان يفهم معانيها، وكلمات لا يستعملها ولا يفهم معانيها لأنّها خارجة عن دائرة تعامله أو وعيه "(١)

ولم يأت توظيف الحكّام لهذا اللون من الكلمات في شعرهم دون مناسبة للمعاني التي يعبّرون عنها، وإنّما جاءت في معظم الأحيان مناسبة للمضامين والمعاني التي يريدون إيصالها، فهم مثلا،عندما كانوا يفتخرون بقوّتهم وشجاعتهم وإحرازهم الانتصارات في ميادين القتال كانوا يذكرون الوسائل التي استعانوا بها لتحقيق ذلك. ومن الأمثلة على ذلك في شعرهم تعبير المعتضد عن فرحه بإحراز النّصر بسقوط رندة بيده، فذكر أنّه استطاع تحقيق ذلك النّصر بالأرماح وبحدّ السّيف وبأجناده الأشدّاء، فقال مجزوء الوافر

لقَدْ حُصِّلتِ يا رُندهْ فصرتِ لِمُلكنا عِقْدهْ
أفادتناكِ أرْماحٌ وأسيافٌ لها حـدّهْ
وأجنادٌ أشدّاءٌ إليهمْ تنتهي الشّـدّهْ

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك في شعره، قوله: الوافر

ببيضِ الهندِ والأسَلَ الحِدادِ أرَجّي أنْ يَتِمَّ ليَ مُرادي

ومن الأمثلة الأخرى التي يتّضح منها توظيفهم لتلك المفردات في شعرهم تلك القصيدة التي قالها الحكم بن هشام مفتخرا بنفسه، فقد أكثر الشّاعر من توظيف تلك المفردات في أكثر أبياتها، حتّى إنّه كان في بعض الأبيات يذكر أكثر من أداة من أدوات القتال وما يتّصل بها، فيقول: الطّويل

غناءُ صَليلِ البيضِ أشهى إلى الأذنِ من اللحن في الأوتارِ واللهو والرَّدنِ
إذا اختلفتْ زُرقُ الأسنّةِ والقَنا أرَتْكَ نجوما يَطَّلِعْنَ من الطـّعْنِ

١ . عيّاد ، شكري محمّد ، مدخل إلى علم الأسلوب ، ط٤، القاهرة ، أصدقاء الكتاب ، ١٩٩٨، ص ٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله في القصيدة ذاتها :

شققتُ غمارَ الموتِ تُخطئُ مهجتي سهامُ ردىً قبلي أصابتْ ذوي الجُبنِ

إذا لفحتْ ريحُ الظّهائرِ لم يكنْ لِفاعيَ فيها غيرَ فَيءِ القنا الــلدنِ

وإن لم يجدْ حصْناً سوى الفرِّ مُقْدِمٌ فما ليَ غيرُ السّيفِ والرّمح من حصــن

ومن الأمثلة على توظيف تلك المفردات في شعر سعيد بن جودي، قوله يفتخر بعلوّ همّته وقوّة بأسه، وكيف سعى لتحقيق ذلك بحدّ الحسام، وذكر في هذا السّياق الكلمات الآتية: الدّرع، والسّيف، والكميت، والوغى، فقال (١): السّريع

الدِّرعُ قد صارت شعاري فما أبسُطُ حاشاها لتهْجاعِ

والسّيفُ إن قصَّرهُ صانعٌ طوّله يومَ الوغى باعي

ومـا كُمَيتي لي بمُستَقْصرٍ إذا دعـاني لـلِّقا داعِ

ومن توظيف تلك المفردات في شعر يوسف الثّالث مفتخرا قوله: (٢) الطّويل

وأبعثُها مثلَ القسيِّ نوازعا حوائم قد حنَّت إلى غيرِ موردِ

عليها من الفتيانِ كلُّ شمردلٍ قليل تُقاة اللهِ ليس بقعددِ

ولوع بتخضيبِ البنانِ لدى الوغى جريء على قبضِ النّفوس مؤيّد

وإن لم أقدها والقنا تقرعُ القنا ضوامر أمثـالِ القِسيّ المسدّدِ

ولم يقتصر توظيف تلك الألفاظ في شعرهم على موضوع الفخر فحسب، بل ظهرت واضحة أيضا في بعض الموضوعات الأخرى، كالغزل، والشّكوى، والوصف، وما هذا إلا دليل واضح على حضور تلك الألفاظ في حياتهم وتعاملهم معها كثيرا، فقد أضحت جزءا رئيسا من مكوّنات معجمهم اللغويّ، وصارت حاضرة في أذهانهم وتعابيرهم، فيوظفونها في موضوعاتهم على اختلاف ميادينها.

١ . ابن الأبّار ، الحلّة، ج١، ص١٥٧.
٢ . الدّيوان ، ص ٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على توظيفهم لها في الغزل قول المعتمد (١): الكامل

عُلِّقتُ جائلة الوشاحِ تَخْتالُ بيْنَ أسنّةٍ وبواترَ

ولقد أكثر يوسف الثّالث في غزله من توظيف تلك الألفاظ ، فكان يشبّه العيون والألحاظ بالسّيوف والسّهام ، والقدود بالرّماح ، ومن ذلك قوله (٢)البسيط

كم تتركوا مهجتي نصْباً لأسهمكم وتعْمــرون فؤادا موحشا خربا
مهلا فإنّ سهامَ العينِ حين رمتْ ولمْ تصب نال منها المقتدى وصَبا

وقوله (٣) : الطّويل

جفونُ لحاظٍ أم جفون سلاح وَسُمرُ قدود أم نصولُ رماحِ
لها الغارةُ الشّعواء يفعل حدُّها بأفئدةِ العشّاقِ فعلَ صفــاحِ
وتقصرُ عنها المرهفات إذا انبرتْ إلى ملتقى الأبطالِ يوم كفاحِ

وقوله (٤) : الطّويل

وطرفُكَ أعدى للقلوبِ حقيقةٌ وأمضى من السّيفِ الصّقيلِ المهنّدِ

وقوله (٥): الطّويل

ومن ظبيةِ البانِ اللواحظُ ينْتضى على كبدي منها الحسامُ المشهّرُ
فمن قدّها رُمْحٌ لقلبي انثناؤه ومن لحظها عضبٌ عليَّ مشهّرُ

---

١ . الدّيوان ، ص ٢٧.البيت مكسور وقد أورد المحقّق له رواية أخرى له في الهامش:
وهويتُ سالبة النّفوس غريرة تختال بين أسنّة وبواتر
٢ . الدّيوان ،ص ١٢.
٣ . نفسه ، ص ٢٩.
٤ . الدّيوان ، ص ٤٨.
٥ . نفسه ، ص ٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوظّف ابن الأحمر تلك الألفاظ في غزله فيقول [1]السّريع

ظَبْيٌ ظُبا عَيْنيهِ فعّالةٌ بالقلبِ ما لا يفعَلُ الصّارمُ
يستلُّ من مُقْلتهِ صارماً للصَّبرِ منّي أبداً صارمُ*

ومن الأمثلة على توظيف تلك الألفاظ في موضوع المدح قول المتوكّل بن المظفّر [2]: البسيط

تُزهى إذا عَلِقتْ أسيافُهُ عَلقاً كأنّه في خدود البيضِ توريدُ
يهتزُّ عِطفاك في يومِ الوغى طربا كأنّ وقْعَ سيوفِ الهندِ تغريدُ

وقول الأمير يعقوب بن عبد الرّحمن الحكم في ابن أخيه [3]: الوافر

سما للمكرمات فقدْ حواها بهـــنديّ وخطّارٍ رُدَيْني

وقول ابن الأحمر في ابن عمّه الأمير الغنيّ بالله محمّد [4]: الوافر

مَلَكَ القلوبَ محبّةً ومهابةً ولسيفهِ في الدّارعين صَليلُ

وفي قوله فيه أيضا [5]: الطّويل

همامٌ إذا ما الرّوعُ عبَّ عُبابُهُ وأبدى عليهِ النّقعُ من نسجه زيَّا
ولاحتْ بروقُ الهندِ وامتلأ الفضا بصلصالِ رعدِ الطّبلِ أعظم به شيَّا
وطـأطـأتْ الأرماحُ تدمي أنوفها وأَحْكَمَ طير النَّبْلِ مرسلُهُ الرَّميا

ومنها في قول يوسف الثّالث مخاطبا جدّه محمّد الغنيّ بالله [6] : الطّويل

وخضت إليكَ القفر وهو مُمَنعٌ بكلِّ صقيلٍ مُرهف لجلادي
ولم تثنني عنكَ الحياةُ وحبّها ولا خوفَ أسيافٍ وبأسِ أعادِ

---

[1] . ابن الأحمر ، نثير الجمان ،ص٨٨.
* ذكر المحقّق أنّ المقصود بالصّارم السّيف،وصارم هنا "فاعل "من صرم:قطع
[2] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٩٦.
[3] . نفسه ، ج١، ص١٢٥.
[4] . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ٩٠
[5] . نفسه ، ص ٨٦.
[6] . الدّيوان ، ص ٣٥. أشار إلى أن تلك القصيدة في جدّه ص ٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على توظيف تلك الألفاظ في موضوع الوصف قول ابن رزين يصف انسياب الماء في روض(١) : الطّويل.

إذا ما انسيابُ الماءِ عاينتَ خِلْتهُ وقدْ كسّرتْه راحةُ الرّيحِ مِبْردا
وإن سَكَنتْ عنه حسِبْتَ صفاءهُ حُساماً صقيلاً صافيَ المتنِ جُرِّدا

وفي قول المعتمد يصف نافورة (٢): الكامل

ولربّما سَلَّتْ لنا منْ مائها سَيْفا وكان عن النّواظرِ مُغمدا
طَبَعَتْه لُجّيّاً فذابتْ صفحةٌ منهُ ولوْ جمدتْ لكــان مُهنّدا

وفي قول ابن صمادح القريب من وصف المعتمد في الأبيات السّابقة(٣) :

كأن انسيابَ الماءِ من صفحاتها حسامٌ صقيلُ المتنِ سلّ من الغمدِ

ومن توظيفها في موضوع الشّكوى ما جاء في شعر المعتمد، إذ يتحسّر على أيّام سعوده التي قضاها في قصره، الذي كان محميّا بالأسنة والسّيوف، فيقول (٤): الكامل

كمْ كانَ من أسدٍ هُنالك خادرٍ لكَ حارساً بأسنّةٍ وشفارِ
من قومكَ الزّهرِ الوجوه إذ الوغى كَسَتْ الوجوهَ الغُرَّ ثوْبَ القارِ

وفي قوله يتحسّر على تبدّل حاله من القوّة إلى الضّعف، فيشتكي ما حلّ به من ألم سبّبه القيد له(٥) : الكامل

قدْ كانَ كالثّعبانِ رمْحُكَ في الوغى فغدا عليكَ القيْدُ كالثّعبانِ

---

١ .ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ، ١١١.
٢ . الدّيوان ، ص ٧٦.
٣ . الخريدة، ج٢ ، ص ٨٥، عن دراسات في الأدب الأندلسيّ، الشّربف ، العربي سالم ، ص ١٨٤.
٤ . الدّيوان ، ص ١٤٢.
٥ . الدّيوان ، ص ١٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله ([1]) البيسط

والملكُ يحرسُهُ في ظِلّ واهبه غُلْبٌ من العُجْمِ أو شمٌّ من العربِ
فحينَ شاءَ الذي أتاه ينْزِعه لم يُجْدِ شيئا فراع السّمر والقُضب
فهاكَها قِطعة يُطوى لها حسدا السّيفُ أصدقُ أنباء من الكُتـبِ

وقوله ([2]) : الكامل

سلّتْ عليّ يدُ الخُطوبِ سيوفها فجذَذْنَ مِنْ جَلَدي الخطيف الأمْتَنا

ومن الأمثلة على الألفاظ التي تشير إلى الحكم والسّيادة، مجموعة من الأشعار التي قالها المعتمد في خطاب والده المعتضد، حيث كان يصدّرها بالإشارة إلى موقع والده السّياسي، فمنها

قوله([3]):

ألا يا **مليكا** ظلّ في الخطبِ مَفْزَعا ويا واحدا قد فاق ذا الخلقِ أجمعا

وقوله([4]):

أيا **ملكا** يَجلّ عن الضّريب ومن يَلْتذُّ غفرانَ الذّنوب

وتظهر تلك الألفاظ واضحة في قول المعتضد يخاطب صهره مجاهد العامري:([5])

ملـكٌ إذا فُهـنا بطيب ثنائه ظلّت به أفواهنا تتـمطّقُ
حَسْبُ **الرّياسة** أنْ غَدَتْ مُزدانة بسناه فَهْو **التّاجُ** وهي المفرقُ

ويشير يوسف الثّالث إلى الملك وبعض مظاهره في قوله:([6])

وأنا يوسفها من دولة أطلع الأنجم ملء الحدق
بين أبطال جهاد تمتطي للوغى غرَّ الجيادِ السّبق
ووفود **الملكِ** قد حفّوا به دُررَ العقدِ **وتاج** المفرق

---

[1] . نفسه ، ص١٩٠/ ١٩١.
[2] .نفسه .
[3] . الدّيوان، ص٩٧.
[4] . نفسه، ص٩٨. وينظر ص٩١،،٩٠، ٩٣
[5] . الدّيوان، ٢١٨.
[6] . الدّيوان ، ص ١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتظهر ألفاظ المُلك في موضوع الغزل، ومن ذلك قول الحكم الرّبضي([1]):

ظلّ من فرط حبّه **مملوكا** ولقد كان قَبْلذاك **مليكا**

وقول محمّد بن محمّد بن نصر([2]):

ملكّتك القلبَ وإنّي امرؤ عليَّ **ملك الأرض** قد وُقِّفا

وخلاصة القول فيما يتّصل بالألفاظ التي وظّفها الحكّام في شعرهم: إنّها جاءت في عمومها واضحة بسيطة لا غموض فيها، ملائمة للمعاني والأفكار التي دارت حولها. ومن أظهر ما تميّز به معجمهم اللغوي أنّهم وظّفوا فيه الألفاظ المستمدّة من ميدان السّلطة والقتال، ذلك الميدان الذي يتّصلون به اتّصالا وثيقا بحكم موقعهم السّياسيّ، وما يترتّب عليه من دور كبير لهم في خوض الحروب وإشعال نيرانها؛ تأمينا لهم، وتحصينا لبلادهم، فنجدهم في كثير من أشعارهم على اختلاف موضوعاتها قد وظّفوا الألفاظ المتّصلة بذلك الجانب من حياتهم ، نحو: الحرب،و الوغى، والرّمح، والأسنّة، والسّيف، والمهنّد ، والصّليل ....

ثانيا : الصّورة الشّعريّة:

سلك الحكّام في التّعبير عن معانيهم وأفكارهم طريقين أوّلهما: التّعبير المباشر، وثانيهما: توظيف الصّورة الشّعريّة.

أمّا التّعبير المباشر عن أفكارهم ومعانيهم وعواطفهم فنجدهم قد أفرغوها في قالب شعريّ وظّفوا فيه اللغة بألفاظها ومعانيها توظيفا مباشرا، فجاءت واضحة لا غموض فيها، ومعبّرة عمّا يدور في خلدهم دونما حاجة إلى تأويل أو مقاربة بينها وبين غيرها ممّا يحيط بهم من أشياء ماديّة ومعنوّية، للوصول إلى المعنى الذي يريد الشّاعر أن يعبّر عنه، ومن ذلك قول عبد الله بن محمّد في الزّهد ([3]): الوافر

أرى الدّنيا تصيرُ إلى فناءِ وما فيها لشيءٍ من بقاءِ

فبادرْ بالإنابةِ غيرَ لاوٍ على شيءٍ يصيرُ إلى فناءِ

---

[1] . ابن الأبّار ، الحلّة، ج، ص ٤٩.

[2] . ابن الخطيب، لسان الدّين ، اللمحة البدريّة، ص ١٧١.

[3] . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص١٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول المعتضد (١) : المتقارب

تَنَامُ ومُدنَفها يَسْهَرُ وَتَصْبِرُ عنه ولا يصْبِرُ
لئنْ دامَ هذا وهذا به سَيَهْلِكُ وجداً ولا يشْعُرُ

وقول المعتمد بن عبّاد وقد سمع الآذان لبعض الصّلوات (٢): الكامل

هذا المُؤذّنُ قدْ بدا بأذانه يرجو الرّضا والعفو من رحمانهِ
طوبى لهُ من ناطقٍ بحقيقةٍ إن كان عقْدُ ضميرهِ كَلسانهِ

وقول الرّئيس إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج (٣) : الطّويل

يقولون إنّي بالبطالةِ مُولعُ ولسْتُ وربَّ البيتِ أعرفُها بتّا
ولكنّهم لمّا رأونيَ سُدْتهم وكان جوابي في مجالسهم صمتا
تقوّل كلٌّ في جنابيَ ضَلّةً وما عرَفُوا وصفا لذاتي ولا نعتا

لا يخفى ما في الأشعار السّابقة من وضوح ومباشرة في التّعبير، فقد جاءت كلّ كلمة معبّرة عمّا يريده الشّاعر من معنى على ظاهر لفظه، دون تعقيد أو تعمية، ومثل هذه النّماذج كثيرة في شعرهم عرض نماذج متعدّدة منها فيما تقدّم .

وأمّا الصّورة الشّعريّة فلم يستغن الشّعراء الحكّام- مثل غيرهم من الشعراء- عن توظيفها في شعرهم ؛ فهي ركيزة أساسيّة من ركائز التّعبير الشّعري وأداة من أدواته التي يستعين بها الشّعراء لبيان موقفهم ونظرتهم للأشياء والأحداث التي تحيط بهم ، ماديّة كانت أم نفسيّة، فهي " جوهر الشّعر وأداته القادرة على الخلق والابتكار، والتّحويل والتّعديل لأجزاء الواقع، بل اللغة القادرة على استكناه جوهر التّجربة الشّعريّة وتشكيل موقف الشّاعر من الواقع وفق إدراكه الجماليّ الخاص " (٤) .

---

١ . الدّيوان ، ص ١٧٠.
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٥٥.
٣ . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ٨٢.
٤ . الجبّار ، مدحت سعد محمّد ، الصّورة الشّعريّة عند أبي القاسم الشّابي ، ط١، الدّار العربيّة للكتاب ، ١٩٨٤ ص ٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممّا لا شكّ فيه أن التّصوير الفنّي أداة إبداعيّة تظهر فيها قدرة الشّاعر ومهارته في التّعبير عن أفكاره وعواطفه وانفعالاته تعبيرا يجعل المتلقّي ينفعل معه وكأنّه يعيش معه الحالة الشّعوريّة ذاتها، فيرى بعينه، ويسمع بأذنه. فهل استطاع الحكّام أن يصلوا في تصويرهم الفنّي إلى هذه الدّرجة من الإبداع ؟ وهل تميّزت صورهم الشّعريّة عن صور غيرهم من الشّعراء ؟ وكيف كانت طبيعة صورهم الفنيّة، فهل كانت بسيطة واضحة، أم أنّهم أغرقوا في الخيال عند صياغتها؟ وهل كانت لهم صورهم الخاصّة المستمدّة من طبيعة حياتهم بما فيها من مميّزات ؟

جاءت الصّورة الشّعريّة في شعر الحكّام -في الأعمّ الأغلب منه- واضحة بسيطة بعيدة عن الإغراق في الخيال، أقرب إلى المباشرة، اعتمدوا فيها على توظيف التّشبيه والاستعارة، واستمدّوها من طبيعة الأندلس الخلابة التي عاشوا في كنفها، وهم ليسوا بدعا في هذا الجانب، وإنّما ساروا على نهج غيرهم من شعراء الأندلس، إذ " كان التّصوير الحسيّ المباشر والاتّكاء على التّشبيه والاستعارة من أهم مقوّمات الصّورة الأدبيّة عند الأندلسيين، ويرجع ذلك في المقام الأوّل إلى جمال طبيعة الأندلس، وهو ما حدّ من جنوح الخيال، ووقف بالتّصوير عند حدود الحسّ غالبا " (١) .

إنّ انفعال الشّعراء الأندلسيين عموما مع جمال طبيعتهم واتّكائهم عليها في تصويرهم الفنّيّ وتعابيرهم أمر أكّده القدماء والمحدثون، فلا نكاد نجد أحدا منهم يشكّك في ذلك، وفي شعر الحكّام وغيرهم من شعراء الأندلس ما يدلّل على ذلك واضحا دونما أدنى ريب، فقد كانت صورهم بما فيها من تشبيهات واستعارات مألوفة ومستوحاة من البيئة المحيطة بهم ، فالخدود ورود، والمرأة الجميلة غزالة أو ظبية، والكلام والثّغر درّ، والكرم بحر أو ندى، والشّجاع أسد أو ليث... إلخ من التّشبيهات التّقليديّة المألوفة في الأدب العربي* ، وقد أشار عبد الحميد الهرّامة إلى هذه الظّاهرة في الشّعر الأندلسيّ وسمّاها بالاتّباع، وقصد به :" تلك الصّورة التي يجدها الشّاعر في التّراث فينسج على منوالها ، معتمدا على رصيده المحفوظ من أشعار الوصف والتّشبيه ، وأغلبها من التّشبيهات الشّائعة في الشّعر العربي "(٢) .

---

١ . الشّريف / العربي سالم ، دراسات في الأدب الأندلسيّ ، ط١، دار شموع الثّقافة ، لبنان، ٢٠٠٣، ص ١٨٨/١٨٩.

* ينظر تفصيل التّشبيهات التي درج العرب على توظيفها في كلامهم في كتاب البلاغة الواضحة ، علي الجارم ومصطفى أمين ، ص ٥٦.

٢ . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن ، ج٢، ص ٣٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن الأمثلة على الصّور المألوفة في شعرهم تشبيه المرأة بالشّمس والقمر والغزالة والظّبية، ومن ذلك قول المعتمد يصف حسن محبوبته ببدر الدّياجي، وبالغزال الذي اصطاده، ويصوّر ضياء وجهها وإشراقته التي فاقت ضياء السّراج وأغنت عنه فيقول (١): الرّمل

يا بديعَ الحُسْنِ والإحْسـ ـا نِ يـا بدْرَ الدّياجـي
يـا غـزالاً صادَ منِّي بالـطّلى لَيْثَ الهـياجِ
قدْ غنينا بسنا وجهـ ـك عـنْ ضَوْءِ السّـراجِ

ويشبّه حسنها بالهلال إذا ما تجلّى، وبالغزال الذي فتكت مقلتاه بقلبه فيقول (٢): الخفيف

يا هلالاً إذا بدا لي تجلَّتْ عنْ فؤادي دُجُنةُ الكُرُباتِ
وغـزالاً لمُقْلَتيْهِ بقلبي فَتَكاتٌ كأنّها فتكـاتي

ويصف المعتضد محبوبته فيشبهها بالقمر والشّادن فيقول(٣):السّريع

يا قمراً قَلْبي لهُ مَطْلعُ وشادناً في مهجتي يَرْتَعُ

ومن ذلك قول أبي المطرّف عبد الرّحمن بن هشام يصف حسن محبوبته، فيشبّه جمال أسنانها وقد تبسّمت بالدّر، ونور وجهها وقد بان بالشّمس، ويصفها أيضا بالغزال الذي براه الله من نور عرشه، فيقول(٤): الطّويل

تبسّم عن درٍّ تنضّد في الوْرسِ وأسْفَرَ عن وجهٍ ينوبُ عن الشّمسِ
غـزالٌ براهُ اللهُ من نورِ عرْشهِ لتقطيعِ أنفاسي وليسَ من الأنـسِ

---

١ . الدّيوان ، ص ٢١.
٢ . نفسه .
٣ . الدّيوان ، ص ١٧٦.
٤ . ابن الأبّار ، ج٢، ص ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الصّور المألوفة في شعرهم – كما سبق- تصوير الخدود بالورود، وطول قوام المرأة وتثنيه بالأغصان وتمايلها، والكلام بالدّرّ. وقد اجتمعت هذه الصّفات في وصف المعتضد لجمال محبوبته وافتتانه به، فيقول(١): الطّويل

لهـا غُرّةٌ كـالبدرِ عندَ تمامهِ وَصُدغا عبيرٍ نمّقا صفحةَ البدرِ
وقدٌّ كَمثْلِ الغصنِ مالت به الصّبا يكادُ لِفرطِ اللينِ يَنْقَدُّ في الخَصْرِ
ومشيٌ كما جاءتْ تهادى غمامةٌ ولفظٌ كما انحلَّ النّظامُ عن الدُّرِّ

لقد حاول الشّاعر أن يقرّب للأذهان جمال محبوبته بكل وسيلة عنده، فوصفه: رؤية وحركة وكلاما، فكانت طلعة وجهها بجماله وإشراقته كالبدر عند إطلالته مكتملا، وكان قدّها بجماله وتثنيه وقد تمايلت كالغصن حرّكته ريح الصّبا، وكان كلامها كالدّرّ وقد انحلّ.

ومن ذلك وصف عبد الله بن محمّد لجمال محبوبته بالشّادن كحيل العين، الذي لحسنه حُقّ أن يخلع العذار فيه، ووصفه لوجنتيه بالورد وتثنّيه بقضيب البان، فيقول(٢): مجزوء البسيط

ويْحِي على شادنٍ كحيلٍ في مثلهِ يُخْلَعُ العِذارُ
كأنّما وجـــنتاهُ وردٌ خالطهُ النَّوْرُ والبَهارُ
قضيبُ بـانٍ إذا تثنَّى يُديرُ طرفاً به احورارُ
وقْفٌ عليهِ صفاءُ وُدّي ما اختلفَ الليلُ والنّهارُ

ومن الصّور المألوفة التي ظهرت في موضوع الفخر عندهم وصف الكرم والسّخاء بالغيث، والبحر، والنّدى، ووصف الشّجاع والفارس منهم بالليّث والأسد. فمن تصويرهم الكرم بالغيث المنسكب الذي فاق مطر السّماء وصف يعقوب ابن الأمير عبد الرّحمن لكرم ابن أخيه، فيقول (٣):الوافر

تُنادي ماجداً من عبدِ شمسٍ زكيَّ الفرعِ مفضالَ اليدينِ
سما للمكرُماتِ فقد حواها بهنديّ وخطّارٍ رُدَيْنـي
وغيْثاً حينَ يَسْكُبُ لا الثُّريّا بهِ جادتْ ولا نوءُ البُطيْنِ

---

١ . الدّيوان ، ص١٧٣.
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص١٢١.
نفسه، ص ١٢٥.
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ،ص ١٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول هشام بن عبد الرّحمن يفتخر بكرمه الذي تفيض به كفّه بحر ندى، وبشجاعته التي تجعل الدّماء بحرا في الحروب (١): المنسرح

تفيضُ كفِّي في السِّلْمِ بَحْرَ ندى وفي سجالِ الحروبِ بحرَ دمِ

ويصوّر المعتضد مكارم والده بالبحر، وما تجود به يداه بالسّحاب، فيقول (٢): الطّويل

ألا يا مليكا يُرْتجى ويهابُ وَبَحْراً له في المكرماتِ عُبابُ

وَمَوْلى عَدَتني مُذْ نَشَأتُ مَكَارم تـصُوبُ بها منْ راحَتَيْهِ سَحَابُ

ومن تصويرهم الشّجاعة بالأسود قول المنصور بن أبي عامر يفتخر بنفسه وجيشه في ساحات القتال(٣): الطّويل

وإنّي لزجّاءُ الجيوشِ إلى الوغى أسود تلاقيها أسود خوادرُ

ويصوّر رفيع الدّولة بن صمادح ضعفه أمام المرأة لجمالها وحسنها، فيتعجّب كيف استطاعت وهي الظّبية أن تصطاده وهو أسد العرين، فيقول(٤): الوافر

سطا ظبْيُ الخميلةِ يا لقومي على أسَدِ العرينةِ واستطالا

فأوْتَرَ قوْسَ حاجبِهِ اختيالا وَفَوَّقَ مـن لواحظِهِ نبالا

ويخاطب يوسف الثّالث ابنة عمّه مادحا أباها في معرض خطابه لها، فيصفه بالليث إذا ما شهد الوغى، وبالغيث والنّدى في الكرم، فيقول: الطّويل

أيا بنتَ ليث الحربِ إن شهد الوغى وغيث النّدى والجود إن أزم المحل

وثمّة صور أخرى مألوفة وبسيطة أكثروا منها في شعرهم، منها تصوير العيون وجمال لحاظها بالسّيف والسّهم، وتصوير غياب الميت في موضوع الرّثاء بأفول النّجم وانطفاء الضّوء، وقد أوردنا نماذج على ذلك في الفصل السّابق نكتفي بها .

---

١ . نفسه ، ج١، ص٤٣.
٢ . الدّيوان ، ص ٢١٥.
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٢٧٤.
٤ . نفسه ، ج٢ ، ص ٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الوقت الذي غلبت فيه الصّور المألوفة والتّقليديّة أو الاتّباعيّة كما سمّاها الهرّامة على شعر الحكّام، فلم تعدم أشعارهم من توظيف أنماط أخرى من الصّورة الشّعريّة ، ظهر فيها خروجهم عن الصّور المباشرة والتّقليديّة إلى الصّور التي وظّفوا فيها التّشبيه المقلوب، و الصّور المركّبة التي اعتمدوا فيها على الجمع بين أكثر من صورة، ووظّفوا فيها عناصر مختلفة: اللون والحركة والصّوت .

أمّا الصّور التي وظّفوا فيها التّشبيه المقلوب، فقد خرجوا فيها عن المعتاد المألوف، فصار وجه الشّبه في التّشبيه المألوف المعتاد أقوى في المشبه من المشبّه به، فبدلا من أن تشبه المرأة في جمال وجهها وإشراقته بالشّمس أو البدر والسّراج، صار الأمر مختلفا ،فالقمر يستمدّ ضياءه من وجهها ،والشّمس أقلّ ضياء منها . ومن الأمثلة على ذلك في شعرهم وصف أبي المطرّف المستظهر لجمال ابنة عمّه، فهي لم تشبه بجمالها الثّريّا وضياءها، ولا الصّباح وإشراقته ونوره، وإنّما قلّت الثّريّا والصّباح عنها جمالا وضياء ومنزلة، فنجده يقول في ذلك (١): الطّويل

تقلُّ الثُّريّا أن تكونَ لها ندّا ويرجو الصّباحُ أن يكون لها نحْرا

ويجعل يوسف الثّالث البان الذي ألفنا الشّعراء يشبّهون به قدّ المرأة وتثنّيه به، يجعله محاكيا قدَّ محبوبته، كما يجعل الورد في توريده مشابها خدّها، فهو يرى جمالها منقطع النّظير، وأن من يظنّ خلاف ذلك كان مخطئا، فهي في حسنها وجمالها لا تقارن بشيء، ويتجّلى هذا في قوله (٢) : الطّويل

هل البانُ يحكي من معاطفك القدّا أو الوردُ في توريده يشبه الخدّا
لقد أخطأ التّشبيه مـن حسب السُّها يُقاوم في آفاقه القمر السّعدا
وهل لحلى ليلى نظيرٌ وإن همُ يَظنّون منها الثّغرَ قد أشبه العقدا
أو الغصن المرتاحُ يحكي انثناءها أو الزّهر نثرا في التّكلّم أو نضدا
هي الغاية القصوى محاسنَ لم تجدْ شبيها لها في الغانيات ولا ندّا

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٤.
٢ . الدّيوان ، ص ٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصوّر الثّالث تميّز محبوبه وتفوّق جمال قدّه على الغصن القويم، ويجعل حسام لحظه أقطع من العضب اليماني، فيقول الطّويل:

أما ينثني الغصنُ القويم كقده وهيهات يحكيه إذا راح أو مشا
يهزُّ حسام اللحظِ أصدق مضربا وأقطع من عضب يمانٍ وأبطشا

ويصف الشّاعر جمال مشية المحبوبة ويجعلها في ذلك تتميّز عن الغصون الميّد فيقول: الكامل

خطرتْ فأزرتْ بالغصون الميّدِ ورنت فأودت بالجفون الهجّدِ

كما يجعل الشّمس مضرب المثل في الحسن والضّياء تخجل من خدّ محبوبته، لتفوّقه عليها في الحسن، فيقول ([1]):

وما سباني كحسن خودٍ ألقتْ بقلبي لظى الغليلِ
فالشّمسُ مهما بدت لديْها تَخْجلُ من خدّها الأسيلِ
لا زلْتُ أرجو اللقاء منها حتّى أراها بلا مثـيلِ

ويخرج المعتمد على ما درج عليه الشّعراء من تصوير الجود بالبحر والسّحاب، ويجعله في الممدوح أغزر من ذلك، فيمدح والده بالكرم جاعلا كفّه أندى من السّحاب، بل إن السّحاب صار قياسا بكرمه بخيلا، فيقول مجزوء الكامل:

يا أيّها الملِك الذي كفّاه بخّلتا السّحابْ

ويجعل كفّه لكرمها وجودها تسخر بالمطر، فيقول السّريع:

يا ملكاً قدْ أصبحتْ كفّه ساخرةً بالعارضِ الهاطلِ

ويتحسّر على كرمه الذي عدمه بعدما نُكبَ وَأُسِر، فيشير إلى أنّه كان لكثرته يُخْجل الغيْث المنهمر، فيقول الرّمل:

قُبِّحَ الدّهرُ فماذا صنعا ؟ كلَّما أعطى نَفيساً نَـزَعا
قد هوى ظلماً بمَن عاداتهُ أن ينادي كلَّ من يهوى "لَعَا"
منْ إذا الغَيْثُ هَمى مُنهمرا أخـجلتْهُ كفّه فانقطعا

[1] . نفسه ، ص ١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء التّشبيه المقلوب في الأشعار السّابقة في سياق موضوعي الغزل والفخر، فكانت المحبوبة في حسنها أجمل ممّا اعتاد الشّعراء أن يضربوا به المثل في الحسن والجمال، كالشّمس والقمر، والورد .. ، وكان الممدوح في كرمه أسخى من المطر المنهمر ومن البحر والسّحاب، ولعلّ ذلك يأتي محاولة منهم لإظهار تميّزهم وتفوّقهم في هذين الجانبين عمّا هو مألوف ومعتاد، ليصير كلّ ما يتّصل بهم له مكانته وتفرّده عمّن دونه .

ومن ألوان الصّور الأخرى التي ظهرت في شعرهم الصّور المركّبة، تلك التي تتكوّن من عدد من الأجزاء والعناصر، ولا تقتصر على المشبّه والمشبّه به فقط (١). ومن العناصر التي يتشكّل منها هذا اللون من الصّور: الخيال واللون والصّوت والحركة ، وقد تكون الصّورة الواحدة مشتملة على أكثر من صورة في وقت واحد ، وهو ما اصطلح عليه البلاغيون التّشبيه التّمثيلي ، فعرّفوه على أنّه " ما كان وجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدّد(٢) " .

ومن الأمثلة على هذا اللون من الصّور في شعرهم قول ابن صمادح في وصف بركة جلس يشرب الخمر حولها، فرسم لنا صورة تلك البركة، فالماء ينساب متدفّقا منها وكأنّه حسام صقيل سلّ من غمده، ويصف صورة فوّارة في تلك البركة ويشبّهها بما فيها من ماء أزرق يتدفّق منها دون انقطاع بالعين الزّرقاء موصولة السّهر، فيقول (٣): الطّويل

كأنّ انسياب الماءِ في صفحاتها حسامٌ صقيلُ المتنِ سُلَّ من الغِمدِ
تدورُ به فوّارةٌ مســتديرةٌ لها مقلةٌ زرقاءُ موصولةُ السّهدِ

ويرسم الشّاعر صورة لكأس الخمر التي كانوا يتعاطونها، فيشبّه الحبّات التي كانت تعلوها بحبّات النّدى التي تعلو صفحة الورد، ويشبّه تلك الحبّات بالجمر في لونه، كما يشبّهها في لونها وبرودتها بنار إبراهيم عليه السّلام، فيقول:

أدرنا بها كأســا كأنّ حبابها حباب سقيط الطّلّ في ورق الوردِ
لها في غدير الماء لألأ جمرة حكت نار إبراهيم في اللون والبردِ

١ . الزّبيدي ، صلاح مهدي ، بنية القصيدة العربيّة البحتري أنموذجا ، ط١، دار الجوهرة ، عمّان ، ٢٠٠٤، ص ١١١،
٢ . الجارم وأحمد أمين ، البلاغة الواضحة ، ص ٣٠.
٣ . الأصفهاني ، الخريدة ، ج٢، ص ٨٥، عن دراسات في الأدب الأندلسي، الشريف ، العربي سالم ، ص ٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرسم المعتمد صورة لفوّارة اقترب فيها -كما أسلفنا- من وصف ابن صمادح السّابق، وقد وظّف في تلك عنصر الحركة توظيفا واضحا، فشبّه خروج الماء وتدفّقه منها بالسّيف الذي سلّ من غمده وقد كان مخفيّا عن الأنظار، وقال إنّه لو جمد ساعة خروجه من تلك الفوّارة لكان سيفا بحق (١): الكامل

ولربّما سلّتْ لنا منْ مائها سيفاً وكان عن النّواظرِ مغمدا
طَبَعَتْه لُجيّا فَذابتْ صَفْحَةٌ منهُ ولوْ جَمُدتْ لَكَانَ مُـهنّـدا

ويعرض المعتمد مشهدا مرئيّا لصورة إحدى الليالي التي كان قد تعاطى الخمر فيها، فرسم صورة السّماء وقد أظلم ليلها، وبدا القمر فيها وكأنّه ملك تحفّه النّجوم والكواكب وتحيط به، فكان وكأنّه في موكب ملكيّ، الأمر الذي جعل الشّاعر يستدعي صورة نفسه ملكا على الأرض ومن حوله الحسان تتلألأ وتضيء سنا وسناء، فيقول(٢): الكامل

ولقدْ شَربْتُ الرّاحَ يسْطُعُ نُورها والليلُ قدْ مدّ الظَّـلامَ رداءَ
حتّـى تبدّى البْدرُ في جوزائهِ مَلِكا تنـاهى بَهْجةً وَبـهَـاءَ
لمّا أرادَ تـنزُّها في غَرْبه جَعَلَ المظلَّة فَوقـهُ الجوزاءَ
وتناهضت زُهْرُ النّجوم يَحفّـه لألاؤها فـاستكـمَلَ اللألاءَ
وترى الكواكبَ كالمواكبِ حوْلهُ رُفِـعَتْ ثريّاا عليـه لـواءَ
وَحَكيْتُهُ في الأرضِ بينَ مواكبٍ وكواعبٍ جَمَعَتْ سنـا وسناء

ويصوّر أبو القاسم محمّد بن إسماعيل حسن منظر الياسمين فوق الأغصان، فيشبّهه بالدّراهم المفروشة على رداء أخضر، فيقول (٣): السّريع

ويـاسمين حسنِ المنظرِ يفوقُ في المرأى وفي المخْبَرِ
كـأنّه من فـوقِ أغصانه دراهم في مِطْرفٍ أخضرِ

---

١ . الدّيوان، ص ٧٦.
٢ . نفسه ، ص ٦٩.
٣ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الصّور المرئيّة في شعرهم قول رفيع الدّولة ابن صمادح يعتذر عن غلام في عينه ما يشينها، فيصوّر ذلك العيب بما يطفو على الرّاح من حباب تزيدها جمالا ولذّة، فيقول (١): البسيط

قالوا: حبيبُك في إنسانِ مقلتهِ مثلُ الحبابةِ إذ تطفو على الرّاحِ
فقلتُ : بينهما في ذلكم شبهٌ كلتاهما تبعثانِ السّكر للصّاحي

ويصوّر يوسف الثّالث زيارة خيال المحبوبة إليه ليلا، فيرسم صورة حركيّة مرئيّة، فيقول (٢): الطّويل

أشاقكَ طيفٌ أذكَرَ القلبَ طارقُه زمانا تقضّى في التّنعّم رائقه
سرى يخرق الظّلماء نحوي كأنّما هداه على جنح الدّجنة بارقه
على حين راعَ الليلَ وَخْطٌ بفوده وأنذر بالصّبح المنوّر غاسقه
أطلَّ له جيشُ الصّباحِ برايةٍ تصول على جيش الظّلامِ بوارقُه
فولّى من الخوفِ الظّلامُ أمامه وأيقنَ أن الصّبحَ لا شكّ لاحقُه

ويرسم الشّاعر صورة لمشهد الأفق الذي تزيّن بالنّجوم والشّهب الزّواهر فيشبّه أفول النّجوم باللألئ المنظومة في سلك قد أوهنت صاحبها حين نظمها لإتقان نظمها، فيقول:

وحُلِّيَ غَربُ الأفقِ بالشُّهب واعتدتْ معطّلةٌ من حليهن مشارقه
كأنّ نجومَ الزّهر وهي غواربٌ لألئ سلكٌ أوهن النّظمَ ناسقُه

ومن الصّور التي استمدّها الشّاعر من واقع حياته المعيش وصفه نفسه والنّاس من حوله كأنّهم درر عقد تحيط به ، وكأنّهم أيضا التّاج الذي يتوّج به رأسه، فيقول (٣) : الرّمل

وأنا يوسفها من دولة أطلع الأنجم ملء الحدق
بين أبطال جهاد تمتطي للوغى غرَّ الجيادِ السّبق
ووفود الملكِ قد حفّوا به دُررَ العقدِ وتاجَ المفْرَقِ

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٩٥.
٢ . الدّيوان ، ص ١٩٠.
٣ . نفسه ، ص ١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أنماط الصّور التي ظهرت في شعرهم تشخيص الكائنات الحيّة والجمادات من حولهم؛ وذلك في محاولة منهم للتّعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم النّفسيّة تجاه ما كانوا يتعرّضون له من مواقف أثّرت فيهم، فلجأوا إلى خلق نوع من المشاركة الوجدانيّة بينهم وبين ما يحيط بهم من موجودات من غير البشر، علّهم يجدون في ذلك راحة ممّا يعانون، ويوصلون انفعالاتهم ومواقفهم تجاه الأحداث التي تمرّ بهم وتسبّب لهم التأزّم النّفسي ، وربّما الابتهاج والفرح في بعض الأحيان. فمن التّشخيص في شعرهم وصف الرّشيد بن المعتمد للقبّة المسمّاة سعد السّعود، إذ جعلها في صورة إنسان مزهوّ بحسنه وجماله، يتيه بذلك الحسن على من حوله، فيقول (١): الكامل

سعْدُ السّعودِ يتيهُ فوقَ الزّاهي وكلاهما في حسْنه متناهِ

ويشخّص يوسف الثّالث الرّيح فيجعل منها إنسانا يحاوره ويبثّه شكواه، فيطلب منها أن تزور ديار أحبّته وقد حنّ إليهم وهو في غربته، وسألها أن تصوّر لهم حاله، وما يعانيه من شدّة الشّوق والحنين إلى رؤيتهم، وأن تبلّغهم أنّه ما يزال حافظا لودادهم وراعيا لهم فيقول (٢):

فبــاللهِ يا ريحَ الجنوبِ تأمّلــي أيلقى سلامي من حبيب قبولُ
وإن جُلْتِ بالحمراءِ فاقري تحيّتي ديارا خلتْ منّي فـهنّ طلـولُ
وهبّي على القصْرِ الكبيرِ عليلةً فإنّ به أهلَ الحبـيبِ حـلولُ
وقـولي غريب أتلف الحبُّ قلبه لـه... أنّةٌ لا تنقـضي وعويـل

ويشخّص المعتمد القيد وقد قُيِّد به وهو في الأسر ، فيحاول أن يبثّه شكواه وألمه الذي يجده منه، فيصوّر له المعاناة النّفسيّة والجسديّة، لعلّه يرأف بحاله ويريحه، فيقول مخاطبا إيّاه (٣): السّريع

قيدي أما تعلمني مُسْلما ؟ أبيْتَ أن تشفقَ أو ترحما
دمي شرابٌ لك واللحم قد أكلته لا تهشِمِ الأعظُما
يبْصرني فيكَ أبو هاشمٍ فينثني والقلبُ قد هُشِّما

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٦٩.
٢ . الدّيوان ، ص ١٩٢.
٣ . الدّيوان ، ص ١٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتمنّى منه أن يرحم طفله الصّغير وبناته، ويخفّف عنهم ما يجدونه من ألم لرؤية والدهم على تلك الحال فيقول:

ارْحمْ طُفيلاً طائشاً لُبّه لم يخشَ أنْ يأتيكَ مُسْترحما
وارْحَمْ أُخيّات لـه مِثْلَه جرّعتهنَّ السُّمَّ والعــلقما

ويحاول المعتمد أن يفرّغ حزنه وألمه على مفارقة قصوره وحنينه إلى أيّامه فيها ، فيسقط تلك المشاعر على القصور، فيشخّصها ويجعلها هي من تبكي وتتألّم لما حلّ بها من بعد غياب أهلها عنها، فيقول مصوّرا ألمها وبكاءها على مفارقة ساكنيها (١): البسيط

بَكى المباركُ في إثرِ ابن عبّاد بَكى على إثْرِ غِزلانٍ وآسادِ
بَكتْ ثُريّاهُ لا غمّتْ كَواكبُها بمثلِ نَوْءِ الثّريّا الرّائحِ الغادي
بكى الوحيدُ بكى الزّاهي وقبّته والنّهرُ والتّاجُ كلٌّ حزنه بادي

ويسقط بكاءه وحزنه في مقطوعة أخرى على معالم سيادته الآفلة، فيجعل: المنابر والأسرّة والأسلحة والكرم تبكيه وتندبه، فيقول (٢): الطّويل

غريبٌ بأرضِ المغربينِ أسيرُ سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ
وتندُبُه البيضُ الصّوارمُ والقنا وينهلُّ دمعٌ بيْنهنَّ غزيرُ
سيبكيهِ في زاهيهِ والزّاهرِ النّدى وطلابُه والعَرْفُ ثمَّ نكيرُ

وبعد النّظر في أنماط الصّورة الشّعريّة التي وظّفها الشّعراء الحكّام تبيّن أنّها جاءت في شعرهم واضحة بعيدة عن الغموض والإيغال في الخيال، فوظّفوا الصّورة المباشرة التي تعتمد على التّشبيه والاستعارة القريبة المأخذ، وقد جاءت تلك الصّور تقليديّة مألوفة غير بعيد عمّا درج عليه الشّعراء في الأدب العربي عامّة .

١ . الدّيوان ، ص ١٦١.
٢ . نفسه ، ص ١٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ألوان الصّور التي ظهرت في شعرهم ما وظّفوا فيها التّشبيه المعكوس، والتّشبيه التّمثيليّ، وتشخيص الموجودات من حولهم، وكانت هذه الصّور أيضا واضحة لا غموض فيها، موصلة للمعاني والمشاعر التي أرادوا التّعبير عنها .

التّـأثُّــر:

ويقصد به ما ظهر في أشعار الحكّام من تلاق أو اتّفاق في المضامين أو طرائق التّعبير مع نصوص أخرى . ويقترب هذا المعنى في بعض جوانبه مع ما يسمّى في الدّراسات النّقديّة الحديثة بالتّناص؛ حيث ترى جوليا كرستيفا أنّ:" النّصوص تتمّ صناعتها عبر امتصاص وفي نفس الآن هدم النّصوص" (١). فما مدى حضور النّصوص الأخرى: كالقرآن الكريم، والحديث النّبوي الشّريف، والأمثال، وما أنتجه الشّعراء الآخرون في النّصّ الشّعري الحكّام؟

نجد أنّ شعر بعض الشّعراء الحكّام –فيما بين أيدينا من أشعار لهم – لم يتأثّر بالموروث الدّيني والأدبي، ويظهر هذا عند الشّعراء المقلّين وأصحاب المقطوعات القصيرة، ولعلّ مردّ ذلك إلى قصر المقطوعات، إذ لا يجد الشّاعر متّسعا للنّظر في نتاج غيره ليوظّفه في شعره؛ فهو يريد أن يعبّر عمّا يجول في خاطره من أفكار ومضامين بلسانه وألفاظه هو لا غيره .

إلا أنّ الشّعراء الذين تأثّروا بنتاج غيرهم قد اختلفت وجوه تأثّرهم، فبعضهم تأثّر بالقرآن الكريم ووظّف آياته وألفاظه وبعض قصصه، وبعضهم سار على نهج غيره من الشّعراء المشارقة في الموضوعات الشّعريّة والصّور الفنيّة والألفاظ وبناء القصيدة، وبعضهم ضمّن شعره أبياتا عينها من شعر غيره، وبعضهم تمثّل معاناة غيره من الشّعراء، فاستحضر في شعره أشعارهم وطرائقهم في التّعبير، متأثّرا بها في وصف معاناته التي يعبّر عنها، وفيما يلي تفصيل طرق تأثر الشّعراء الحكّام بنصوص أخرى.

١ . كرستيفا ، جوليا ، علم النّص ، ترجمة فؤاد زاهي ، ط١، دار طوبقال ، المغرب ، ١٩٩١، ص ٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء التأثّر بالنّص القرآني باقتباس بعض آياته وألفاظه، أو الإشارة إلى بعض القصص القرآنيّة، وتوظيفها بما يتناسب مع المضامين والأفكار التي أرادوا التّعبير عنها، ومن ذلك تأثّر عبد الله بن عبد العزيز بن الحكم الرّبضي بقوله تعالى " والله غالب على أمره "(١) ، وتوظيفه في الشّطر الثّاني من البيت الثّاني قوله(٢):

ووالله ما كان الفرارُ لحالةٍ سوى حذرِ الموتِ الذي أنا راهبُ
ولو أنّني وُفِّقتُ للرّشدِ لم يكن ولكنّ أمـــر اللهِ لا بدّ غالبُ

ويتأثّر ابن الأحمر في معرض فخره بقومه بوصف الله –تعالى – عن الجبال في قوله:" لا ترى فيها عوجا ولا أمتا "(٣)، ويوظّفه في قوله(٤): الطّويل

وإنّ جدودي كالجبالِ رزانةً وما إن ترى فيها اعوجاجاً ولا أمتا

ويتأثر المعتمد بقوله –تعالى- " الطّلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان "(٥)، ويوظّفه في سياق تغزّله بأحد الغلمان إذ خاطبه بقوله (٦): البسيط

يَا سيْفُ أمسكْ بمعروف أسيرَ هوىً لا ينبغي منك تسريحاً بإحسانِ

ويستحضر المعتصم بن صمادح حزن يعقوب –عليه السّلام- على يوسف-عليه السّلام- فيوظّف حين صوّر الألم والمعاناة اللذين انتاباه عندما سجن ولده عبيد الله ، فيصوّر حزنه على ولده الذي ابتلي بالسّجن ابتلاء يوسف –عليه السّلام- بحزن يعقوب عليه السّلام ومحاولته تصبير نفسه بقوله "فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون "(٧)، ويستحضره في قوله (٨):المتقارب

لئنْ كنتُ يعقوبَ في حزنهِ ويوسفُ أنتَ فصبرٌ جميلُ

---

١ . سورة يوسف ، آية ٢١.
٢ . ابن الأبّار ،الحلّة ، ج١ ،ص ٢١٨.
٣ . سورة طه ، آية ١٧.
٤ . ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ٨٤.
٥ . سورة البقرة ، آية ٢٢٩.
٦ . الدّيوان ، ص ٥٩.
٧ . سورة يوسف ، آية ١٨.
٨ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٨٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتأثّر يوسف الثّالث بقوله –تعالى – على لسان امرأة العزيز " الآن حصحص الحقّ "(١) وبقوله -تعالى-" مسّني الضّرّ"(٢)، فيوظّفهما بقوله مشتكيا من العشق ولوعة الهجر (٣):الخفيف

ما عليكم من محنتي وشقائي حصحص الحقُّ لا تزدني لما بي
مسّني الضّرُّ إذ هجرتَ فَصلني قد عذُبْ* لي أن كنت تهوى عذابي

ويستحضر ابن الأحمر في معرض تهنئته للقائد عبد الرّحمن بالنّصر على النّصارى قصّة موسى عليه السّلام ، وكيف نصره الله –تعالى –على السّحرة وجعل عصاه حيّة تسعى ، فيوظّفها في البيت الثّاني من قولها الطّويل.

فمن أحمد قل للنّصارى ونجله: رُميتم فمنكم مُزِّق النّحرُ والسّحْرُ
وإن جمعوا كيداً وجاؤوا بسحرهم جعلتَ عصاكَ السّيفَ فانبطلَ السّحرُ

لقد أخذ الشّاعر قوله في الشّطر الأول من البيت الثّاني ،من قوله تعالى " فأجمعوا كيدهم ثمّ أتوا صفّا"(٤) ، وأخذ قوله في الشّطر الثّاني من البيت نفسه من قوله تعالى " وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحرٍ ولا يفلح السّاحر حيث أتى "(٥) .

وأمّا تأثّرهم بما أنتجه غيرهم من الشّعراء -لا سيّما المشارقة- فقد تأثّروا بهم في جوانب عدّة منها تناول المعاني المألوفة التي درجوا على توظيفها في موضوعات الشّعر المعروفة، وقد سار بعضهم كما هو حال أكثر الشّعراء الأندلسيين على نهجهم وقلّدوهم " بافتتاح قصائدهم بالنّسيب والوقوف على الطّلل ،وعندما نقرأ مقدّماتهم هذه نجدها تتناول معاهد الشّرق وجباله وأماكنه "(٦) ومن أكثر الشّعراء الذين ظهر هذا الملمح في شعرهم: ابن الأحمر و يوسف الثّالث، حيث كانا قد افتتحا بعض قصائدهما بمقدّمات طلليّة، وقد ظهر في شعر يوسف الثّالث ذكر لبعض المواقع المشرقيّة المعروفة نحو: نجد ، وتهامة، والأبرقين، وسلع، وسقط واللوى، وماء العقيق، والرّقمين، والزّوراء، والخليط، والجزع ".

---

١ . سورة يوسف ، آية ٥١.
٢ . سورة الأنبياء، آية ٨٣.
٣ . الدّيوان ، ص ١٠.
* ذكر المحقّق أن الباء سكّنت للضّرورة.
٤ . طه ، آية ٦٤.
٥ . طه، آية ٦٩.
٦ . شلبي ، سعد إسماعيل ، دراسات أدبيّة في الشّعر الأندلسيّ ، ص ٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على المقدّمات الطّلليّة في شعر الثّالث، مقدّمة قدّم بها لموضوع المدح، وضمّنها ذكرا لبعض المواقع السّابقة الذّكر، قوله ([1]) : الكامل

ظمئت ركائبُهم وأينَ المورِدُ ذرفت دموعهمُ وأين الموعدُ
مـن كان يقنعه الخـيالُ فإنّنا نأبى المحال وشوقنا يتزيّـدُ
أينَ المحصَّب من رياض خُناصر أينَ الاجصُّ ومـاؤه والمشـهدُ
أيـنَ الألى حطّوا بسلع ركبهم في إثرهم تَهيامُنا يتـجدّدُ
ما منهمُ إلا حليف صبابة مهما ترامى مُتهمٌ أو منـجدُ
سلْ بالعقيق وقد حكته دموعهم اليأس دانٍ والرّجاء مُبـعدُ
ما كنتُ ممّن بالمنازل همُّه لولا الغرامُ وأمره المتأكّـدُ

وسار الثّالث على نهج غيره من الشّعراء في عدم التّصريح باسم المحبوبة، وذكر أسماء متعدّدة لها، وقد أشار القيرواني إلى مسلك الشّعراء هذا فقال: " وللشّعراء أسماء تخفّ على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا نحو: ليلى وهند ودعد ولبنى ..([2]) ، ومن الأسماء التي وظّفها الثّالث في شعره: " سلمى، هند، ليلى، أمامة، أسماء ([3]). ففي ذكر سلمى يقول الكامل

هوَ ربْعُ سلمى أسلمتُ قلبي لهُ نظراتُ ألحاظِ الظّباءِ الغيدِ

وقوله في أسماء الطّويل

فيا قلبُ والتّهيام منك سجيّةٌ وكلّ امرئ تثني عليه مخايله
هل الدّارُ من أسماء دان وأن نأى بأسماء ربعٌ لا يسالمُ نازله

ومن صور التأثّر الأخرى في شعرهم أنّهم ردّدوا معاني ومضامين سبقهم إليها شعراء آخرون، ومن ذلك تأثّر غير واحد منهم بقول الشّاعر الخليفة المشرقيّ هارون الرّشيد

ملك الثّلاثُ الآنساتُ عناني وحَلَلْنَ من قلبي بكل مكـانِ
مـا لي تطاوعني البريّةُ كلّها وأطيعهنّ وهنّ في عصيانـي
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه عززن أعزّ من سلطاني

---

[1] . نفسه ، ص ٥٠ .
[2] . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشّعر ، ج ٢ ، ص ١٤٢.
[3] . الدّيوان ، ص ١١، ٣٥، ٣٦، ٤٦، ٦٠، ٦٣، ٧٣، ٨٥، ٩٣، ١٠٢، ١٢٠، ١٢١، ١٣١، ١٤١، ١٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ردّد غير واحد من حكّام الأندلس –كما لاحظنا في معرض دراسة الغزل-هذا المعنى في شعرهم، فعبّروا بلسان واحد عن ضعفهم أمام المرأة، وتسليمهم لها، فهذا الخليفة سليمان بن الحكم يعارض الرّشيد بقوله (١):

عجباً يهابُ الليثُ حدَّ سِناني وأهابُ لحظ فواترِ الأجفانِ
وأقارعُ الأهوال لا مُتَهّيباً منها سوى الإعراضِ والهجرانِ

وهذا الحكم بن هشام يردّد المعنى ذاته في قوله (٢):

ظلَّ من فرطِ حبّه مملوكا ولقد كانَ قبْلَذاكَ مليكـــا
إن بكى أو شكا الهوى زيدَ ظلما وبعاداً يدني حماما وشيكا
تركته جآذرُ القصْرِ صبّا مُسْتهاما على الصّعيدِ تريكا
يجعلُ الخدَّ واضعا فوق ترب للّذي يجعل الحرير أريكا
هكذا يحسنُ التّذلّل في الحـ ـبّ إذا كان في الهوى مملوكا

وهذا يوسف الثّالث يردّد ذلك المعنى في غير موضع من شعره،
فيقول (٣):

فيا عجبا أنّ الملوكَ تخافني ويجزعُ قلبي من ظباء المقاصرِ
ويخطبُ ودّي ذي البريّةُ كلّهم ويرغبُ عنّي ذو لحاظ فواتـرِ
فما ذاكَ إلا أنّ هذا الهوى له عقودٌ قد استهوت عقولَ الأكابرِ

ويقول (٤):

أطيعك في ملكي ومُلكي تطيعه ملوك البرايا بينَ مثنى وموحدِ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٩ .
٢ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٤٩.
٣ . الدّيوان ، ص ٦٤.
٤ . الدّيوان ، ص ٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويردّد محمّد بن نصر هذا المعنى فيقول(١):

ملّكتك القلبَ وإنّي امرؤ عليَّ ملكِ الأرضِ قد وُقِّفا
أوامري في النّاسِ مسموعةٌ وليس منّي في الورى أشرفا

ومن الأمثلة الأخرى على تضمينهم معاني شعريّة سبقهم إليها شعراء آخرون، حديث المعتضد عن معرفته بأسرار الغرام والنّساء، في قوله (٢):

إذا أخطأ الأحباب ترتيب حالِهم فإنْ فؤادي دائما ليصيبُ
عليم بأسرار الغرامِ لأنّه بصيرٌ بأدواءِ الحسانِ طبـيبُ

يبدو المعتضد في قوله السّابق متأثّرا بقول علقمة بن عبدة(٣):

فإن تسألوني بالنّساء فإنّني بصيرٌ بأدواء النّساء طبيبُ

ويتأثّر المعتمد بن عبّاد في قوله مخاطبا والده (٤):

فَلَمْ يبقَ لي أملٌ أرْتجيه سوى أنْ أقومَ بنعماكَ شكرا

بقول ابن نباتة السّعدي (٥):

لمْ يُبْقِ لي جودُه شيئاً أُؤمّله تركتني أصحبُ الدّنيا بلا أملِ

ويتأثّر يوسف الثّالث في قوله يدعو بالسّقيا إلى ساكني نجد:

إلى سكنى الألى حلوا بنجد سقاه غيرَ مفسده الغمامُ

بقول طرفة بن العبد يمدح قتادة بن مسلمة الحنفي ، ويدعو له بالسّقيا:

أبلغ قتادة غيرَ سائلِهِ منه الثّوابَ وعاجلَ الشّكمِ
فسقى بلادكَ غيرَ مفسدها صوبُ الغمامِ وديمةٌ تهمي

---

١ . ابن الخطيب ، لسان الدّين ، اللمحة البدريّة ، ص ٦٩.
٢ .الدّيوان ، ص ١٦٢.
٣ . الفحل، علقمة ، الدّيوان، تحقيق لطفي الصّقال ودريّة الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب ، ١٩٦٩، ص٣٥.
٤ . الدّيوان ص ٩٠
٥ . السّعدي، ابن نباتة ، الدّيوان،تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطّائي ، منشورات وزارة الإعلام ،العراق ، ١٩٧٧، ج١،ص ٢٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر تأثّر شعراء بني عبّاد ببعضهم واضحا، وذلك في سيرهم على نهج واحد في موضوع المعاتبة، حيث كانوا كما تبيّنا من دراسة هذا الموضوع في الفصل السّابق قد توارثوا ذلك عن بعضهم، حتّى بدا وكأنّه في هذه الأسرة تقليدا متوارثا، فكانوا يسيرون فيه –في بعض الأحيان – على نهج واحد، إذ تناولت قصائدهم الاعتذاريّة محاور ثلاثة: مدح الوالد (المُعْتَذَرمنه) والتماس العفو بالاعتذار عمّا بدر من الشّاعر أو ما عوتب عليه، وافتخار الشّاعر (المُعتَذِر) بنفسه وذكر شمائله الحميدة؛ ليتقرّب بها من الوالد، فيعفو عنه .

وقد تأثّروا أيضا بشعر بعضهم ، فضمّنوا شعرهم بعض المعاني والمضامين التي وردت عند بعض شعراء بني عبّاد الآخرين، ومن ذلك تأثّر المعتمد بشعر والده المعتضد، إذ قال مشتكيا من الوجد الذي يعانيه والمحبوب مواصل له، ومتسائلا عن حاله كيف يكون لو أنّ المحبوب يهجره أو يغيب عنه، فقال معبّرا عن ذلك(١):

والدّمعُ جارٍ قطره وابلٌ والجسمُ بالٍ ثوبهُ أصفرُ
هذا ومنْ أعْشقهُ واصلٌ كيفَ به لوْ أنّه يَهْجرُ

لقد أخذ الشّاعر معناه السّابق من قول أبيه (٢):

يقاسي فؤادي الوَجْدَ والحبُّ واصلي فكيفَ تراهُ إن جفاهُ حبيب ؟

ويتأثّر المعتمد بقول أبيه المعتضد الذي خاطب به والده القاضي أبا القاسم يعتذر فيه عن معاتبه إيّاه، ويلتمس منه الرّضا فيقول (٣):

فَجِئْتُ أُغِذُّ السّيْرَ حتّى كأنّما تطيرُ بسيْري في الفَلاة عُقابُ

١ . الدّيوان ، ص٣٧ .
٢ . الدّيوان ، ص ١٦٢.
٣ . الدّيوان ، ص ٢١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتجلّى تأثّر المعتمد بقول أبيه السّابق في قوله يخاطب والده المعتضد، فيمدحه ويشكره على عطاياه ([1]):

فجئتُ أُغِذُّ السّيْرَ حتّى كأنّني لإفراطِ إغذاذي على أظْهُرِ النّجبِ

ضمّن المعتمد بيته السّابق الشّطر الأوّل من قول أبيه دون أن يغيّر في معناه ومعظم مفرداته شيئا ،واتّفق معه أيضا في مضمون الشّطر الثّاني ، الأمر الذي يدلّ على أنّه كان متأثّرا بشعر أبيه لفظا ومعنى .

ولم يكتف الشّعراء الحكّام بتوظيف بعض المضامين والألفاظ الشّعريّة التي سبقهم إليها الشّعراء الآخرون، وإنّما ضمّن بعضهم أبياتا وأنصاف أبيات لشعراء آخرين دون أن يغيّروا فيها شيئا زيادة أو نقصانا، ومن ذلك تضمين يوسف الثّالث لبعض الأبيات المشهورة، وإشارته إلى ذلك في مطلع قصائده، ولكن دون أن يعرّف في بعض الأحيان بقائليها، ومن الأمثلة على ذلك قوله: ومن منظومنا وقصد تضمين البيت المشهور " ما أبعد الشّيء ترجوه"([2])، وذلك في قصيدته التي مطلعها : البسيط

هي الخيامُ أقامتها على عمد صِيدٌ سوابقها استولت على الأمدِ

وقد جاء تضمين الشّاعر لذلك البيت ضمن آخر أبيات هذه القصيدة، وفيه يقول:

ما أبعدَ الشّيء ترجوه فَتُحْرَمه قد كنتُ أحسبُ أنّ الصّبر طوعَ يدي
اليوسفيُّ يُوليه ويمنحه غيثاً لمستمطر ظــلا لمستند
أنا الذي ترتمي بالدّرّ أبحره إذا ارتمـــت أبحرُ الأملاكِ بالزّبد

ويضمّن يوسف الثّالث الشّطر الثّاني من البيت الثّاني من قول حمدونة بنت زياد المؤدّب ([3]):

ولمّا أبى الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثارِ
وشنوا على أسماعنا كلَّ غارة وقلّ حماتي عند ذاك وأنصاري

---

[1] . الدّيوان ، ص ٨٦.
[2] . الديوان ، ص ٣٩.
[3] . تنظر أبيات حمدونة في كتاب : المقّري، نفح الطّيب،ج٤،ص ٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قوله ([1]):

وهدّتْ صروف الدّهرِ شامخَ عزّتي (وقلّت حماتي عند ذاك وأنصاري)

ويضمّن الشّاعر في القصيدة ذاتها قول أبي فراس الحمداني ([2]) :

فنحنُ أناس لا توسّط بيننا لنا الصّدر دون العالمين أو القبر

فيوظّفه في قوله ([3]):

فنحنُ أناسٌ ليس فينا توسُّط فإمّا لهلك أو لرفعة مقدارِ

ويضمّن ابن رزين قول أبي الطّيب المتنبي([4]) :

وما كنتُ ممّن يدخلُ العِشقُ قلبَه ولكنَّ مَنْ يُبْصِرْ جفونَكَ يعشَقِ

فيوظّفه في قوله من القصيدة التي أرسلها لابن عمّار ([5]):

ثنائي على مرّ الزّمانِ مُحَلَّقٌ عليكَ وإنْ أبْدَيْتَ بعضَ التّخلُّقِ

وما كنتُ ممّن يدخلُ العِشقُ قلبَه ولكنَّ مَنْ يُبْصِرْ جفونَكَ يعشَقِ

ومن التّضمين في شعر المعتمد، تضمينه الشّطر الأوّل من قول أبي تمّام ([6]):

السّيفُ أصدقُ أنباء من الكتُبِ في حدّه الحدّ بين الجد واللعب

في الشّطر الثّاني من قوله ([7]):

فهاكها قِطْعةً يطْوي لها حسداً السّيْفُ أصدق أنباءً مِنَ الكُتُبِ

---

[1] . الدّيوان ، ص ٦٢.
[2] . ديوان أبي فراس ، ص١٥٢.
[3] . الدّيوان ، ص ٦٢.
[4] . ديوان المتنبيّ ، تحقيق مصطفا السّقا وآخرين ، الطّبعة الأخيرة ، دار الفكر ، ج٢، ص ٣٠٤.
[5] . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٦٨.
[6] . ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التّبريزي ، دار الفكر العربي ، بيروت ط١، ٢٠٠١ ج١، ص ٣٢.
[7] . الدّيوان ، ص ١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور التّأثّر الأخرى التي ظهرت في شعر الحكّام التقاؤهم مع من سبقهم من الشّعراء في التّعبير عن الألم والشّكوى من ظلم ذوي القربى وتبدّل الحال بزوال ملكهم، أو بالبعد عن أوطانهم، والوقوع في الأسر أو السّجن، فقد اتّفقوا معهم في المضامين ووسائل التّعبير التي توسّلوا بها لتصوير تلك المعاناة، وقد ظهر هذا الملمح واضحا في شعر المعتمد ويوسف الثّالث، فكلاهما –كما سبق-تعرّض للمعاناة والألم، فالمعتمد سقط ملكه وانتهى به الحال أسيرا في أغمات، ويوسف الثّالث عانى من ظلم أخيه له باغتصابه حقّه في ولاية العهد وإبعاده حينا من الدّهر عن وطنه .

أمّا المعتمد فقد تشابهت معاناته مع معاناة أبي فراس الحمداني، فكلاهما كان من أصحاب الحكم والسّلطة، فأبو فراس كان من أمراء بني حمدان في حلب، والمعتمد كان ملك إشبيلية، وقد وقف عدد من الدّارسين القدماء والمحدثين على جوانب الالتقاء بين معاناة الشّاعرين : فأشار حنا فاخوري في معرض حديثه عن المعتمد إلى التّشابه الكبير بين المعتمد وأبي فراس في المحنة والتّعبير الصّادق عنها فقال :" ليس شاعرنا بالمتكسّب المتهافت .فيستعمله - يقصد الشّعر- أداة للتّعبير عن مشاعره، وعمّا توقده في صدره حوادث الدّهر من عواطف واختلاجات، وهذا ما يجعل بينه وبين أبي فراس شبها كبيرا، ولا سيما أن الأيّام قد ناءت عنه بكلكلها، فذلّ بعد عزّ وأسر"(١)

ومن نقاط الالتقاء الأخرى بين الشّاعرين وأفضت فيما بعد إلى الالتقاء في التّعبير الشّعريّ عن محنة كليهما " ظروف الأسر وكيّفيّته، فكلاهما يفاجأ بعدو يفوقه عددا وعدّة، وممّا يفتّ العضد الدّعوات الجانبيّة المتخاذلة التي انطلقت هنا وهناك داعية أبا فراس للفرار في وجه الرّوم، وداعية ابن عبّاد للخضوع للمرابطين ، ثمّ يقف الرّجلان موقفين صلبين يعبّران عن شجاعة كليهما ، وعدم تقبّل الذّل مهما تكن الظّروف والنّتائج "(٢) .

ومن أهم جوانب الالتقاء بين الشّاعرين، التقاؤهما في التّعبير عن تلك المحنة التي ألمّت بهما مضمونا وأسلوبا، وإلى هذا الجانب التفت صلاح جرّار، فعقد دراسة مقارنة بينهما، خلص منها إلى أنّه " لدى المقارنة بين ما قاله المعتمد في سجنه وما قاله أبو فراس في أسره نجد تشابها كبيرا في الموضوعات والمعاني وبعض الصّور والتّشبيهات؛ ممّا يوحي بأنّ المعتمد قد تمثّل شعر أبي فراس تمثّلا عميقا "

١ . فاخوري ، حنا ، تاريخ الأدب العربي ، المطبعة البوليسيّة ،ص ٨٣٨..
٢ . عامر ، عبد الله عامر ، تجربة السّجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عبّاد ، ص ٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن المضامين الشّعريّة التي بدا فيها اتّفاق الشّاعرين واضحا، التّعبير عن موقفهما من الخنوع والاستسلام للعدوّ مقابل النّجاة والسّلامة، حيث رفضا ذلك وعبّرا عنه شعرا، فقال أبو فراس في قصيدته المشهورة " أراك عصيّ الدّمع " (١):

وقال أصيحابي الفرارُ أو الرّدى فقلتُ هما أمرانِ أحلاهما مرُّ
ولكنّني أمضي لما لا يعيبني وحسبكَ من أمرينِ خيرهما الأسرُ

ويعبّر المعتمد عن موقفه من الخضوع والاستسلام للمرابطين، وتفضيل السّم النّقيع على ذلك فيقول (٢):

قالوا: الخضوعَ سياسة فليْبْدُ منك لهم خضوعُ
وألذُّ من طعم الخضوعِ على فمي السّمُّ النّــقيعُ

وإلى جانب اتّفاق الشّاعرين في الأبيات السّابقة في المضمون نجد أنّهما اتّفقا أيضا في توظيف الحوار، وذلك في قول أبي فراس "قالوا " و"قلت"، وفي قول المعتمد "قالوا، ثمّ رده عليهم ببيان موقفه ممّا قالوا.

ومن الجوانب الأخرى التي التقى فيها المعتمد مع أبي فراس في التّعبير عن الألم والشّكوى من المحنة التي أصابته، مخاطبة طير الحمائم (٣)، ومحاولة إشراكها معهما وجدانيّا، وقد فسّر عمر الدّقاق هذه الظّاهرة عند الشّاعرين وعند من سبقهما في هذا المسلك، فردّها إلى أنّ " المواقف المتشابهة تستدعي أشعارا متشابهة، وهكذا ناجى المعتمد أسراب القطا، دأب الشّعراء العرب من قبل ومن بعد على مناجاة سائر الطّيور والظّباء، لقد هاجت حمامة ورقاء مشاعر الشّوق في نفس أبي العلاء وهو في بغداد بعيدا عن أهله ووطنه فاستبدّ به الحنين وراح يناجيها، كما هاجت من قبل مطوّقة أخرى مشاعر أبي فراس الحمداني وهو في أسره بحصن خرشنة في بلاد الرّوم فطفق يبثّها ما انطوت عليه جوانحه من عواطف الشّوق والحنين ... وكأن المرء حين يقسو عليه الدّهر ويبوء بالخذلان ... ينفض يديه من دنيا الإنسان ويأنس بعالم الحيوان واجدا في ذلك خير ما يسرّي عنه ويسليه " (٤).

---

١ . الدّيوان ، شرح محمّد بن شريفة ، ص١٥١.
٢ . الدّيوان ، ص ١٥١.
٣ . جرّار ، صلاح ، قراءات في الشّعر الأندلسيّ ، ص ١٤١.
٤ . الدّقّاق ، عمر ، ملامح من الشّعر الأندلسيّ ، دار الشّرق ، بيروت ، ص ١٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأشعار التي بثّ فيها أبو فراس همّه للحمائم قوله (١):

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ يا جارتا هل بات حالك حالي ؟
معاذ الهوى ما ذقتُ طارقة النّوى وما خطرت منك الهموم ببالِ

ثمّ يأخذ بتفصيل الهموم التي أصابته وتسبّبت بالحزن له، وذكّرته بها تلك الحمامة فيقول:

أيا جارتا ما أنصف الدّهرُ بيننا تعالي أقاسمكِ الهمومَ تعالي
تعالي تري روحا لديّ ضعيفةً تردّدُ في جسمٍ يعذَّبُ بــالِ
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالِ؟
لقد كنتُ أولى منكِ بالدّمعِ مقلةً ولكنَّ دمعي في الحوادث غالِ

ويخاطب المعتمد أسراب القطا فيصوّر لها حاله في الأسر ما يجده فيه من ألم، ويقابل -كما فعل أبو فراس قبله- بين حاله وحالها، فهي حرّة طليقة لا أسر يعوقها، وهو مقيّد ومكبّل ممنوع من الحركة، فيقول:

بَكيْتُ إلى سربِ القطا إذْ مررْنَ بي سوارحَ لا سِجْنٌ يعوقُ ولا كبْلُ
ولمْ تكُ واللهُ المعيذُ حسادةً ولكن حنينا: إنَّ شكلي لها شكْلُ
فاسْرحْ فلا شمْلي صديعٌ ولا الحشا جميع ولا عيناىَ يُبْكيهما ثكْلُ
هنيئاً لها أنْ لمْ يُفرّقْ جميعها ولا ذاق منْها البُعدَ عنْ أهلها أهْلُ

ويذكر جرّار جانبين آخرين من جوانب التّشابه في التّعبير الشّعري بين الشّاعرين هما: ما قالاه في العيد، وتذكّر المنازل والشّوق إليها فمن الأشعار التي قالها أبو فراس وقد جاءه العيد وهو في الأسر قوله معبّرا عن ألمه

يا عيدُ ما عدتَ بمحبوب على معنّى القلْبِ مكـروبِ
يا عيدُ ما عدتَ على ناظرٍ مِنْ كلِّ حسْنٍ فيكَ محجوبِ
يا وحشةَ الدّارِ التي ربُّها أصبحَ في أثوابِ مربـوبِ
قدْ طلعَ العيدُ على ربِّها بوجه لا حُسنٍ ولا طيــبِ

١ . الدّيوان ، ص ١٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف المعتمد حاله وقد حلّ عليه العيد مأسورا، فيقابل بين حاله في العيد أيّام عزّه وسلطانه، وحاله في العيد وهو مأسور مقيّد، فيشتكي ويتألّم قائلا (١):

فيما مضَى كنْتَ في الأعيادِ مسرورا فساءك العيدُ في أغماتَ مأسورا

ومن الأشعار التي قالها أبو فراس حنينا وشوقا للمنازل والدّيار، قوله (٢):

قِفْ في رسوم المستجا ب وحيِّ أكناف المصـلَّى
فـ(الجرس) فالفيّوم فالسُّـ قيا بها فالنّـــهر أعـلى
تلكَ المنازلُ والمـلا عبُ لا أراها اليوم محْـلا
أُوطِنْـــتُها زَمَن الصّبا وجـعلتُ منبج لـي مـحْلا

ويحنّ المعتمد إلى ملكه وأيّامه التي قضاها في قصوره عزيزا منيع الجانب ، فيقول متحسّرا على ذلك (٣):

مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به وأصْبَحَ منه اليومَ وهـــو نفورُ
فيا لَيْتَ شعري هلْ أبيتَنّ ليلةً أمامي وخلْفي رَوْضـــةٌ وغديرُ
بِمَنْبَتةِ الزّيتون مُوروثة العُلى يُغَنِّي حـمامٌ أو ترنُّ طُيُـورُ
بزاهرها السّامي الذُّرى جادهُ الحيا تُشـــيرُ الثّريّا نَحْونا ونشيـرُ
وَيَلْحَظُنا الزّاهي وسعْد سعوده غيوريْنِ والصّبُّ المُحبُّ غيور

ويقول من قصيدة أخرى (٤):

بكَى المباركُ في إثْرِ ابن عبّاد بَكى على إثْرِ غزلانٍ وآسادِ
بَكَتْ ثريّاهُ لا غمّتْ كواكبها بِمثْلِ نَوْءِ الثّريّا الرّائحِ الغادي
بكى الوحيدُ بكى الزّاهي وقبّتهُ والنَّهْرُ والتّاجُ كلّ ذُلُّهُ بـادي

---

١ . الدّيوان ، ص ١٦٨.
٢ . ديوان أبي فراس الحمداني ، ١٤٥/ ١٤٧
٣ . الدّيوان ، ص ١٧٢.
٤ . الدّيوان ، ص ١٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تبيّن واضحا أنّ تأثّر المعتمد بن عبّاد بشعر أبي فراس الحمداني لم يأت من باب تضمين أبيات وتعابير من شعره (الحمداني) وإنّما كان الالتقاء والتّشابه بينهما في المواقف والمضامين التي عبّرا عنها، فالتقيا – وهما من أهل الملك والسّيادة – على رفض الخنوع والاستسلام للأعداء، واشتكيا من الحال التي آلا إليها ، وكيف تبدّلت بهما، فصارا من بعد السّلطة والتّمكين إلى الأسر والسّجن وذلّهما . كما أنّهما أشركا معهما في التّعبير عن تلك المعاناة موجودات الطّبيعة من حولهما، كالقطا والحمائم، وقابلا أيضا بين حاليهما في العيد والمناسبات أيّام عزّهما وسلطانهما وبين حالهما بعد زواله، والتقيا أيضا في الحنين إلى المنازل والدّيار، وقد جاء مجمل ذلك الالتقاء بينهما دون استعانة واضحة من المعتمد بشعر أبي فراس سواء بتضمين أبيات منه، أو بتوظيف ألفاظ وتعابير بعينها ذكرها الحمداني .

وأمّا يوسف الثّالث فقد تأثّر في تصوير معاناته وشكواه من ظلم ذويه، والتّعبير عن شوقه وحنينه لوطنه أيّام بُعده عنه، تأثّر بشعر من سبقه من الشّعراء ممّن عاشوا المعاناة ذاتها، فاستحضر أشعارهم ومواقفهم التي عبّروا فيها عن ذلك، وضمّنها شعره، بلفظها حينا، وبمعناها حينا آخر، ومن ذلك تأثّره بالعرجي واستحضاره لقوله (١):

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسدادِ ثغْرِ

وتوظيفه الشّطر الأوّل منه في عدد من أبيات إحدى قصائده التي اشتكى فيها من ظلم ذويه ، وافتتحها شكواه فيها بقوله (٢):

فأيّ جيرتي بالغور أشكو وما يملكُ شكايتهم زمـــامُ*

رعيتُ عهودهم فأضيع عهدي فسيّان الإضاعة والذمام

ويبدو تأثّره بقول العرجي السّابق من تكرار الشّطر الأوّل منه في الأبيات المتتالية من قوله:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا إذا حلت بعقوتها الطّغام

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا لسدّ الثّغر ثلـته اللئام

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا كنصل السّيفِ حدّاد حسام

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومٍ يرْتجى فيه الجهام

---

١ . ديوان العرجي، تحقيق خضر الطّائي ورشيد العبيدي، الشّركة الإسلاميّة ، بغداد ، ص ٣٤.

٢ . الدّيوان ، ص ١٠٩. الأبيات فيها كسر في الوزن ، هكذا وردت في الدّيوان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتأثّر الشّاعر بالعرجي أيضا في موقع آخر من القصيدة ذاتها ، فيردّد معنى الشّطر الأوّل وبعض ألفاظه التي وردت في قوله :

كأنّني لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمر

فنجده يوظّفه في الشّطر الأول من بعض أبيات القصيدة السّابقة، فيكرّره في موضعين منها، فيقول :

كأنّي لم أكن فيهم جميعا وتفردني التّحيّة والسّلام

كأنّي لم أكن فيهم وسيطا ولم يك مَحْتدي الملكُ الهمام

ونلمح في القصيدة ذاتها تأثّر الشّاعر بالمقنّع الكندي في قصيدته المشهورة ،التي اشتكى فيها من قومه، إذ عابوا عليه إسرافه في العطاء، ورفض بنو عمّه أن يزوّجوه ابنتهم؛ لفقره ودينه الذي جلبه على نفسه من جوده وكرمه، فما كان منه إلا أن يردّ عليهم بقصيدة يشتكي فيها منهم بقوله (١):

يعاتبني في الدّين قومي وإنّما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمّي لمختلفٌ جدّا

فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا

وإن ضيّعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غَيّي هَويت لهم رشدا

وإن زجروا طيري بنحسٍ تمرُّ بي زجرتُ لهم طيرا تمرّ بهم سعدا

لقد تمثّل الثّالث مضمون مقابلة الشّاعر في الأبيات بينه وبين بني عمّه، فحاول هو الآخر أن يقابل بينه وبين قومه، وكيف أنّهم يردّون إحسانه إليهم بالإساءة، فيقول:

أكفُّ عواذلي عنه بوفري وَجود الجُود هطّالٌ سِجام

فعادتْ مِنحتي محنٌ عليَّ ونصري أسرتي منهم ملام

أحامي عِرضهم فيُباح عِرضي وأجبرُ ثلمهم وبيَ انثلام

عذيرك من خليلك من مُرادِ همومي همّه وبيَ اهتمام

يُراوحني المتالف والرّزايا وقد كانوا وبي لهم اعتصام

---

١ . المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد أمين وعبد السّلام هارون ، القاهرة ، ١٩٥٢، ج٣، ص٤٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ اتّفاق المعتمد ويوسف الثّالث في تعبيرهما عمّا ألمّ بهما من متاعب وآلام تعرّضا لها مع من سبقهم من الشّعراء الذين عاشوا المعاناة ذاتها ، وعبّروا عنها في شعرهم أمر لم يأت من فراغ ، فلّعلهما أرادا من ذلك التّمثّل أن يخفّفا عنهما الشّعور بالألم والحزن الذي تعرّضا له من بعد القوّة والمنعة ، وذلك باستحضار من سبقهما من أهل الفضل وذوي السّلطان ، وتمثّلها في شعرهم ، ليتذكّروا أنّهم ليسوا وحدهم من عانى واشتكى ممّا ألّم بهم ، وإنّما سبقهم في ذلك من هم بمنزلتهم ومكانتهم .

وفيما يتّصل بتوظيف الحديث النّبوي الشّريف والأمثال في شعرهم ، فلا نكاد نجد لهما أثرا واضحا فيه ، وحتى الشّعراء الذين وظّفوهما في شعرهم كالثّالث ، فكان توظيفه لهما قليلا.

ومن الأمثلة على توظيف الأمثال في شعره، تضمينه المثل المشهور " العود أحمد " (١) في قوله (٢):

إنّ السّعيد إذا تمهّد ملكه عدتُم لنا والعودُ منكم أحمدُ

وتوظيفه المثل المشهور " كما تدين تدان "(٣) ، وذلك في قوله (٤):

أدينُ بإخلاصي إليه وأنثني أقولُ عسى كما يدانُ يدينُ

البنية الإيقاعيّة:

تتعدّد التّعريفات التي يجدها الدّارس لمصطلح الإيقاع، فمنها أنّه " تقدير ما لزمان النّقرات فإنّ اتّفق أن كانت النّقرات منغّمة كان الإيقاع لحنيّا، وإن اتّفق أن كانت النّقرات محدثة للحروف المنتظم فيها كلام كان الإيقاع شعريّا " (٥) ومنها أنّه " النّقلة على النّغم في أزمنة محدودة المقادير والنّسب، أو تقدير لزمان النّقرات، أو قسمة زمان اللحن بنقرات "(٦) ، ومنها أنّه " وحدة النّغمة التي تتكرّر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسّكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة "(٧)، ومن تعريفات الإيقاع الشّعريّ أنّه " ليس عنصرا محدّدا وإنّما هو مجموعة متكاملة أو عدد متداخل من السّمات المميّزة تتشكّل من الوزن والقافية الخارجيّة والتّقنيات الدّاخليّة بواسطة التّناسق الصّوتي بين الأحرف.

---

١ . الميداني ، أبو الفضل ، مجمع الأمثال ، ط٢ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ج٢ ، ص ٤١.
٢ . الدّيوان ، ص ٥١.
٣ . الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٢، ص ١٨٤.
٤ . الدّيوان ، ص ١٢٩. البيت مكسور في الأصل
٥ . الهادي ، محمّد الطّرابلسي ، في مفهوم الإيقاع ، حوليّات الجامعة التّونسيّة ، ع٣٢، ١٩٩١، ص١٢.
٦ . عبيد ، محمّد صابر ، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنية الدّلاليّة والإيقاعيّة ، ط١، دمشق ، منشورات اتّحاد الكتّاب ، ٢٠٠١، ص١٢١.
٧ . هلال ، محمّد غنيمي ، النّقد الأدبي الحديث، نهضة مصر ، القاهرة، ٢٠٠٥،ص ٤٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتّضح جليّا من التّعريفات السّابقة وغيرها* من تعريفات الإيقاع أنّه لا يختصّ بالشّعر وحده، وإنّما يدخل في الموسيقا والكلام المنثور أيضا، ومع اختلاف كلّ واحد من الفنون السّابقة عن الآخر إلا أنّ البنية الإيقاعيّة فيها تشترك –كما تبيّن من التّعريفات السّابقة – في توافر : النّغم واللحن والوزن ، وما يعنينا في هذا السّياق هو البنية الإيقاعيّة الشّعريّة كما تظهر في شعر الحكّام الأندلسيين، والنّظر في عناصرها التي تشكّلت منها: كالوزن والقافية أبرز عناصر الإيقاع الخارجي، والتّكرار وصوره البديعيّة: كالجناس والتّصدير أبرز عناصر الإيقاع الدّاخلي.

الوزن :

يعدّ الوزن من أهم الأركان التي ينبني عليها الشّعر ويتميّز بها فهو " من أعظم أركان حدّ الشّعر وأولاها به خصوصيّة "(١). وتشكّل أوزان البحور الشّعريّة " الهيكل الأساسي للبناء الموسيقي "(٢) ، ويرتبط الوزن الشّعريّ بالإيقاع ارتباطا وثيقا يُظهر أهميّته في، وقد أشار ابن طباطبا إلى ذلك فذكر أنّ " للشّعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه "(٣) .

نظم الشّعراء الحكّام أشعارهم على اثني عشر بحرا هي: الطّويل، والبسيط، والكامل، والخفيف ، والوافر، والسّريع، والرّمل، والمتقارب، والهزج، والرّجز، والمنسرح، والمجتث، وقد ندر في شعرهم ظهور الأبحر الآتية: المديد، والمضارع، والمقتضب.

ولم ينظم الشّعراء الحكّام على الأوزان التي ظهرت في شعرهم بدرجة واحدة، وإنّما كان أكثر نظمهم في الموضوعات الشّعريّة كلّها على:البحر الطّويل، فالبسيط، فالكامل، و جاءت بقيّة الأوزان قليلة في حضورها قياسا بهذه الأوزان، وقد اختفت بعض الأوزان كالمنسرح والمجتث والمتقارب من الظّهور في بعض الموضوعات كالرّثاء مثلا .

---

* تنظر تعريفات متعدّدة للإيقاع في المرجع السّابق ، حيث قدّم المؤلّف دراسة لمفهوم الإيقاع وتتبّع تناوله عند القدماء والمحدثين ، ص ١٧/ ٣٢.

١ . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص ١٢١.

٢ . عيد ، رجا ، التّجديد الموسيقي في الشّعر العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندريّة ، ص ٩ .

٣ .ابن طباطبا ، عيار الشّعر، ص١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا البحر الطّويل وهو من الأبحر الثّنائيّة التّفعيلة (فعولن ، مفاعيلن)، فكان من أكثر الأوزان التي نظم عليه الشّعراء الحكّام والشّعراء عامّة، وقد أشار إبراهيم أنيس أنّه "ليس بين بحور الشّعر ما يضارعه في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشّعر العربي القديم من هذا الوزن "([1]) . وقد كان البحر الطّويل الأكثر ظهورا في شعر الحكّام لا في موضوع واحد فحسب، إنّما في كلّ الموضوعات التي نظموا فيها، فبلغ –مثلا-عدد المقطوعات والقصائد التي نظمت عليه في موضوع الفخر ما يقارب٦١ نصّا، وكان نصيب وزن البحر الخفيف ٤ نصوص اثنان منها على المجزوء، وكان عدد النّصوص التي نظمت على السّريع اثنين، وعلى المتقارب اثنين، وعلى المنسرح ثلاثة، في حين لم تظهر بعض الأوزان: كالمجتث، والهزج، والمديد، والمضارع .

ويظهر حضور البحر الطّويل بارزا في موضوع الغزل، حيث بلغ عدد النّصوص التي نظمت في هذا الموضوع ما يقارب ٢٨٠ نصّا، كان نصيب الطّويل منها ٩٥ نصّا، و٤٧ نصّا منها على البحر الكامل التّام، و٥ نصوص على مجزوء الكامل، ومنها ٤٢ نصّا على البسيط التّام، و٧ نصوص على مجزوئه ، ومنها ١٤ نصّا على الخفيف التّام ، و٣ على مجزوئه ، ومنها ٥ على الوافر ، وواحد على مجزوئه ، ومنها ٨ نصوص على الرّمل التّام ، و٦ نصوص على مجزوئه ، ومنها ٥ على الرّجز التّام، واثنان على مجزوئه، ومنها ١٨ نصّا على السّريع، ومنها نصّان على المنسرح، ومنها ٤ نصوص على المجتث، ومنها ٤ نصوص على المتقارب، ومنها ٩ نصوص على الهزج التّام، وواحد على مجزوئه. وبالنّظر إلى الجدول التالي نتبيّن الحضور اللافت للبحر الطّويل وتقدّمه على بقيّة الأوزان التي نظم عليه الشّعراء الحكّام، كما نتبيّن حضور الأوزان الأخرى في شعرهم :

[1] . أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشّعر ، ص ٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	عـــــــدد المقطوعات	الطّويل	البسيط	الكامل	الخفيف	السّريع	المتقارب	الرّمل	الهزج	الرّجز	المنسرح	المجتث
الفخر	٦١	٢٩	٨	٣/٥	٢/٢	٢	٢	١/١	-	-	٣	-
الإخوانيات	١٤٠	٣٢	٣/١٩	/١٨ ١٢	٢/١١	٩	١١	٤	١	١/١	١	٥
الغزل	٢٨٠	٩٦	٧/٤٢	/٤٦ ٥	٣/١١٤	١٨	١٥	٦/٨	١/١	٢/٥	٢	٤
الرّثاء	٣٢	١٥	٥	١	٢/٢	١	-	١/١	-	١/٠	-	-
الشّكوى	٧٧	٢٤	١٤	١/٩	٩	١	٥	١/٣	١	١/١	-	-
المدح	١٢	٥	٣	١	-	١	١	-	-	-	-	-
الشّـــــعر الدّيني	١١	٦	١	١	-	٢	١	-	-	-	-	-
الوصف	٥١	١٣	١/٥	/١٢ ٤	٣	٥	١	١/٠	-	-	١	-

إنّ الأوزان التي أكثر الحكّام من النّظم عليها : كالطّويل والبسيط والكامل هي من أكثر الأوزان التي نظم عليها الشّعراء الأندلسيون والشّعراء في التّراث العربي عامّة (١)، فربّما يكون إكثارهم من النّظم عليها قد جاء تأثّرا أو تقليدا لمن سبقهم من الشّعراء، ولعلّه يكون لمناسبة تلك الأوزان لطبيعة الموضوعات الشّعريّة التي نظموا فيها، وانسجامها مع طبيعية شخصيّتهم وما تميّزوا به، حيث الاعتداد بالذّات والشّعور بتميّزها عن غيرهم؛ لما أوتوه من سلطة الحكم ، فقد كثر في شعرهم كما أشرنا في غير موضع الفخر، فكانوا يفتخرون بنفسهم لا في موضوع الفخر وحده بل في سياق الموضوعات الأخرى التي نظموا فيها، وهذه الأوزان كما ذكر القرطاجني تتلاءم مع طبيعة موضوع الفخر، ذلك لأنّ الأعاريض الرّصينة الفخمة تصلح لمقاصد الجدّ كالفخر ونحوه، كعروض الطّويل والبسيط ، ويصلح الكامل لجزالة النّظم(٢)، وتتجلّى ملاءمة هذه الأوزان لموضوع الفخر وبقيّة موضوعات الحكّام الشّعريّة التي دخل فيها من وصف القرطاجني لهذه الأوزان وحديثه عن ملاءمتها للمعاني التي تعبّر عنها إذ يقول:" فالعروض الطّويل تجد فيه أبدا بهاء وقوّة، وتجد للبسيط سباطة وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحسن اطّراد"(٣) .

١ . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن ، ج٢ ، ص ١٩٤/ ١٩٥.
٢ . مفتاح ، محمّد، في سيمياء الشّعر القديم، دار الثّقافة، الدّار، البيضاء، ١٩٨٢، ص٤٠.
٣ . نفسه ، ص ٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القـــافيـــة:

للقافية دور كبير تؤديه في الشّعر، لا يمكن إغفاله، فهي " شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر ولا يسمى شعرا حتّى يكون له وزن وقافية "(١) . وتتجلّى أهميّة القافية في الشّعر من النّاحية الموسيقيّة، فهي عبارة عن" عدّة أصوات تتكرّر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرّرها هذا يكون جزءا هامّا من الموسيقى الشّعريّة، فهي بمثابة الفواصل الموسيقيّة يتوقّع السّامع تردّدها، ويستمتع بمثل هذا التّردّد الذي يطرق الأذن في فترات زمنيّة منتظمة وبعد عدد معيّن من مقاطع ذات نظام خاص "(٢) .

والقافية كما حدّها الخليل بن أحمد " من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل السّاكن، وهي عند الأخفش آخر كلمة من البيت "(٣) . ويشكّل حرف الرّويّ أهم جزء من الأجزاء التي تتكوّن منها القافية، وهو عبارة عن " صوت تنسب له القصائد أحيانا فيقال سينيّة البحتريّ وهمزيّة شوقي إلى غير ذلك ممّا تعارف عليه الأدباء واصطلحوا عليه، وذلك لأنّه أقلّ قدر يجب التزامه في أواخر الأبيات ولا يكون الشّعر مقفى إلا به " (٤).

تنقسم القوافي بحسب طبيعة حروف الرّوي إلى قواف ذلل، ونفر، وحوش. وقد كانت القوافي الذّلل هي أكثر القوافي استعمالا عند الشّعراء، وحروفها هي: الرّاء، والميم، واللام والذّال، والنّون، والباء، والياء المتبوعة بألف الإطلاق، والعين، والفاء، والقاف، والسّين، وقد أكثر الشّعراء الحكّام من بناء أشعارهم على هذا اللون من القوافي ، حيث غلب مجيئها رويّا في شعرهم على القوافي النّفر وحروفها: الجيم، والضّاد، والطّاء" وعلى القوافي الحوش، وحروفها:الخاء، والذّال، والسّين، والعين(٥).

---

١ . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص ١٣٥.
٢ . أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشّعر ، ص ٢٤٢.
٣ . القيرواني ، ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ١٣٥.
٤ . أنيس ، إبراهيم / موسيقى الشّعر ، ص ٢٤٣.
٥ ينظر أنواع القوافي ، في المرشد إلى فهم أشعار العرب ، ج١، ص٤٤، ٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

القـوافي الذّلل	الرّاء	الدّال	الميم	الباء	النّون	العين	الفاء	القاف	السّين
	١١١	٨٣	٨٥	٦٣	٥٢	٣٢	١٧	٢٨	١٨
القـوافي النّفر	الجيم	الزّاي	الصّاد	الضّاد	الطّاء				
	١١	١	١	٧	٦				
القـوافي الحوش	الذّال	الخاء	الشّين	الظّاد	الغين				
	٢	٢	١	-	٢				

يتّضح من الجدول السّابق أن حروف القوافي الذّلل هي الأكثر استخداما في شعرهم من القوافي الحوش والنّفر، كما أنّه لم تأت كل حروف القوافي الذّلل بدرجة واحدة، وإنّما جاءت الرّاء أكثر استخداما، فاللام، فالدّال، فالميم،فالباء، وقد جاءت بقيّة الحروف الذّلل بنسبة تقلّ عن هذه الحروف . وترد كثرة مجيء تلك الحروف رويّا لأنّها " من أكثر الحروف ورودا في أواخر الكلمات العربيّة كما تدلّنا مادّة المعاجم "(١)، ولعلّ لصفات تلك الحروف من النّاحيّة الصّوتيّة دورا في شيوع استعمالها ، ذلك أنّ للرّاء –أكثرها استعمالا- " ألقا صوتيّا ينبع من كونه حرفا أسنانيّا لثويّا مجهورا، ممّا جعل كثيرا من الشّعراء يتوجّهون إليه ويتوّجون به تجاربهم وبخاصّة أنّ به صلابة تتحمّل الحركات، ويشاركه في ذلك جميع أصوات هذه الطّائفة.

تأتي عناية الشّعراء الحكّام باختيار حروف الرّويّ المأنوسة في الاستعمال، وتقليلهم من بناء أشعارهم على القوافي النّفر والحوش، تأتي حرصا منهم على استثمار الدّور الذي تؤدّيه القافية سواء من النّاحيّة الموسيقيّة، أو من النّاحيّة النّفسيّة، وذلك باختيار الأصوات المألوفة والمؤثّرة في النّفس، وقد أشار القرطاجنّي إلى الأثر النّفسيّ لأصوات حروف القافية ، فقال إنّ: " ما يجب في القافية من جهة عناية النّفس بما يقع فيها واشتهار ما تتضمّنه ممّا يحسن او يقبح فإنّه يجب ألا يوقع فيها إلا ما يكون له موقع من النّفس بحسب الغرض، وأن يتباعد بها عن المعاني المشنوءة والألفاظ الكريهة ولا سيما ما يقبح من جهة ما يتفاعل به فإن ما يكره من ذلك إذا وقع في أثناء البيت جاء بعده ما يغطي عليه ويشغل النّفس عن الالتفات إليه.

١ . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة ، ج٢ ، ص ٢١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا جاء ذلك في القافية جاء في أشهر موضع وأشدّه تلبّسا بعناية النّفس وبقيت النّفس متفرّغة لملاحظته والاشتغال به ولم يعقها عنه شاغل "[1] ، وينسجم هذا الهدف مع غاية الحكّام في بعض موضوعاتهم الشّعريّه، فهم حريصون على إيصال معانيهم إلى من هم حولهم ، فالشّعر لديهم وموضوع الفخر منه على وجه مخصوص يشكّل وسيلة إعلاميّة، يتوسّلون بها لإيصال ما يريدون إيصاله من مضامين وأفكار؛ لذا فإنّهم يلجأون إلى ما يكفل لهم ذلك من ألفاظ ومعان وأساليب تؤثّر في المتلقّي. وقد لاحظنا فيما سبق كيف أنّ ألفاظهم وصورهم ومعانيهم جاءت واضحة لا غموض فيها، وكذلك الحال جاءت أيضا قوافيهم بإيقاعها وجرسها الموسيقيّ المؤثّر واللافت للانتباه.

وتنقسم القوافي بحسب حركة آخرها إلى قسمين، أوّلهما: المطلقة، وهي التي يكون فيها الرّوي متحرّكا، وهذا القسم من القوافي هو " الكثير الشّائع في الشّعر العربي ويلتزم الشّعراء حركته هذه ويراعونها مراعاة تامّة لا يحيدون عنها مطلقا " [2]، وثانيهما: القوافي المقيّدة، وهي التي يكون فيها الرّوي ساكنا، وهذا النّوع من القوافي قليل الشّيوع في الشّعر العربي لا يكاد يتجاوز ١٠% [3] .

وقد أكثر الشّعراء الحكّام من توظيف القوافي المطلقة في شعرهم، وهم في هذا يسيرون على نهج غيرهم من الشّعراء، وهذا أمر طبيعيّ، ذلك لأنّ إطلاق الصّوت في قافية النّص الشّعري " يعين على إثراء الموسيقا ويساعد على إظهار ما يختلج في نفس الشّاعر" [4] ، كما يمكننا ردّ شيوع هذا اللون من القوافي في الشّعر إلى " تلك السّعة في أوضاع القافية المطلقة التي جعلت أغلب الشّعر مبنيّا عليها، لأنّها تستوعب جميع الحركات " [5]. وهذا النّوع من القوافي في شعر الحكّام ظاهر لا يحتاج إلى رصد النّصوص الشّعريّة التي تمثّله، كما لا يحتاج إلى إيراد أمثلة من شعرهم عليه، ففي أشعارهم التي عرضناها في غير موضع من الدّراسة غناء.

---

[1] . القرطاجنّي ، حازم ، منهاج البلغاء، ص ٢٧٥/ ٢٧٦.
[2] . أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشّعر ، ص ٢٥٦.
[3] . نفسه .
[4] . دقالي ، محمود أحمد ، الحنين في الشّعر الأندلسيّ ، ط١، دار الوفاء لدنيا النّشر، الإسكندريّة ، ٢٠٠٨، ص٥٣٢.
[5] . الهرّامة ، عبد الحميد ، القصيدة الأندلسيّة ، ج٢، ص ٢٠٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنقسم القوافي بحسب الحرف الذي يسبق حرف الرّويّ إلى قسمين: القوافي المردوفة (الرّدف)، وهو أن يأتي حرف مد أو لين ساكن قبل الرّوي مباشرة (١) . والقوافي المؤسّسة (التأسيس)، وهو أن يأتي ألف بينها وبين الرّويّ حرف متحرّك (٢). وقد تضمّنت أشعار الحكّام هذين اللونين من القوافي ، فكان لهما حضور أسهم في تعزيز الجانب الإيقاعيّ؛ فالرّدف في القصيدة " يعين على إثراء القصيدة بنوع من الموسيقا والتّرنّم الذي يأتي من خلال مدّ الصّوت بحروف اللين الألف أو الواو أو الياء" (٣)، كما يؤدّي التّأسيس دورا إيقاعيّا في الشّعر " إذ إنّ الألف المتكرّرة تشكّل نمطا إيقاعيّا صريحا يضاعف من قيمة الإيقاع ووضوحه إلى جانب الرّويّ المتكرّرعلى مسافة عروضيّة ثابتة "(٤) .

ومن الأمثلة على القوافي المردوفة في شعرهم قول الحكم بن هشام (٥):

قضْبٌ من البان ماستْ فوقَ كثبانِ ولَّيْنَ عنّي وقد أزمعنَ هِـجراني

ناشدتهنَّ بحقِّي فاعْتَزَمنَ على الـ عصيان حتّى خلا منهنّ هَيْماني

لقد تشكّل الرّدف في الأبيات من مجيء الألف السّاكنة قبل حرف الرّوي النّون.

ومن صور القوافي المردوفة التي راوح فيها الشّعراء بين حرفيّ المدّ الواو والياء قول الرّاضي (٦):

أُعيذكَ أن يكونَ بنا خمولُ ويطلعُ غيرُنا ولنـا أُفولُ

حنانك إنْ يكنْ جُرمي قبيحا فإنّ الصّفحَ عن جرمي جميلُ

ومن الأمثلة عليها في شعر المعتمد، مجيء الياء السّاكنة قبل حرف الرّوي في قوله (٧) :

فَتَكت مقلتاه بالقلبِ منّي وَبكتْ مقلتايَ شوقاً إليْهِ

فَحَكى لَحْظُه لنا سيْفَ عبّا دٍ ودمعي له سحابَ يديْهِ

---

١ . بكّار ، يوسف ، ووليد سيف ، العروض والإيقاع ، جامعة القدس المفتوحة ، عمّان ، ١٩٩٧، ص ٣٩١.
٢ . نفسه
٣ . دقالي ، محمود أحمد ، الحنين في الشّعر الأندلسيّ ، ص ٥٣٨.
٤ . سليمان ، أماني ، الأسلوبيّة والصّوفيّة ، ط١، دار مجدلاوي ، عمّان ، ٢٠٠٢، ص ٥٣.
٥ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١، ص ٥٠.
٦ . نفسه ، ج٢، ص ٧٢.
٧ . الدّيوان ، ص ٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قول سليمان بن الحكم (١):

قرأنا ما كتبْتَ به إلينـا وعذرُكَ واضحٌ فيما لديْنا

ومن يكن القريضُ له شفيعاً فترْكُ عتابه فرضٌ علَيْنا

ومن الأمثلة على التأسيس في شعرهم قول عبد الرّحمن بن معاوية (٢):

دعني وصيدِ وُقَّع الغرانـقِ فإنّ همّي في اصطيادِ المارقِ

في نَفَقٍ إن كان أو في حـالقِ إذا الـتظتْ لوافحُ الضّوائقِ

لقد تحقّق التأسيس في القافية بمجيء ألف بينها وبين حرف الرّويّ (القاف) حرف متحرّك .

ومنه في قول المعتضد بن عبّاد (٣) :

أنامُ وما قلبي عن المجدِ نـائمُ وإنّ فؤادي بالمعالي لـهائمُ

وإن قعدت بي علّةٌ عن طِلابها فإنّ اجتهادي في الطّلاب لقائمُ

وقع التأسيس في الأبيات بمجيء الهمزة بين الألف وحرف الرّويّ المتحرّك الميم.

وأمّا عناصر الإيقاع الدّاخلي في شعر الحكّام فكان من أكثر عناصرها: التّكرار، والجناس، والتّصدير.

أمّا التّكرار فيقصد به:" إعادة الكلمة نفسها في موقعين أو مواقع متقاربة " (٤). ويؤدّي التّكرار في الشّعر وظيفتين: موسيقيّة، وأخرى معنويّة، فهو ظاهرة " موسيقيّة لتردّد الكلمة في البيت أو المقطوعة على شكل اللازمة الموسيقيّة أو النّغم الأساسي الذي يتكرّر ليبعث جوّا نغميّا ممتعا، وهي معنويّة إذ إن فائدتها تكمن في أن إعادة ألفاظ بعينها في بنية القصيدة يدلّ على أهميّة ما تتضمّنه تلك الألفاظ من دلالات وهذا ما يجعل التّكرار مفتاحا في بعض الأحيان لمقاربة القصيدة "(٥) .

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١١. وينظر نماذج أخرى عليه ، ج١ ، ص : ٥٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٥٧، ٢٠٠، ج٢، ص: ٩، ١١، ١٥، ١٧، ٣٨، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٩...

٢ . نفسه ، ج١، ص٤١.

٣ . الدّيوان ، ص ١٩٦.

٤ . العمري ، محمّد ، الموازنة الصّوتيّة في الرّؤية البلاغيّة والممارسة الشّعريّة ، إفريقيا الشّرق ، المغرب ، ص٢٠٥.

٥ . محمّد بن أحمد وأخرون ،البنية الإيقاعيّة في شعر عزّ الدين المناصرة ، ص٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد بدت هذه الظّاهرة الصّوتيّة الدّلاليّة في شعر الحكّام، لا سيّما أصحاب الدّواوين منهم: كالمعتمد ويوسف الثّالث، إذ تكرّرت في شعرهما الألفاظ بصور مختلفة، فتكرّرت الأفعال، والأسماء والضّمائر وبعض الأدوات والأحرف، ولم يقتصر التّكرار على ألفاظ بعينها وإنّما تكرّرت في بعض الأحيان جمل بأكملها، وقد جاء التّكرار في مواضع متعدّدة من نصّهم الشّعريّ، فمنه ما وقع في بدايته، ومنه ما جاء في ثناياه، ومنه ما جاء في آخره، ومنه ما كان في بيت واحد، ومنه ما ظهر في أبيات متتالية فمن صور تكرار الأفعال في شعرهم قول رشيد الدّولة بن صمادح (١):

فإن يكُنِ الرّدى يكُنِ اصطبارٌ وإن تكن المُنى يكُنِ اغتفار

لقد تكرّر الفعل يكن أربع مرّات في البيت ذاته، الأمر الذي جعل له وقعا إيقاعيّا لافتا في البيت.

ومن صور التّكرار التي جاءت في آخر جزء من النصّ الشّعري، تكرار كلمة(حاجب) في نهاية ثلاثة أبيات من قول المعتضد (٢):

أُلامُ وما لومي على الحبِّ واجبُ وقد صادني طرفٌ كحيلٌ وحاجبُ
أتحْجـبُ عنّي والفؤادُ يُحبُّها ؟ لقد عزّ محجوبٌ تمنّاهُ حاجبُ
أرومُ فؤادي في الغرامِ لينثني وكيفَ ؟ وما دونَ الأبيَّةِ حاجـبُ

ومن صور تكرار الأدوات، تكرار حرف النّداء (يا) في قول المعتمد (٣):

يا صفْوتي من البشرْ يا كوكباً بلْ يا قَمَرْ
يا غصـناً إذا مشى يا رشأ إذا نـظرْ
يا نفسَ الرّوضةِ قدْ هبّتْ لها ريحُ سحَرْ
يا ربّة اللـحظ الذي شـدَّ وثَاقا إذْ فَتَرْ

لقد جاء تكرار حرف النّداء (يا) واضحا في الأبيات، فتكرّر غير مرّة في كلّ بيت منها.

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ،ص ١٩١.
٢ . الدّيوان ، ص ١٦١.
٣ . الدّيوان ، ٢٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور تكرار الجملة في شعرهم، ما جاء في قول يوسف الثّالث [1]:

كأنّي لم أكن فيهم جميعا وتفردني التّحيّة والسّلام
كأنّي لم أكن فيهم وسيطا ولم يك مَحْتدي الملكُ الهمام
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا إذا حلت بعقوتها الطّغام
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا لسدّ الثّغر ثلته اللئام
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا كنصل السّيفِ حدّاد حسام
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومٍ يرْتجى فيه الجهام

ويكرّر الثّالث الجملة الاسميّة المصدّرة بالضّمير أنا فيقول [2]:

أنا يوسفٌ واليوسفيُّ صفاتهُ إذا عزَّ نيلٌ فالمواهبُ نيلُ
أنا يوسفٌ والصّدقُ يشهدُ أنّني على الخلقِ ظلّ في الهجيرِ ظليلُ

وقوله [3] :

يوسفيُّ أنا وحسْبُ وفائي أنّني لا أرى بخيلاً بديلا
يوسفيّ أنا وحسبكَ عطفا علم الدّوحِ معطفا أن يميلا

ومن التّكرار في شعر إسماعيل بن الأحمر قوله [4]:

هيامي والغرامُ بكم وشوقي عذابٌ في عذابٍ في عذاب
وقربي والتّعطّف والتّداني صوابٌ في صوابٍ في صواب
وطردي والقطيعةِ والتّنائي عقابٌ في عقابٍ في عقاب

---

[1] . الدّيوان ، ص١٩٠.
[2] . الدّيوان ، ص ١٠٥.
[3] . نفسه ، ص ١٥٩، وينظر نماذج أخرى من التّكرار في شعره ص : ١٦، ٢٥، ٢٨، ٣٦، ٤٠، ٤٨، ٥٩، ٦٣، ١٢٠، ١٥٤، ١٧٦، ١٩٥.
[4] . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو التّكرار في الأبيات متكلّفا عمد إليه الشّاعر، دون حاجة له، وهذا النّوع من التكّرار عابه ابن رشيق وعدّه من الخذلان (١).

ومن وجوه التّكرار في شعرهم ما جاء في صورة بعض الفنون البديعيّة: كالجناس والتّصدير. أمّا الجناس فهو " الإتيان بمتماثلين في الحروف أو في بعضها، أو في الصّورة ،أو بمتخالفين في التّرتيب أو في الحركات "(٢)، وينقسم الجناس إلى نوعين: تام، وهو ما اتّفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. وغير تام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدّمة (٣) .

ولهذا اللون البديعيّ قيمة إيقاعيّة واضحة ترفد النّص الشّعريّ، فحضوره في الشّعر " يزيد من موسيقاه، وذلك لأنّ الأصوات التي تتكرّر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرّر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقيّة متعدّدة النّغم مختلفة الألوان، يستمتع بها من له دراية بهذا الفن، ويرى فيه المهارة والقدرة "(٤) .

لقد وظّف الشّعراء الحكّام الجناس توظيفا لافتا في شعرهم ، وكان الحضور الأظهر منه للجناس النّاقص، إذ ظهر في شعرهم بصوره المتعدّدة، ومنها ما اتّفقت فيه الكلمتان المتجانستان في نوع الحروف وعددها وترتيبها، واختلفتا في الحركات، ومن الأمثلة على ذلك في شعرهم قول المعتضد (٥):

حسّنْتَ في خَلْقٍ و خُلْقٍ فلمَ رضيتَ بالقبحِ من لأفعالكَ

لقد جانس الشّاعر بين (خَلْق) التي بمعنى الصّورة و(خُلق) الدّالّة على الأخلاق، فاتّفقت الكلمتان في كلّ شيء عدا الحركات.

ومن الأمثلة عليه في شعر المعتمد (٦):

قالتْ: لقدْ هُنّا هُنا مولايَ أينَ جاهُنا ؟

---

١ . ابن رشيق ، العمدة ، ج٢، ص ٩٢.
٢ . الصّفدي ، صلاح الدّين ، جنان الجناس ، ط١، مطبعة الجوائب ، ١٨٨١، ص١٩.
٣ . علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ، ص ٢٢٠.
٤ . أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشّعر ، ٣٩.
٥ . الدّيوان ، ص ١٧٩.
٦ . الدّيوان ، ص١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقع الجناس النّاقص بين كلمتي: هُنّا التي بمعنى ضعفنا، وهُنا المكانيّة، فاتّفقتا في كلّ شيء عدا الحركات.

ومن صور الجناس النّاقص التي ظهرت في شعرهم اختلاف الكلمتين المتجانستين في نوع الحروف، ومن ذلك قول المستظهر بن عبد الرّحمن (١):

وإنّي لأستشفي لما بي بداركم هدوءا وأستسقي لساكنها القطرا

جانس الشّاعر بين (أستشفي) و(أستسقي) جناسا ناقصا، تشابهت فيه الكلمتان في بعض الحروف واختلفت في بعضها الآخر.

ومنه قول ابن رزين مجانسا بين كلمتي (جائعا) و(نائعا) (٢):

لا عاشَ إلا جائعا نائعا من عاش في أمواله وحدَه

ومن صور الجناس النّاقص في شعرهم ما اتّفقت فيه الكلمتان في الحروف واختلفتا في ترتيبها ومن ذلك قول المعتمد بن عبّاد ، يجانس فيه بين (جلّ) و(لجّ) (٣):

القلبُ قدْ لجَّ فما يُقْصَرُ والوجدُ قدْ جلَّ فما يُسْتَرُ

وأمّا الجناس التّام فمن الأمثلة عليه قول المتوكّل (٤):

فما بالهم لا أنعَمَ اللهُ بالهم ينوطون بي ذمّا وقد علموا فضلي

وقع الجناس التّام بين كلمتي (بالهم) التي جاءت للسّؤال عن الحال أو الشّأن، وبين (بالهم) الثّانية والتي تعني الخاطر.

ومنه قول يوسف الثّالث (٥):

فيا لكَ من فقْدٍ أقام وجودنا ووجْدٍ هدانا بعْد فقْدِ المطالبِ

---

١ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص١٤.
٢ . نفسه ، ص ١١١.
٣ . الدّيوان ، ص ٣٧.
٤ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٠٤.
٥ . الدّيوان ، ص ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جانس الشّاعر بين كلمتي: "(فَقْد) التي جاءت بمعنى الفقيد، و(فقد) في الشّطر الثّاني التي جاءت بمعنى الفقدان * "، كما جانس جناسا ناقصا بين كلمتي : (وجودنا) و(وجد) .

ومن صور الجناس التّام التي ظهرت في شعر بعضهم الجناس المركّب، وهو ما يكون أحد ركنيه مركّبا من أكثر من كلمة (١)، ومن الأمثلة على هذا اللون قول المعتمد بن عبّاد (٢):

قلتُ لها : إلى هنا صيّرنا إلهُنا

وقع الجناس المركّب بين الجار والمجرور (إلى هنا) الدّالّ على المكان، وبين تركيب الإضافة المكوّن من (إله) والضّمير (نا) .

ويظهر هذا اللون من الجناس عند إسماعيل بن الأحمر، ولكن دون أن تأتي الكلمتان المتجانستان في بيت واحد، وإنّما جاءتا في بيتين متتاليين، ومن ذلك قوله (٣):

لي في التّغزّل في هواكِ قصائدُ ..... الشّعراء في تهذيبها
تركتْ بأكباد النّحاةِ وساوسا من حسن رقّتها غدتْ تهذي بها

جاء الجناس بين المصدر المضاف إلى الضّمير في آخر البيت الأوّل، وبين الفعل تهذي المتبوع بشبه الجملة في آخر الشّطر الثّاني من البيت الثّاني.

ومن ذلك قوله أيضا (٤):

سقاني خمرة الأشواق لـمّا بفعل الصّدِّ دان وبالنّوى لي
وأبدى البخل في قرب على من بـبذلِ الودِّ جاد وبالنّـــوال

وقع الجناس المركّب في الأبيات بين المصدر النّوى وشبه الجملة لي في آخر البيت الأوّل، وبين المصدر النّوال في آخر البيت الثّاني.

---

* أشار إلى هذا المعنى عامر عبد الله عامر في رسالته : الفخر عند الشّاعر يوسف الثّالث ، ص ٧٨.
١ . عزّ الدّين ، السّيّد ، التّكرير بين المثير والتأثير ، القاهرة ، دار الطّباعة المحمّديّة ، ١٩٧٨، ص٢١٨ .
٢ . الدّيوان ، ص ١٩١.
٣ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٩٤.
٤ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص ٣٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الألوان البدّيعيّة الأخرى التي بنيت على التّكرار، ردّ الأعجاز على الصّدور، وهو أن تكون إحدى الكلمتين " المتجانستين أو الملحقتين بالتّجانس في آخر البيت والأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت وهي: صدر المصراع الأوّل وحشوه وآخره، وصدر المصراع الثّاني وحشوه " (١) . ويعدّ ابن الأثير هذا اللون البديعيّ ضربا من الجناس من ضروب الجناس.

ويشير ابن رشيق إلى الأثر الجمالي الذي يضيفه هذا اللون البديعيّ على البيت الذي يرد فيه، فيقول:" ويكسب البيت الذي يكون فيه أبّهة ويكسوه رونقا وديباجة ، ويزيده مائيّة وطلاوة " وعلاوة على ما قاله ابن رشيق فإنّ للتّصدير أيضا قيمة إيقاعيّة، فتكرار " الكلمة كوحدة موسيقيّة على نظام معيّن داخل البيت يعطيه إيقاعا ويربط بين أجزائه برباط موسيقيّ " (٢).

ومن الأمثلة على التّصدير في شعرهم قول المعتضد (٣):

لقد بسطَ اللهُ المكارمَ من كفّي فلستُ على العلاتِ منها أخا كفِّ

لقد وافقت آخر كلمة في البيت السّابق (كفّ) آخر كلمة من الشّطر الأوّل (كفّي)، فترتّب على ذلك التّماثل اللفظي تماثل عروضي، إذ جاءت تفعيلة العروض هي ذاتها تفعيلة الضّرب (مفاعيلن).

ومن الأمثلة عليه في قول رفيع الدّولة بن المعتصم(٤):

سلِ الرّكبَ عن نجد فإن تحيّةً لساكنِ نجدٍ قد تحمّلها الرّكبُ

لقد كرّر الشّاعر كلمة الرّكب، فذكرها في آخر الشّطر الثّاني، وفي بداية الشّطر الأوّل .

ومن الأمثلة عليه في شعر المعتصم قوله (٥):

إنّ السّماح ببعدكم والله ليس من السّماح

لقد تكرّرت كلمة السّماح في آخر الشّطر الثّاني، وبداية الشّطر الأوّل.

---

١ . السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص١٨١.
٢ . دعدور ، أشرف ، الصّورة الفنيّة في شعر ابن درّاج ، مكتبة دار نهضة مصر ، جامعة القاهرة ، ص ٢٥٦.
٣ . الدّيوان ، ص ١٩٢.
٤ . ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ٩٤.
٥ . نفسه ، ص ٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة التي وافقت فيها آخر كلمة في العجز أوّل كلمة في الصّدر قول المعتمد بن عبّاد

لجرّدتَ للضّربِ المهنّدِ فانقضى مرادي وَعَزماً مثل حدِّ المهنّدِ

لقد كرّر الشّاعر كلمة المهنّد في آخر البيت، وفي حشو الشّطر الأوّل.

ومن صوره في شعرهم ما ردّت فيه آخر كلمة في العجز على آخر كلمة في الصّدر، في مجموعة من الأبيات المتتالية، وذلك في قول يوسف الثّالث (١):

أبعدونا تغلّبا أبعدونا طردونا عن ملكهم طـردونا

تركونا لمّا ركنّا إليهم ضحوة الرّكنِ جـهرةً تركـونا

سلبونا بعض الذي منحونا من عطايا جزيلة سلبـونـا

خلّفونا بعد اليمين جهاراً ويحـهم ما لهم لما خلّفونـا

ومن صور التّصدير ما كان من الجناس المركّب، ومن ذلك قول ابن الأحمر (٢):

من دمه في دينه صـــانه بالبرِّ ما إن يخشَ من مندمه

والمحرم المقطوع إيصاله من جاءه جلّت به المحرمه

ردّ الشّاعر آخركلمة من العجز المكوّن من شبه الجملة (من مندمة) على أوّل الشّطر المكوّن من شبه الجملة (من مندمة) .

ومن أمثلة التّصدير السّابقة نتبيّن أن منها ما جاء في صورة الجناس ومنها ما جاء في صورة التّكرار، ولهذه الألوان دورها في تأكيد المعنى ولفت الانتباه إليه، وذلك بما يحقّقه من إيقاع موسيقيّ مبعثه تكرار أو تماثل الأصوات في الكلمات.

١ . الدّيوان ، ص ١٢٨. وقع التّصدير في البيت الأوّل في ردّ آخر كلمة في العجز على آخر كلمة في الصّدر.
٢ . ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص٣٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

وقفت هذه الدّراسة عند شعر الملوك والأمراء الأندلسيين، فعرّفت بالحكّام الذين نظموا الشّعر، ودرست أثر موقعهم السّياسي في موضوعاتهم وأساليبهم الشّعريّة، وخلصت إلى جملة من النّتائج،وملخّصها :

أبان الفصل الأوّل الذي عرّف بالحكّام الشّعراء أنّ عددا غير قليل من حكّام الأندلس نظموا الشّعر، وتبيّن أنّ بعض الأسر الحاكمة كان معظم أفرادها قد نظم الشّعر، حتّى بدا(نظم الشّعر) وكأنّه سمة وراثيّة فيها تناقلها الأبناء عن أسلافهم. وتضمّن هذا الفصل تعريفا بهؤلاء الشّعراء، فتحدّث عن نشأتهم ، وثقافتهم، ومكانتهم السّياسيّة، وأبرز الأحداث التي مرّت بهم ، وقد جاء هذا التّعريف لتبيّن جوانب حياتهم بأبعادها المختلفة لا سيّما ما يتّصل منها بموقعهم السّياسي وكيف انعكس ذلك في نتاجهم الشّعري .

وكشف الفصل الثّاني أنّ الموضوعات والمضامين الشّعريّة التي نظم فيها الشّعراء الحكّام قدّمت صورة لأثر موقعهم السّياسي في حياتهم، فبيّنت كيف كانوا وسلطانهم قوي، وزمام الأمر بأيديهم، وكيف صاروا بعد أن ضعف ملكهم وزواله.

أمّا حالهم وقت استقرار ملكهم وسيطرتهم عليه فقد أظهرت أشعارهم أنّهم كانوا مقبلين على الدّنيا مستمتعين بما فيها من ملذّات ومتع، ولهم مكانتهم السّياسيّة والاجتماعيّة، وأيديهم العليا تجود على من حولهم بالعطاء . ولقد كشفت أشعارهم التي نظموها في موضوع الفخر عن هذا الجانب بوضوح، وبيّنت طبيعة العلاقة التي كانت تربطهم بمن حولهم ، فظهر أنّها كانت قائمة على أساس المنفعة المتبادلة ، فالحكّام يقدّمون للرّعية الحماية والأمن، والدّعم الماديّ، والرّعية مقابل ذلك الفضل للحكّام عليها تظلّ آمالها معلّقة بهم ، ولا يمكنها إلا أن تدين لهم بالولاء والطّاعة، ولا تقصد أحدا سواهم. ولعلّ هذا ما يفسّر لنا تركيزهم على الافتخار بالقوّة والشّجاعة والكرم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يقتصر الحكّام الشّعراء على الفخر بأنفسهم في موضوع الفخر وحده، وإنّما كانوا يفتخرون بقوّتهم وشجاعتهم وعطائهم وبغيرها من المفاخر في موضوعاتهم الشّعريّة الأخرى: كالغزل، والرّثاء، والشّكوى .. ولم يأت هذا الأمر دون غاية أو قصد، وإنّما دفعهم إلى ذلك مجموعة من العوامل التي أثّرت في نفسيّتهم بحكم بعض الظّروف والتّجارب التي تعرّضوا لها .

وكشفت أشعار الحكّام عن بعض الجوانب الخفيّة من حياتهم كعلاقتهم الخاصّة بالمرأة، وكيف كانوا يتعاملون معها، فتبيّن أنّهم حاولوا أن يظهروا الضّعف والاستسلام أمامها، فتنازلوا عن ملكهم وسلطانهم ؛ بغية نيل رضاها ووصالها، وقد كان ذلك كما تبيّن ليتمكّنوا من الاستمتاع في علاقتهم معها، إذ ربّما حال سلطان الحكم وهيبته دون وصولهم إلى ذلك ؛ لخوف المرأة من سلطانهم، الأمر الذي يجعلها تتعامل معهم بتهيّب. ولكي تكون المرأة على طبيعتها وسجيّتها في تعاملها معهم حاولوا أن يشعروها بالطّمأنينة، وذلك بإظهار ضعفهم وتنازلهم عن الملك والسّيادة لها.

وظهرت جوانب أخرى من حياة الحكّام في موضوعاتهم الشّعريّة الأخرى: كالإخوانيّات، والمدح، والوصف، إذ تبيّنت طبيعة علاقتهم بآبائهم وأبنائهم وأصدقائهم والرّعيّة من حولهم ، فظهروا مع أصدقائهم خارج نطاق الحكم متجرّدين من السّلطة، يتبادلون معهم الأنس والسّمر، ويتعاملون معهم تعاملا لا فوارق طبقيّة فيه، فيعتبون عليهم، ويتلقّون منهم العتاب، ويتقدّمون إليهم بالاعتذار، حتّى بدوا في هذا الجانب(الصّداقة)متساوين معهم في المكانة دون حضور للملك والسّلطة بينهم . وفي الوقت الذي لم يظهر فيه أثر للسّلطة في علاقة الحكّام مع المرأة والأصدقاء فإنها تجلّت واضحة في علاقتهم بأبنائهم، فقد تبيّن من بعض قصائد المدح والاعتذار والعتاب التي تبادلوها مع أبنائهم أنّها كانت نابعة من السّلطة ومرتبطة بها بصورة أو بأخرى ، فكانوا في عتابهم -مثلا- يعاتبون أبناءهم ويلومونهم على تقصيرهم أو تخلّفهم عن أداء الواجبات التي أوكلوها إليهم فيما يتّصل بالحكم وتدبير شؤونه، وقد تجلّت قسوة الآباء على أبنائهم في هذا الجانب، و ربّما يكون ذلك حرصا منهم على تأهيلهم وتدريبهم لتدبير شؤون الملك والسّيادة ، فهم أرباب الأمر بعدهم .

وصوّرت أشعار الحكّام حالهم وهم خارج نطاق الحكم والسّلطة، فبيّنت الحال التي صاروا عليها بعد زوال ملكهم وإبعادهم عن حياضه ضعفاء مهزومين، إذ آل بهم الأمر إلى النّفي أو الأسر، فقد عرض موضوع الشّكوى صورة جديدة لهم، عبّرت عن الألم والمعاناة التي ألمّت بهم لزوال سلطانهم، الذي ما انفكّ يفارقهم وهم على تلك الحال من الضّعف والهوان، فكانوا يرتدّون إليه متحسّرين عليه حينا، ومستمدّين منه القوّة والجلد حينا آخر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تأت كلّ الموضوعات الشّعريّة عند الحكّام بدرجة واحدة، وإنّما كثر بعضها: كالفخر والغزل، وقلّ بعضها الآخر كالمدح والشّعر الدّيني، واختفى موضوع الهجاء منها. ولعلّ لموقعهم السّياسي والاجتماعي دورا في غياب هذا الموضوع؛ ذلك لأنّ الهجاء -كما هو معروف- يظهر فيه تتبّع للعورات والمعايب، وفيه من الفحش والإقذاع في القول ما جعل ابن بسّام يعدّه ميدانا للسّفهاء، مما جعل الحكّام يترفّعون بأنفسهم ومكانتهم عن الدّخول في مثل هذا الباب، فهم بما أوتوا من مكانة وسلطان قادرون إن أساء إليهم أحد أو تعرّض لهم على أن يقتصّوا منه لا بالقول وإنّما بوسائل أخرى تليق بمكانتهم وتحافظ عليها .

وتناول الفصل الثّالث دراسة الخصائص الأسلوبيّة التي اتّسمت بها أشعار الحكّام، فوقف عند بنية نصّهم الشّعري، فتبيّن أنّ أشعارهم توزّعت في هيكلها العام بين مقطوعات وقصائد، أمّا المقطوعات فكانت هي الغالبة ، وذلك بحكم المواقف التي استلزمت منهم النّظم ،فاتّضح أنّ الكثير من أشعارهم جاءت استجابة لمواقف معيّنة تعرّضوا لها ، فاستلزمت منهم النّظم فيها، وبذلك جاءت تلك المقطوعات إمّا ردّا على قصيدة في موضوع أو حاجة معيّنة وجّهت إليهم، وإمّا لتعرّضهم لموقف أو حادثة أثّرت فيهم وجعلتهم يعبّرون عن ردّة فعلهم وتأثرهم بذلك، ولعلّ هذا ما يفسّر لنا اتّسام مقطوعاتهم بالوحدة الموضوعيّة من جهة، وقلّة عدد أبياتها من جهة ثانية .

وأمّا القصائد فظهرت في شعرهم على ثلاث صور: قصيرة ومتوسّطة ومطوّلة، وقد كانت القصائد المتوسّطة والمطوّلة من نظم شاعرين منهم، هما: إسماعيل بن الأحمر، ويوسف الثّالث، وكانت أكثر قصائد الشّعراء المكثرين من القصار.ولم يلتزم الحكّام الشّعراء منهجا محدّدا في بناء موضوعات قصائدهم، فجاء بعضها في موضوع واحد لم يتجاوزوه إلى غيره، وتشعّب بعضها إلى موضوعات عدّة، وجاءت القصائد المطوّلة ملتزمة بالأجزاء المعروفة للقصيدة: المقدّمة والموضوع والخاتمة.

وعرض هذا الفصل لدراسة الألفاظ والصّور الفنيّة في شعر الحكّام، فاتّضح أنّها جاءت في مجملها واضحة سهلة لا غموض فيها، بعيدة عن الإغراق في الغرابة والخيال، مستقاة ممّا درج عليه الشّعراء في الأندلس بعامّة، وأظهرُ ما تميّز به معجمهم اللغويّ أنّ ألفاظهم كانت مستمّدة من ميدان الحرب والقتال، ولا غرابة في ذلك فاتّصالهم بهذا الجانب وثيق بحكم موقعهم السّياسي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن دراسة تأثّر الشّعراء الحكّام بنتاج غيرهم من الشّعراء تبيّن أنّهم تأثّروا في تعبيرهم عن بعض المضامين لا سيّما في موضوع الشّكوى بتعبير عدد من الشّعراء الذين عاشوا تجربة قريبة إلى حد كبير من تجربتهم، وكانوا أيضا قريبين في موقعهم ومكانتهم السّياسيّة من موقع ومكانة الحكّام الشّعراء الأندلسيين، فالتقوا معهم في المضمون حينا وفي الأسلوب حينا آخر، وقد ظهر ذلك التّأثّر واضحا عند المعتمد بن عبّاد ويوسف الثّالث .

ومن الجوانب الأخرى التي درسها الفصل الثّالث البنية الإيقاعيّة، فقدّم وصفا للبحور والقوافي التي نظموا أشعارهم عليها، كما درس بعض الجوانب التي أسهمت في تعزيز الجانب الإيقاعي في أشعارهم، كالتّكرار وصوره البديعيّة .

وخلاصة القول فيما يتّصل بشعر الحكّام الأندلسيين أنّها أعطت صورة واضحة عن أثر موقعهم السّياسي والاجتماعي في حياتهم من جوانبها: السّياسيّة، والاجتماعيّة، والنّفسيّة، وفي طبيعة تعاملهم مع أنفسهم، ومع من حولهم من الأقارب والأصدقاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:**

- ابن الأبّار (**أبو عبد الله محمد بن عبد الله**): الحلّة السّيراء ، ط٢، تحقيق (حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة ،١٩٨٥. **التّكملة**، تحقيق عبد السّلام الهرّاس، دار الفكر

- ابن الأثير، **المثل السّائر** ، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد

-ابن الأحمر،إسماعيل، **نثير فرائد الجمان**، تحقيق محمّد رضوان الدّاية ، دار الثّقافة، ١٩٦٧.

..... نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان ،ط١ ، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٧٦.

- ابن أحمد، محمّد ، **البنية الإيقاعيّة في شعر عزّ الدّين المناصرة** ، ط١، اتّحاد الكتّاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٨.

- أنيس ، إبراهيم ، **موسيقى الشّعر** ، (د. م)

- باجقني، عبد الغني، **فخر أبي فراس والمتنبّي** ، ط١، مطبعة ابن زيدون، ١٩٣٢.

- بالنثيا، آنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانيّة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، ٢٠٠٦.-

- ابن بشكوال،أبو القاسم خلف بن عبد الملك، **الصّلة في تاريخ علماء الأندلس**، شرح صلاح الدّين الهوّاري،ط١، المكتبة العصريّة، بيروت.

- بكّار، يوسف، **اتّجاهات الغزل في القرن الثّاني**، ط١، دار الأندلس، ١٩٨١.

- بهجت ، منجد مصطفى ، **الأدب الأندلسيّ من الفتح حتّى سقوط غرناطة** ، مديريّة دار الكتب للطّباعة والنّشر ، الموصل ، ١٩٨٨.

- بيرس، هنري،**الشّعر الأندلسي عصر ملوك الطّوائف**، ترجمة الطّاهر أحمد مكّي، دار المعارف، ١٩٨٨.

- بيضون، إبراهيم، **الأمراء الأمويون الشّعراء في الأندلس**، دار النّهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦.

- أبو تمّام ، حبيب بن أوس الطّائي، **الدّيوان**، شرح الخطيب التّبريزي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- الثّالث، يوسف، **الدّيوان**، تحقيق عبد الله كنّون، ط٢، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي .
- الجارم، علي، وأحمد أمين، **البلاغة الواضحة**، مؤسّسة الكتب العربيّة، بيروت، ٢٠٠٨.
- الجبّار ، مدحت ، **الصّورة الشّعريّة عند أبي القاسم** ، الدّار العربيّة للكتاب ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، ١٩٨٤.
- جبور، جبرائيل، **الملوك الشعراء**، ط ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
- جرّار، صلاح ، **قراءات في الشّعر الأندلسيّ** ، دار المسيرة ، عمّان ، ط١، ٢٠٠٦.
- ابن حزم، علي بن سعيد الأندلسيّ، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تحقيق إحسان عبّاس، ط١، منشورات وزارة الثّقافة، عمّان ، ٢٠٠٨.
- الحمداني، أبو فراس، **الدّيوان** ، إعداد محمّد بن شريفة، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري ، ٢٠٠٠.
- الحميدي ، أبو عبد الله محمّد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي ، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدّار المصريّة ، ١٩٦٦.
- ابن خاقان، أبو نصر بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، **قلائد العقيان**، ط، تحقيق يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٩.
- خالص ، صلاح ، **إشبيلية في القرن الخامس الهجريّ**، دار الثّقافة العربيّة ، بيروت ، ١٩٦٥.
-ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣.
.أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط١، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ٢٠٠٤.
.اللمحة البدرية في أخبار الدّولة النّصرية، المطبعة السّلفيّة، القاهرة ،
- خفاجي ، محمّد عبد المنعم ، **الأدب الأندلسيّ التّطوّر والتّجديد**، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢.
- الدّجاني، بسمة، **القصيدة العربيّة الأندلسيّة الغزليّة**، ط١، دار المستقبل العربيّ ، ١٩٩٤.
- ابن دحية : (ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن ت ٦٣٣هـ) ، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، دار العلم للجميع ، بيروت ، ١٩٥٥.
- دعدور، أشرف علي، **الصّورة الفنيّة في شعر ابن درّاج القسطلي**، مكتبة نهضة الشّرق، جامعة القاهرة .
-الدّقّاق، عمر، **ملامح الشّعر الأندلسيّ**، دار الشّرق العربي ، ١٩٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الدّقّالي، محمّد أحمد، **الحنين في الشّعر الأندلسيّ**، دار الوفاء لدنيا النّشر و الطّباعة، الإسكندريّة، ٢٠٠٨.
- الدّهّان، سامي، **الغزل منذ نشأته حتى نهاية الدّولة العبّاسيّة**،دار المعارف.
- الدّينوري، ابن قتيبة، **الشّعر والشّعراء**، تحقيق محمّد شاكر، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة ، ١٩٥٥.
- الرّشيد، هارون الرّشيد، **الدّيوان**، تحقيق سعيد ضنّاوي، دار صادر، بيروت، ط، ١٩٩٨.
- الرّضي ، الشّريف ، **طيف الخيال** ، تحقيق محمود حسن أبو ناجي ،دار التّربية للطّباعة والنّشر.
- الزّبيدي، صلاح مهدي، **بنية القصيدة العربيّة البحتري أنموذجا**، دار الجوهرة، عمّان، ٢٠٠٤.
- ابن زيدون ، **الدّيوان** ، تحقيق علي عبد العظيم ، منشورات جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت ، ٢٠٠٤.
- سعد فوزي، عيسى، **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**،ط١، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط١، ١٩٧٩.
- السّعيد ، محمّد مجيد، **الشّعر في ظل بني عبّاد**، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ط١، ١٩٧٢.
الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين بالأندلس، ط٢، الدّار العربيّة للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٥.
- ابن سعيد، المغربي، **المُغرب في حلى المَغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، **١٩٦٤**.
- السّعدي، ابن نباتة، **الدّيوان**،تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطّائي، منشورات وزارة الإعلام،العراق ، ١٩٧٧
- السّكّاكي ، يعقوب بن أبي بكر ، **مفتاح العلوم** ، ط٢ مطبعة التّقدّم العلميّة، مصر .
- سليم ، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١، ١٩٦٥.
- سليمان، أماني، **الأسلوبيّة والصّوفيّة**، ط١، دار مجدلاوي، عمّان،٢٠٠٢.
- السيّد، عزّ الدّين، **التّكرير بين المثير والتأثير**، دار الطّباعة المحمّديّة، القاهرة، ١٩٧٨.
- الشّريف، العربي سالم، **دراسات في الأدب الأندلسيّ**، ط،١،دار شموع الثّقافة، الجماهيريّة العربيّة الليبيّة ، ٢٠٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- شلبي، سعد إسماعيل، **البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشّعر عصر ملوك الطّوائف**، دار نهضة مصر، القاهرة .

دراسات أدبيّة في الشّعر الأندلسيّ، دار نهضة مصرللطّباعة والنّشر، الفجّالة، القاهرة .

-الشّنّاوي، علي الغريب محمّد، **القصيدة الأندلسيّة في كتاب أعلام مالقة**، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣.

الإخوانيّات في الشّعر الأندلسيّ، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦.

- الشّنتريني، ابن بسّام أبو الحسن علي، تحقيق إحسان عباس، **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**،دار الثّقافة ، بيروت ، ١٩٧٩.

- أبو صالح، وائل، **الجواري في الأندلس**، دار القلم، رام الله، ط١، ١٩٨٥.

- الصّفدي، صلاح الدّين، **جنان الجناس**، مطبعة الجوائب، قسطنطينة،ط١، ١٨٨١.

- طرفة ابن العبد ، **الدّيوان** ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب ، بيروت ، ١٩٨٠.

- **عاصي**، ميشال، **الشعر والبيئة في الأندلس**، ط١،منشورات المكتب التجاري للطّباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٧٠.

- العاكوب، عيسى علي، **العاطفة والإبداع الشّعري**، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤.

- عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، ط١، دار الشروق، الإصدار الثاني، ٢٠٠١.

تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، ط١، دار الشروق، الإصدار الثاني، ٢٠٠١.

- ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، شرحه وضبطه أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة .

- العبد، طرفة، **الدّيوان**، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.

- عبيد ، محمّد صابر ، **القصيدة العربيّة الحديثة بين البنية الدّلاليّة والإيقاعيّة،ط١**، منشورات اتّحاد الكتّاب ، دمشق، ٢٠٠١ .

- ابن عذاري، المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، ج. س كولان و ليفي بروفنسال، ١٩٥١ .

- العرجي، **الدّيوان** ، تحقيق خضر الطّائي، رشيد العبيد، الشّركة الإسلاميّة للطّباعة والنّشر المحدودة، بغداد، ١٩٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عسران، محمود، **الإيقاع في الشّعر شوقي نموذجا**، ط١، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندريّة ، ٢٠٠٧.
- العسقلاني، ابن حجر، **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، تحقيق عبد الوارث محمّد علي ، دار الكتب العلميّة، بيروت .
- العمري، محمّد، **الموازنة الصّوتيّة في الرّؤية البلاغيّة والممارسة الشّعريّة**، أفريقيا الشّرق، المغرب .
- عيد، رجا، **التّجديد الموسيقي في الشّعر العربي**، منشأة المعارف، الإسكندريّة.
- عيّاد، شكري، **المدخل إلى علم الأسلوب**، ط٤، أصدقاء الكتاب، القاهرة ، ١٩٩٨.
- عيسى، فوزي، **الهجاء في الأدب الأندلسي**، ط١، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، الإسكندرية،٢٠٠٧.
- فاخوري، حنا، **تاريخ الأدب العربي**، المطبعة البوليسيّة.
- الفحل، علقمة، **الدّيوان**، تحقيق لطفي الصّقال و دريّة الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٦٩.
- القرطاجنّي ، حازم ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة ، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦.
- قناوي، عبد العظيم علي، **الوصف في الشّعر العربي القديم**، ط١، شركة ومكتبة مصطفى الباني الحلبي، مصر.
- ابن القوطيّة، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ط٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٨٩.
- القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشّعر ونقده**، ط، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١.
- كرستيفا، جوليا، **علم النّص**، ط١، ترجمة فؤاد زاهي، دار طوبقال، المغرب، ١٩٩١.
- لبيب، الطّاهر، **سوسيولوجيا الغزل العربي العذري نموذجا**، ط١، دار سينا للنّشر، القاهرة، ١٩٩٤.
- لحميداني ، حميد ، **الرّواية المغربيّة**، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء .
- المتنبّي، **الدّيوان**، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، دار الفكر، الطّبعة الأخيرة.
- المجدوب ، عبد الله ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب** ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ط١، ١٩٥٥.
- محمود نجا، أشرف، **قصيدة المديح في الأندلس**،ط١، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، ٢٠٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- المرزوقي، **ديوان الحماسة**، ط١، شرح أحمد أمين، عبد السّلام هارون، القاهرة ، ١٩٥٢.
- بن محمّد ، علي ، **النّثر الفنّي في القرن الخامس ،ط١**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٩.
- المرّاكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
- مرعشلي، نديم ، **المعتمد بن عبّاد** ، دار الكاتب العربي .
- المعتمد، محمّد بن عبّاد ، **الدّيوان**، تحقيق رضا الحبيب السّويسي، المطبعة الدّار التونسيّة للنّشر،١٩٧٥.
- مفتاح، محمّد، **في سيمياء الشّعر القديم**، الدّار البيضاء،١٩٨٢.
- المقّري شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن محمد التّلمساني،**(١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، ط١، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض (١٩٣٩م) تحقيق مصطفى السّقّا وآخرين، بيت المغرب، القاهرة.
- ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم،**لسان العرب**،ط١،دار صادر، ١٩٩١.
- المكناسي، أحمد بن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطّباعة ، الرّباط .
- الميداني، أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم، **مجمع الأمثال**، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٤.
- الهرّامّة، عبد الحميد، **القصيدة الأندلسيّة في القرن الثّامن**، ٢ج ، ط١، دار الكاتب العربي، طرابلس، ١٩٩٩.
- هلال، محمّد غنيمي، **النّقد الأدبي الحديث**،،ط٦، نهضة مصر، القاهرة ، ٢٠٠٥.
- هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، دار المعارف ، مصر، ١٩٩٣.
- **يكن، زهدي، المعتمد بن عباد وشعراء عصره** ، دار يكن ، بيروت ، ١٩٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرّسائل الجامعية :

- عامر عبد الله عامر عبد الله، **تجربة السّجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد،** جامعة النجاح ، فلسطين ، نابلس ، ٢٠٠٤م.
- محمود راشد يوسف مصطفى، **الفخر عند يوسف الثّالث،** جامعة النجاح، فلسطين، نابلس، ٢٠٠٤م.

الدّوريّات :

١. حوليّات الجامعة التّونسيّة عدد٣٢/١٩٩١.

٢. دراسات أندلسيّة،عدد٤/١٩٩٤.

٣. مجلّة كليّة التّربية، جامعة طرابلس، عدد٤/١٩٧٤.

٤. مجلّة معهد المخطوطات عدد٢٢/ ١٩٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The Poetry of Kings and Princes in Andalusia: A Study in Its Subjects and Styles

Prepared by
Raghdah Ali Mohmmad AL-Zboun

Supervisor
Professor Salah Jarrar

Abstract

This study has aimed at identifying the Andalusia ruler-poets and studying their poetry in terms of its subjects and style. Postulating that the political and social status of the Andalusian rulers had impacted the various aspects of their life, the study has tried to explore that impact as reflected in their poems.

The study has concluded that a good number of the Andalusian rulers had composed poetry. Most of them wrote their poems during the Umayyad caliphate, the Taw'if era, or the Beni Al- Ahmar era. Some of them did not produce much poetry, and in some cases, the number of poems they wrote did not exceed one or two poems. Others were prolific and their poems were dispersed in various Andalusian sources. A small number of them had produced anthologies such as: Al-mu'tatid Ben Abbad, Al-Mu'tamed Ben Abbad and Yousuf the Third.

The study has shown that the poetry of the ruler-poets did not cover all poetry themes nor were the themes they wrote about equally represented in their poems. While the themes of personal pride and love were in great abundance, other themes such as eulogy and religious poetry were very scarce and the theme of satire was absent altogether.

Finally, the dissertation has come to the conclusion that the political status of the ruler-poets had a clear effect on the various aspects of their life: political, social, intellectual and psychological and that it had influenced their treatment of the people around them. All this was quite apparent in their poetry.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com